المجلد الخامس عشر — الجزء ١ و ٢

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٣٧ م
شوال وذو القعدة سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً	
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً	

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ثمن كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة «	«	٢٠٠
« الاولى الى السادسة «	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة «	«	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

الوليد بن يزيد

حياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته ابو العباس وأمه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي بنت اخي الحجاج بن يوسف وفيه يقول أبو نخيلة :

بين أبي العاصي وبين الحجاج ... يالكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

ومن جداته ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي عليه السلام ، كان يفتخر بها إذ يقول :

نبيُّ الهدى خالي ومن يكُ خاله ... نبيَّ الهدى يقهرْ به من يفاخرُ

ولد الوليد بدمشق حوالي سنة تسعين للهجرة ونشأ في قصر ابيه يزيد بن عبد الملك ويزيد هذا من فتيان بني امية وأول خليفة منهم عرف بالشراب ومعاشرة القيان وحب الغناء فشب ابنه الوليد مستهتراً فيما ذكر . وعهد بأمر تأديبه الى يزيد بن ابي مساحق السلمي والى عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني ، وكلاهما اديب شاعر ؛ ولكن عبد الصمد كان معروفا بالشراب يتهم بالمجون ويرمى بالزندقة فتأدب عليهما وتخرج بهما

ولما كانت سنة اثنتين ومائة عهد يزيد بن عبد الملك بولاية العهد الى أخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم الى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، وتزوج في حياة أبيه سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفي سنة خمس ومائة توفي يزيد بن عبد الملك ، وأفضت الخلافة الى هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد ، والوليد يومئذ في عنفوان صباه فعكف على اللذات ولها بالشراب وكلاب الصيد ، وجاهر بالمجون ، واتخذ ندماءه من الظرفاء والخلعاء ، فتغير عليه هشام بعد أن كان مكرماً له ، وأراد أن يقطع أصحابه عنه ، فولاّه الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وظهر منه تهاون بأمور الدين ، فلما عاد وبلغ ذلك هشاماً ، اغتاظ وقال له : يا وليد ! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير متحاش ، فكتب اليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجةً بالسخن أحياناً وبالفاتر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام . وطمع هشام بخلع الوليد وجعل ابنه مسلمة وليّاً للعهد وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال : اجعله بعدك فأبى ، فتنكر له هشام ، وصار يعيبه وينتقصه ويقصر به ، فترك الوليد دمشق وخرج مع ناس من خاصته ومواليه ، فنزل الازرق على ماء يقال له الاغدف بالاردن ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى ، فشربوا يوماً فلما اخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ! قل أبياتاً ، فقال :

ألم ترَ للنجم إذ شُيّعا يبادر في برجه المرجعا
تحير عن قصد مجراته أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه وقد لاح إذ لاح لي مطمعا :
لعل الوليد دنا ملكه فأمسى اليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الامور طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه وقال فيه :

لقد قذفوا ابا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير

فأشهدُ أنهم كذبوا عليه   شهادة عالم بهم خبير

وكتب الوليد الى هشام يعلمه بإخراج عبدالصمد، ويعتذر اليه مما بلغه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد، فضرب هشام ابن سهيل وسيره، واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار اليه، فضربه ضربا مبرحا والبسه المسوح وقيده وحبسه، فغم ذلك الوليد وقال: « من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشئوم قدمه أبي على أهل بيته فصيره وليّ عهده ثم يصنع بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحد هوى الاعبث به، كتب اليّ ان اخرج عبد الصمد فاخرجته، وكتبت اليه ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليّ فضربه وسيره، وقد علم رأيي فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه اليّ وتحرمه بي وانه كاتبي فضربه وحبسه يضارّني بذلك، اللهم اجرني منه » وقال في ذلك أبياتا اولها :

انا النذير لمسدي نعمة أبداً   الى المقاريف ما لم يخبروا الدخلا

كما انه كتب الى هشام يعاتبه ويقرعه بابيات أولها :

كفرت يدا من منعم لو شكرتها   جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . فلما كانت صبيحة اليوم الذي جاءه فيه البشير بالخلافة قال لاحد اصحابه : ما أتت عليّ ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت عليّ هموم وحدثت نفسي فيها بأمور هذا الرجل يعني هشاما، فاركب بنا نتنفس فركبا فسار ميلين ووقف على كثيب وجعل يشكو هشاما اذ نظر الى رهج فقال: هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان، فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعل احدهما يكرر عليه السلام بالخلافة، فقال ويحك أمات هشام ؟ قال نعم، قال : فممن كتابك ؟ قال : من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل .

واظهر الوليد الشماتة بموت هشام وضيق على ولده وعياله وحشمه . قال حكم الوادي المغني: كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهنيء بالخلافة واتاه القضيب والخاتم، فامسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة، فقال غنوني :

طاب يومي ولذ شرب السلافه … اذ اتانا نعيّ من بالرصافه
واتانا البريد ينعي هشاماً … واتانا بخاتم للخلافه
فاصطبحنا بخمر عانة صرفا … ولهونا بقينة عزافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغنى في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغني الى الليل ٠

وللوليد اشعار اخرى في الشماتة بهشام منها قوله :

ليت هشاماً عاش حتى يرى … مكياله الأوفر قد طبّعا
كلناه بالصاع الذي كاله … وما ظلمناه به اصبعا
وما اتينا ذاك عن بدعة … احله الفرقان لي اجمعا

وقوله :

هلك الأحول المشو … مُ فقد ارسل المطر
ثمت استخلف الوليد … م فقد اورق الشجر
فاشكروا الله انه … زائد كل من شكر

وكانت بيعة الوليد يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشر ومائة ، وكان من فواتح اعماله أن اجرى على زمنى اهل الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد الناس في العطاء عشرات ، ثم زاد اهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ، ولم يقل في شيء يسأله لا ، وفي افضاء الخلافة اليه يقول :

ألا ايها الركب المخبّون أبلغوا … سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا اتاكم اشبه الناس سنة … بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم ان لم تعقني عوائق … بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة … واعطية مني عليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم … به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

وعقد في تلك السنة البيعة من بعده لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليّي عهده وجعل الحكم مقدما ، وازداد تمادياً باللهو واللذة والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة المجان

وتقريب المغنين ، وقسا على بني عمه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك ، وامر بقتل خالد بن عبد الله القسري زعيم اليمانية بالشام ، وجعل يكره المواضع التي فيها الناس فينتقل للصيد مع ندمائه فثقل ذلك على الناس وكرهته اليمانية ، وهم اعظم جند في الشام ، فضلا عن سخط بني عمه فرموه بالزندقة ، وكان اشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجمع على قتله جماعة من قضاعة واليمانية من اهل دمشق خاصة ، واتت اليمانية يزيد ابن الوليد فارادوه على البيعة ، وكان اذ ذاك متبدياً فقبل منهم ، على كره من عقلاء بني مروان كمروان بن محمد والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فلما اجتمع ليزيد امره اقبل الى دمشق متنكرا فدخلها ليلا ، وقد بايع له اكثر اهل دمشق سرا ، ثم دخل اعوانه فاظهر امره والوليد يومئذ بالأغدف من عمان ، ونادى يزيد بالناس لمقاتلة الوليد ، فلما علم الوليد بذلك قال له بعض اصحابه : سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود الى يزيد فيقتل او يؤسر ، وقال بعضهم ماينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره ، فقال له سعيد بن الوليد الكلبي : يا امير المؤمنين تدمر حصينة وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما ارى ان نأتي تدمر واهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ ، ولكن دلني على منزل حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : اكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : اكره اسمه ، قال : فهذا البخراء قصر النعمان بن بشير ، قال : ويحك ما اقبح اسماء مياهكم ! ثم اقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين وقال :

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ
اذا ما همُ همّوا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وقال له بيهس بن زميل : أما إذ أبيت أن تمضي الى حمص وتدمر ، فهذا الحصن البخراء فإنه حصين فانزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يراد بك أشد من الطاعون ، فنزل البخراء شرقيّ حمص وعلى أميال من تدمر ، وقال : أخرجوا لي سريراً ، فجلس عليه وأخرج لواء مروان بن الحكم وقال : أعليّ توثب الرجال ، وأنا أثب على الاسد وأتخصر الافاعي ؟ واشتبك أصحابه وأصحاب يزيد ، ثم تفرق أصحاب الوليد عنه بمكيدة ، فثبت وقاتل قتالاً شديداً ، فسمع رجلاً يقول : اقتلوا عدوّ الله ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وأحاط اعداؤه بالقصر ، فدنا من الباب فقال : أما فيكم

رجل شريف له شرف وحياء أكلمه ؟ فقال له بعضهم : كلمني ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة السكسكي ، قال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعطِ فقراءكم ألم أخدم زمناكم ؟ فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ماحرم الله وشرب الخمر واستخفافك بأمر الله ، قال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان في ما أحل لي لسعة عما ذكرت ، فرجع الى الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ، فعلوا الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة السكسكي ، فنزل اليه وسيف الوليد الى جنبه ، فقال له : نح سيفك ، فقال له الوليد : لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ، فضربه أحدهم على رأسه وآخر على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه من الدار ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه ، واحتز أحدهم رأسه وخاط الضربة التي في وجهه وقدم بالرأس على يزيد ، فأمر أن ينصب على رمح ويطاف به في دمشق • وكان مقتله يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، ويقال إنه حمل الى دمشق سراً ، ودفن بها ليلاً خارج باب الفراديس ، وحزن أهل حمص عليه حزناً شديداً ، فأغلقوا أبواب حمص وأقاموا النوائح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وكان يوم مقتله في قميص قصب وسراويل وشي ، فقال إياس بن الوليد الفزاري الشاعر ، وكان من أصحابه يرثيه :

تقلب في أثوابه وكأنما تقلب منه في الدماء قضيب

ورثاه ابن ميادة •

صفته واخلاقه

الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، كان أبيض مشرباً حمرة ربعة جميلاً ، من أصبح الناس وجهاً وأنبلهم قد وخطه الشيب قال :

انما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب

وكان شديد البطش طويل اصابع الرجلين من اقوى الناس جسما فكان لقوته يوتد له سكة حديد فيها سير ويشد السير في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة، وهو كثير العناية بترويض جسمه فكان اذا ركب وثب على الدابة وثبا دون ان يمسها بيده، وقد كان يتأنق بملابسه كثيراً من حيث انواعها والوانها واصنافها يحب الخز والوشي والقصب والمزركش، ويميل الى الالوان المشرقة كالاحمر والاصفر ويضع على رأسه قلنسية وشي مذهبة ويعتم بالخز ويلبس حلل الوشي والغلائل الموردة والمطارف والقباء والدراعة والسراويل والازر والاردية والريطات ويتقلد سيفا ويغير ثيابه في اليوم الواحد مرارا، وكان يتطيب ويتزين بالجوهر ويغالي به فيتختم بالياقوت ويحمل بيده عقداً من الجوهر ويلبس عقودا منها ويغيرها في اليوم مرارا كما يغير ثيابه .

قال حماد الراوية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً . وقال عطرد المغني : رأيت الوليد وعليه حلة وشي كانت تلتمع بالذهب التماعا . وقال أبو كامل مولى الوليد : برز الينا الوليد وعليه غلالة موردة . وقال حكم الوادي المغني : رأيت الوليد وعليه دراعة وشي وبيده عقد جوهر . وقال عبد الصمد الهاشمي : انما اغلى الجوهر بنو امية، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما تغير الثياب . وكان يجمعه من كل وجه ويغالي به . وقال عمر الوادي المغني : رأيت الوليد بن يزيد وفي يده خاتم ياقوت احمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه . وذكر خمار في الحيرة انه رأى الوليد متلثما بعمامة خز . ووصف الطبري الوليد حين خرج يقاتل اصحاب يزيد بن الوليد فقال : خرج على برذون كميت عليه قباء خز وعمامة خز محتزمة بريطة دقيقة قد طواها وعلى كتفيه ريطة صفراء فوق السيف . وروى ابن عساكر عمن دخل على الوليد يوم مقتله انه قال : دخلت القصر فاذا الوليد قائم في قميص قصب وسراويل وشي : وكان الوليد معجبا بنفسه مدلاً بجماله مزهواً بشبابه يتغزل بنفسه كما يتغزل بالفتيات الحسان ويصف حبهن له وتهافتهن عليه، قال :

قامت الي بتقبيل تعانقني ريا العظام كأن المسك في فيها

ادخل فديتك لا يشعر بنا احد   نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لا نوم على سرر   من شدة الوجد تدنيني وادنيها
حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها   حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا احد   والله عني بحسن الفعل يجزيها

وقال على لسان سلمى بنت سعيد اخت زوجه :

إقر مني على الوليد سلاما   عدد النجم قل ذا للوليد
حسدا ما حسدت اختي عليه   ربنا بيننا وبين سعيد

وقال :

في فتية من بني امية اهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم   مثلي ولا منتم لمثل ابي

وكان منذ حداثته ميالاً للهو والصيد يحب الخيل ويرتبط الكلاب، كما كان يحب معاشرة الظرفاء ومنادمة الادباء والخلعاء والمجان وسماع الغناء ومجاراة اهواء النفس كمعاقرة الخمر ومعاشرة الحسان ومغازلتهن والتشبيب بهن، وهو الذي يقول :

اشهد الله والملائكة الابـ   ـرار والعابدين اهل الصلاح
انني اشتهي السماع وشرب الـ   ـكأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا   ره يسعى علي بالاقداح

واخبار غرامه وتهتكه وهو ولي للعهد طريفة . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير: كان الوليد بن يزيد نظر الى جارية نصرانية من اهيأ النساء يقال لها سفرى، فجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيداً للنصارى قد قرب وانها ستخرج فيه مع النساء الى بستان حسن، فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر اليها فتابعه وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ودخلت سفرى البستان فجعلت تمشي حتى انتهت اليه فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ فقال لها رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها ، فقال لها صاحب البستان : ويلك اتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت لا ، فقال لها : هو الوليد بن يزيد، وانما تقشف حتى ينظر اليك ، فجنت إليه بعد ذلك ، وكانت عليه احرص منه عليها ، وقال الوليد في ذلك :

اضحى فؤادك يا وليدُ عميدا　　صباً كليماً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة　　برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت ارمقها بعيني وامق　　حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى　　منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه　　وأكونَ في لهب الجحيم وقودا

فلما ظهر امره وعلم الناس قال :

ألا حبذا سفري وان قيل انني　　كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليّ ان نظل نهارنا　　الى الليل لا أُولى أصلي ولا عصرا

واحب الوليد سلمى بنت سعيد فكانت تحتجب منه . قال صاحب الاغاني : خرج الوليد لعله يراها فلقيه زيّات مع حمار عليه زيت ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد فنادى من يشتري الزيت ؟ فاطّلع بعض الجواري فرأينه فدخلن الى سلمى وقلن : إن بالباب زياتاً اشبه الناس بالوليد فاخرجي وانظري اليه فخرجت فرأته ورآها فرجعت القهقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ، وقد رآني فقلن له : لا حاجة بنا الى زيتك فانصرف وقال :

انني أبصرت شيخا　　حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخ　　من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعا　　خاسرا غير ربيح

وقال ايضاً :

فما مسك يُعلّ بزنجبيل　　ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى　　ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي　　وثاق الباب دوني واطراحي

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق الى الحيرة لانه بلغه خبر خمار لبق نظيف جيد الخمر هناك ، قال ابن عساكر : حدث خمار كان بالحيرة قال : فتحت يوماً

حانوتي فاذا فوارس ثلاثة متلثمون بعمائم خز قد اقبلوا من طريق السماوة ، وكنت موصوفاً بالنظافة وجودة الخمر وغسل الاواني ، فقال لي أحدهم اسقني رطلا ، فقمت فغسلت يدي ، ثم نقرت الدنان فنظرت الى اصفاها فبزلته واخذت قدحاً نظيفاً فملأته ثم اخذت منديلا جديداً فسقيته ، فشرب وقال : اسقني رطلا آخر فسقيته في غير ذلك القدح ، واعطيته غير ذلك المنديل فشرب . وقال : بارك الله عليك فما اطيب شرابك وانظفك ! ما كان رأيي أن أشرب أكثر ، فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي الى شرب آخر فهاته ، فناولته اياه على تلك السبيل ، وولى راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال اعذرنا ورمى الي أحد الرجلين اللذين كانا معه بصرة فيها دنانير ، وإذا هو الوليد بن يزيد أقبل من دمشق حتى شرب من شراب الحيرة وانصرف . وقد أنكر الاتقياء على الوليد منذ كان ولياً للعهد هذه الاعمال ، منهم الزهري وهو من العلماء الورعين دخل على هشام بن عبدالملك وقدح بالوليد وعابه وقال له : يا أمير المؤمنين ما يحل لك الا خلعه فانفرجت الحال بينه وبين الوليد حتى برح الوليد دمشق مع خواصه الى الازرق ، وجعل في تلك البرية روضة انس يقصدها الظرفاء والشعراء والادباء والمغنون من الشام والحجاز والعراق فضلا عن الاضياف والعفاة ، قال ابن جرير الطبري : كان الوليد وهو ولي عهد يطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة ايام ويعلف دوابهم وظل على تلك الحال الى أن توفي هشام وبويع بالخلافة فكان شعاره قوله :

كللاني توجاني وبشعري غنياني
انما الكأس ربيع يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وجعل قصره جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين استدعى اليه من جميع الاقطار القيان والمغنين والشعراء ورواة الشعر والادباء والظرفاء والخلعاء والمجان ، ذكر ابن جرير الطبري ان الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيار عامل خراسان يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير واباريق ذهب وفضة ، وان يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها وكل بازي وبرذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه ، فلم يدع نصر بخراسان

جارية ولا عبداً ولا برذونا فارهاً الا اعده ، واشترى الف مملوك واعطاهم السلاح وحملهم على الخيل وأعد خمس مابة وصيفة وامر بصنعة اباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤوس السباع والأيايل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد يستحثه فسرّح الهدايا حتى بلغ اوائلها بيهق ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

ابشرْ يا أمين اللـــه ابشر بتباشير
بإبلٍ يُحمل المالُ عليها كلانا بير
بغال تحمل الخمر حقائبها طنابير
ودلّ البربريات بصوت البمّ والزير
وقرع الدُّف احيانا ونفخ بالمزامير
فهذا لك في الدنيا وفي الجنة تحبير

قال صاحب الاغاني : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها اليه ، وارسل الى اشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال : ارقص وغنّني شعراً يعجبني ، فان فعلت فلك الف درهم ، فغناه فأعجبه فأعطاه الف درهم .

واجتمع عنده من المغنين معبد وابن عائشة وابن سريج والغريض ومالك بن ابي السمح وعمر الوادي وحكم الوادي وابو كامل وخالد صامة والهذلي ويونس الكاتب واسماعيل بن الهربذ وعطرد والابجر ودحمان وغيرهم .

ومن الشعراء طريح بن اسماعيل الثقفي وابن ميادة والحسين بن مطير الاسدي واسماعيل بن يَسار ويزيد بن ضبة وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ومروان بن ابي حفصة والقاسم بن الطويل العبادي وغيرهم .

واستدعى من الندماء المجان شراعة بن الزندبوذ ومطيع بن اياس الكناني وحماد عجرد والمطيعي المغني . قال صاحب الاغاني : بعث الوليد بن يزيد الى شراعة بن الزندبوذ ، فلما قدم عليه قال : ياشراعة اني لم استحضرك لاسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ، ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن ، قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حمارا ، فقال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : ابن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما

شئت ، قال : فكيف علمك بالاشربة ؟ قال ليسألني أمير المؤمنين عما أحب ، قال فما قولك في الماء ؟ قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار ، قال : فاللبن ، قال ما رأيته قط الا ذكرت أمي فاستحييت ، قال : فالخمر ، قال : تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة ، قال : لله درك ! فأي شيء أحسن ما يشرب عليه ، قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه الماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً .

وقال لمطيع بن اياس : اي الاشياء اطيب عندك ؟ قال صهباء صافية تمزجها غانية بماء غادية ، قال : صدقت . واستدعى أيضاً حماد الراوية ليروي له شعر العرب . هـذه المجموعة النادرة من ذوي الأدب والفن والمواهب كانت تعمر مجالسه وفيهم يقول :

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي
وسقيتهـا معبداً وكل فتى فاضل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائـلي
فمـا لامني فيهم سوى حاسد جاهل

اضف الى هؤلاء باقة من محسنات القيان وحسان الوصائف تنفث السحر في أجواء تلك المجالس . قال حماد الرواية : دعاني الوليد يوماً من الايام في السحر ، والقمر طالع ، وعنده جماعة من ندمائه ، وقد اصطبح ، فقال : أنشدني النسيب فانشدته أشعاراً كثيرة فلم يهش لشيء منها حتى انشدته قول عدي بن زيد :

أصبح القوم قهوةً في الأباريق تحتذى
من كميت مدامـة حبذا تلك حبذا !

فطرب ثم رفع رأسه الى خادم ، وكان قائماً كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف ستراً خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنثور في ايديهم الاباريق والمناديل ، فقال اسقوهم فما بقي احد الا سقي ، وأنا في خلال ذلك أنشد الشعر ، فما زال يشرب ويسقي الى طلوع الفجر ، ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط فالقونا في دار الضيافة فما أفقنا حتى طلعت الشمس . وقال صاحب الاغاني أيضاً : اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدينة فأحضر ، وبلغ الوليد قدومه

فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ليس معهما ثالث ، وجيء بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد ، أتدري لم وجهت اليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فاحببت أن أسمع منك ، قال معبد : أغني ماحضر ام ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال بل غني :

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم   حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ، ثم خرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الاولى ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غنني يا معبد :

يا ربع مالك لا تجيب متيما   قد عاج نحوك زائراً ومسلما
جادتك كل سحابة هطالة   حتى ترى عن زهره متبسما
لو كنت تدري من دعاك اجبته   وبكيت من حرق عليه اذا دما

فغناه ، وأقبل الجواري يرفعن الستر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غنني :

عجبت لما رأتني   اندب الربع المحيلا
واقفا في الدار ابكي   لا أرى الا الطلولا
كيف تبكي لاناس   لا يملون الذميلا
كلما قلت : اطمأنت   دارهم ، قالوا : الرحيلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ، ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبداً ثم أقبل عليه الوليد فقال : يامعبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم اسرارهم . وقد يغلب عليه المجون فيسري باصحابه الى حيث يطيب لهم التصابي والغناء والخمر قال :

حبذا ليلتي بدير بونا حيث نسقى شرابنا ونغنى
كيف مادارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجونا والمستشار يُحنا

وكثيراً ما ترك دمشق الى اطراف البادية ونقل معه تلك المجموعة الفنية ، فكانت في البادية مدينة فن وجمال وسحر وشعر ، وهو يلهو ويصطاد ويعقد مجالس الانس والشراب والغناء قال :

ولقد قضيت وإن تجلل لمتي شيب على رغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمى ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم شمّ الانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يُعطَوا بها أو يُطلَبوا لا يدرَ كوا بترات

وقال :

أصبح اليومَ وليد هائماً بالفتيات
عنده راح وابر يق وكأس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورماةً لرماة

قال حماد الراوية يصف مجلساً من مجالسه في اطراف البادية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، واذا عنده معبد ومالك بن ابي السمح وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ثم قال لي انشدني :

امن المنون وريبها تتوجع

فانشدته حتى اتيت على آخرها ، فقال لساقيه : يا سبرة اسقه ، فسقاني ثلاثة اكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل ، ثم قال يا مالك غنني :

الا هل هاجك الاظعا ن اذ جاوزن مطّلحا

ففعل ثم قال له غنني :

جلا أمية عني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا :

فنعل ثم قال له غني :

اتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام

فنعل ، ثم قال له يا سبرة أو يا أبا سبرة اسقني ... فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين الرجل الذي طلبت بالباب ، قال أدخله ، فدخل شاب لم أر شابا أحسن وجها منه في رجله بعض القدع فقال يا سبرة اسقه فسقاه كأسا ، ثم قال له غني :

وهي اذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه فنبذ اليه الثوبين ، ثم قال له غني :

طاف الخيال فرحبا ألفا برؤية زينبا

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، انا مقبلون عليك بأقدرنا واسناننا ، وانت تركتنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة . وأفرط الوليد في الخلاعة والمجون والشراب حتى بولغ عنه في ذلك ، فروي أنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا غناه المغنون وشاعت به نشوة الكأس والطرب القى نفسه في البركة ، وكان معه من المغنين يوم قتل ابن عائشة ومالك بن أبي السمح .

ادبه وثقافته

لا نعرف من مؤدبي الوليد غير عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ويزيد بن ابي مساحق السلمي وكلاهما أديب شاعر ، ولكن الاول يتهم بالخلاعة والمجون ويرمى بالزندقة ويقال إنه هو الذي أغرى الوليد بالتهتك والمجون ، أما الثاني فقد كان متصونا بعيداً عما يرمى به عبد الصمد ولكنه لم يحظ عند الوليد كما حظي عبد الصمد الذي كان يرى فيه الوليد مؤدبا ونديما .

يظهر في شعر الوليد أثر من الثقافة الاسلامية كذكر القرآن وبعض الاحكام الشرعية كالحلال والحرام والبدعة ، قال يذكر القرآن في ارجوزة جعلها خطبة في

احدى الجمع ، وفيها مواعظ ونصائح كثيرة :

ثم القران والهدي السبيل قد بقيا لما مضى الرسول

وقال من أبيات :

وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعا

وقد روى الوليد الحديث ، ولكن يظهر أن الناس تركوا الرواية عنه لخلاعته وتهتكه . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : « وممن يحدث من بني أمية الوليد بن يزيد ، ولم تقع له إلينا رواية » .

وكان معدوداً من الخطباء الفصحاء ، يخطب الناس في الجامع الأموي في الجمع والعيدين . قال الهيثم بن عمران : لما بويع الوليد سمعته على المنبر بدمشق يقول :

ضمنتُ لكم إن لم ترعني منيتي بأن سماء الضرّ عنكم ستقلعُ

وقال صاحب الأغاني : قيل للوليد : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله ولي الحمد أحمدُه في يسرنا والجهد

وأتمّ الأرجوزة .

وحفظ من كلامه قوله لهشام يوم توفي مسلمة بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين ! إن عقبى من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختلّ الثغر فوهى ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى » . ومن كلامه الفصيح قوله : « إن النعمة إذا طالت بالعبد ممتدّةً أبطرته فأساء حمل الكرامة ، واستقل العافية ، ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير ، وانكشفت عنه عماية الغيّ والسلطان ، ذلّ منقاداً ، وندم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له » .

وقوله : « يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل فعل السكر ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ، أقول ذلك فيه على أنه أحب إليّ من كل لذّة ، وأشهى إلي من الماء الى ذي غلة ، ولكن الحق أحق أن يقال » .

وقيل له لما غلبت عليه لذاته : يا أمير المؤمنين ! إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، فقال : « ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وألزمناه من مفروض ذمامها ، أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه بسط لنا في النعمة ، ومكن لنا في المكرمة ، وأزكى لنا في الأمة ، ومد لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا المزيل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضرره ، ولا يؤذيها ثقله . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام » .

لم يكن الوليد محدثاً ولا فقيهاً ولا إخبارياً ، ولكنه كان شاعراً أديباً ظريفاً ، وفصيحاً حاضر الجواب ، كما كان مشغوفاً بالغناء ، عارفاً به وبآلاته . قال صاحب الأغاني : وممن غنى من الخلفاء الوليد بن يزيد ، وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدف ، على مذهب أهل الحجاز .

قال خالد صامة المغني : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

« أراني الله يا سلمى حياتي »

وهو يشرب حتى سكر ، ثم قال لي : هات العود ، فدفعته إليه ، فغناه أحسن غناء ، فنفست عليه إحسانه ، ودعوت بطبل ، فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل ، فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر ، فقلت : يا سيدي ! كيف أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنك ؟ فقال : اسكت ويلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمت حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قتل .

وقال صاحب الأغاني : لما قدم الوليد بن يزيد مكة ، سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج ، فقيل له : يحيى مولى العبلات المعروف بقيل ، فدعاه وقال له : امش لي بالدف ففعل ، ثم قال له : هاته حتى أمشي به فإن أخطأت فقومني ، فمشى به أحسن من مشية قيل ، فقال له : جعلت فداك ! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك .

ومن مشهور صنعته في شعره قوله :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا ء ستر لها دون لمس البنان

وقال عمر الوادي : دخلت على الوليد وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب ، فقال لي : اشرب ! فشربتُ ، وطرب وغني صوتاً واحداً ، وأخذ دفافةً فدفف بها فأخذ كل واحد منا دفافةً يدفف بها .

وبلغ من حب الوليد للأدب والأدباء والرواة أن استدعاهم من كل طرف ، وأغدق عليهم العطايا كحماد الراوية وحماد عجرد . قال حماد الراوية استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدمتُ عليه ، فلما دخلت داره ، قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بالخلافة ، فقال لي : يا حماد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : « ثم ثاروا » ، فلم أدر ما يعني ، قال : ويحك يا حماد ! « ثم ثاروا » ، فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل ، ثم انتبهت ، فقلت :

ثم ثاروا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق
ثم فضّ الختام عن صاحب الدن وقامت لدى اليهودي سوق
فسباها منه أشم عزيز أريحي غذاه عيش رفيق

الشعر لعدي زيد . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ، فقال : ردبه ، فما أنصفاه ، تغدينا ولم نغده ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدر الكأس يمناً لا تدرها ليسار

فطرب ، وبرز إلينا وعليه غلالة مورّدة ، وشرب حتى سكر ، فأقمت عنده مدة ، ثم أذن بالانصراف ، وكتب لي الى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

وكان يستدعي للتجمين أيضاً ، قال حماد الراوية كنت عند الوليد يوماً فدخل عليه رجلان كانا منجمين فقالا نظرنا فيما أمرتنا به فوجدناك تملك سبع سنين مؤيداً منصوراً يستقيم لك الناس ويجبى لك الخراج . فاغتنمتها وأردت ان أخدعه كما خدعاه

فقلت يا أمير المؤمنين كذبا نحن اعلم بالرواية والآثار وضروب العلوم منهما وقد نظرنا في هذا ونظر الناس فيه قديما فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفا فأطرق الوليد ثم رفع رأسه الي فقال لا ما قال هذان يكسرني ولا ما قلت يغرني والله لاجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ولأصرفنه في حقه صرف من يموت في غد .

وكان الوليد مع شعره وأدبه وفصاحته ذكي القلب حاضر الجواب قال له يوماً العباس بن الوليد بن عبد الملك في مجلس هشام كيف حبك يا وليد للروميات فان أباك كان بهن مشغوفا قال اني لاحبهن وكيف لا احبهن ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالمجين مثلك وكانت أم العباس روميه .

مجونه وخلاعته ورميه بالزندقة

الوليد ماجن خليع متهتك وقد مضى في فصل اخلاقه وصفته ذكر لهوه وعبثه . ولكن اخبار مجونه مبالغ فيها لان للسياسة يدا في تعظيمها وذلك أن خصومه الذين ثاروا عليه وخلعوه وقتلوه نسبوا اليه كل نقيصة ونحلوه من الشعر ما هو غاية في الفجور والتعهر وسقوط المروءة والالحاد مما لايمكن أن يصدر عن فتى نبيل وخليفة ابن خلفاء ، على أنه مهما تثبت الانسان في أخبار مجون الوليد وشك في بعضها فانه لا يستطيع أن ينفي عنه اللهو والخلاعة والتهتك فقد استقدم المجان والخلعاء حين ولي الخلافة من جميع الأطراف كاشعب وحماد عجرد ومطيع بن إياس والمطيعي وكان يفرط في الخمر حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا طرب رمى بنفسه بها وقد غاظت هذه الاعمال مؤدبه يزيد بن أبي مساحق السلمي فبعث اليه بقوله :

مضى الخلفاء بالأمر الحميد ... وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو ... وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب اليه الوليد :

ليت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوة أبذل فيها طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها هائما في كل واد
ان في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

ورموه بالالحاد وأتهموه بالزندقة ونحلوه ابياتا في ذلك لا تجمل روايتها وقال بعضهم بل كان مانويا وزعم أنه رأى تمثال ماني عنده الى غير ذلك من التهم التي تبرر خلع خليفة وقتله وقد نفى عنه بعضهم كل ذلك . وهناك حادثتان يمكن أن يستأنس بهما الباحث في بعد الوليد عن الالحاد والزندقة أولاهما أن اسم احد ابناء الوليد مؤمن والوالد عادة لايدعو ابنه الا باحب الاسماء اليه فكيف يسمي الملحد أو الزنديق ابنه مؤمنا . والثانية هي أن الوليد على كرهه لهشام وأعمال هشام كان يصوبه في نفي القدرية ، والقدرية من الفرق الاسلامية التي نجمت في أيام بني أمية فاذا كان الوليد يتحرج من وجود القدرية في دمشق فكيف يرضى لنفسه أن يكون زنديقا . قال الطبري قال عمرو بن شراحيل سيرنا هشام بن عبد الملك الى دهلك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلم فينا فابى وقال والله ماعمل هشام عملا ارجى له عندي أن تناله المغفرة من قتله القدرية وتسييره إياهم .

شعره

ابرز صفة في الوليد الشعر فهو في شعره اعظم منه في خلافته ولو لم يكن شاعرا لما استحق تلك العناية من الادباء والمؤرخين لأنه لم يكن بالخليفة العظيم ولا اشتهر بشيء مما اشتهر به اسلافه الخلفاء كدهاء معاوية وحزم عبد الملك وعدل عمر بن عبد العزيز فالشعر وحده هو الذي احيا ذكره بالرغم من ضياع أكثره وتشتيت ما بقي منه موزعا في كتب الادب . وتلك البقية من شعره يسيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة ومعانيها شخصية تترجم عن نفس الوليد في عبثها ولهوها وتبذلها وزهوها وغضبها وحزنها ويمكن اجمالها بالغزل ووصف الخمر والعتاب والفخر والرثاء والهجاء ونظم بعض الحوادث كعقد البيعة لولديه وخطبة الجمعة .

ومهما تبذل الوليد في بعض معانيه وغلبه المجون فان سمة النبل تلوح على شعره من حيث يريد ولا يريد كقوله :

كلاني توجاني وبشعري غنياني

وكقوله :

في فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم لمثل أبي

قال المأمون لجلسائه أنشدوني بيتا لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله أنه شعر ملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية · ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد :

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأسا عقارا

أما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك ومثل قوله :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال ليبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه ·

كان الوليد شاعراً مطبوعاً يحب الرقة والطلاوة حتى تفضيا به في أكثر شعره الى اللين ، وذلك لأنه نشأ في نعيم الحاضرة وقصور الخلافة ، ولأنه مطبوع لا يتكلف ولا يبالي ما يقول ، ولانه غزل ماجن ، يتكلم بلسان الخلعاء ، ويصور دلال النساء · واللين في الشعر درجة بين السهل العذب الرقيق ، والسفساف المبتذل الركيك عرف به بعض شعراء الحواضر في الجاهلية والإسلام ، مثل عدي بن زيد العبادي من أهل الحيرة في الجاهلية ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي من أهل الطائف وهو جاهلي أدرك الإسلام · أما الشعراء الإسلاميون الذين يلوح على شعرهم أثر اللين فأشهرهم : عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، والعرجي ، وابن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد ،

وكلهم قرشيون حضريون غزلون . ولقائل ان يقول : ما بال اللين يكون في شعر الحضريين في الجاهلية والعصر الاموي ، ولا يطرد هذا القياس في الشعراء للمولدين الذين هم أعرق في الحضارة ؟ والجواب على ذلك : أن للمولدين اتقوا اللين بالدرس والرواية ، وأخذ النفس باصطناع الجزالة ؛ أما أولئك فقد كانوا يرسلون أنفسهم على سجيتها .

وهكذا ، فأكثر شعر الوليد لين كقوله :

شاع شعري في سليمى واشتهر ورواه الناس بادٍ وحضر
وتهادته العذارى بينها وتغنين به حتى اشتهر
لو رأينا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها إماماً مرتضى ولكانت حجنا والمعتمر

وقد يبلغ به اللين الى التبذل والركاكة كقوله :

خبروني أن سلمى خرجت يوم المصلى
فإذا طير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى قال هـا ثم تعلى
قلت يا طير أدنُ مني قال هـا ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى قال لا ! ثم تولى
فنكا في القلب كلماً باطناً ثم تعلى

وهو كما يجب قرض هذا النوع من الشعر يجب أن يسمع من شعر الشعراء ما كان مثله . قال حماد الراوية : دخلت يوماً على الوليد ، فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام ، فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف ، فأنشدته لعمار ذي كناز :

حبذا انت يا سلا مة القين حبذا
ثم ألقين مضغين وألقين هكذا
في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا
حذوة من صبابة تركته مفلذا

أشتهي منك منك مـ ... لك مكانا بجنب ذا

فضحك حتى استلقى ، وطرب وصفق بيديه ورجليه وأمر بالشراب فشرب وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة .

وكان يستحسن شعر عديّ بن زيد وعمر بن أبي ربيعة كثيراً قال حماد الراوية استنشدني الوليد بن يزيد فأنشدته نحواً من ألف قصيدة فما استعادني الا قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلي وتعناني الطرب ... واعتراني طول هم ووصب

كما كان يطرب للسهل الحضري الرقيق من شعر بشار بن برد ؛ فقد روي أنه لما أنشد قول بشار :

أيها الساقيان صبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رود

إن دائي الظما وإن دوائي ... شربة من رضاب ثغر برود

طرب وقال من لي بمزاج كأسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه وقال إن فاتنا ذاك فهذا .

كل ذلك يدل على مذهبه وطبعه في السهولة واللين . على أن له من الجزل ماينبئك على أنه قادر عليه لو حاوله ولكن حين يجد أو يغضب ، ففخره وعتابه جزل رصين يحاكي شعر الفحول كقوله يعاتب هشاماً :

فإن تك قد مللت القرب مني ... فسوف ترى مجانبتي وبعدي

وسوف تلوم نفسك إن بقينا ... وتبلو الناس والأحوال بعدي

فتندم في الذي فرطت فيه ... إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معد مدى كري وإقدامي

إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي

بني لي المجد بانٍ لم يكن وكلا ... على منار مضيئات وأعلام

حللت من جوهر الأعياص قد علموا ... في باذخ مشمخر العز قمقام

صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

وكقوله حين ثار الناس :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وشعره بجملته مقطعات وأبيات ولا تكاد تجد له قصيدة طويلة .

غزله

ظهر في العصر الأموي طائفةٌ من الشعراء جعلوا الغزل فنهم ، أو عنوا به أكثر من بقية فنون الشعر كجميل بن معمر العذري وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وقيس ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والأحوص بن محمد والعرجي وابن قيس الرقيات ، منهم من كان غزله بريئاً عفيفاً ومنهم من غلب عليه اللهو والعبث والتهتك ؛ أما غزل الوليد فقد كان من غزل المجان الخلعاء الذين ظهروا في أواخر عصر بني أمية كمطيع بن إياس وعمار ذي كناز ووالبة بن الحباب ، وغزل هؤلاء يفترق عن غزل من تقدمهم بذكر الخمر والحانات وباعتبار الحب شراهة نفسانية وبتصوير مواقف الغرام تصويراً هو أقرب إلى الفجور والتهتك ، فهو بالمجون أشبه منه بالغزل . وغزل الوليد من هذا النوع منه الرقيق ومنه اللين ومنه السفساف ويندر فيه الجزل ولكنه في كل أنواعه صورةٌ صادقة عن نفس الوليد الماجنة الشرهة الوثابة لا يتصنع ولا يتكلف ولا يبالي بل يرسله كما يجيش به صدره وهو قليل الصنعة واضح المعاني يلتبس بالنثر لولا الوزن والقافية .

ولعل الوليد لم يُخلص في حبه إلا لسلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فلقد لمحها في بيت أبيها وهو شاب فأحبها حباً شديداً بل جن بها جنوناً وطلبها فلم تجبه فبقي يلوب عليها أكثر من عشرين سنة يحتال لينظر إليها خلسةً كأن يجعل نفسه زياتاً ويقف على بابها وينادي على الزيت لعله ينعم منها بنظرة . ولقد قال فيها كثيراً من الغزل وغزله فيها مجموعة تريك نفس المحب في شتى أطوارها فتارة يناشدها الحب والقرابة كقوله :

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا
يا سليمى ابنة عمي برد الليل وطابا

أيا واش نوشي بي فاملئي فاه ترابا
ريقها في الصبح مسك باشر العذب الرضايا

واخرى يستلين قلبها بما يلاقيه من الوجد والهيام :

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك
ألا تجزين من تيمت عمراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ـ ولا تموتي ـ ولو أنسي له أجل بكاك
ومن حقاً لو اعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذاً ذاق الممات وما عصاك
اثيبي عاشقاً كلفاً معنى إذا خدرت له رجل دعاك

وطوراً يستعذب ما يلاقيه في حبها من المشاق :

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وقد أسهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

وطوراً يضيق بتمنعها ذرعاً فيسب أباها :

وقالت عند هجرتنا أباها أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخي وعندك خلة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت فبها خطة بلغت مداها

ثم يستغفرها ويتوب اليها .

غضبت سلمى علينا سفاها أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب ياقوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لأظن عدواً قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وأحياناً يلاغيها كما تلاغي الام طفلها :

سليمى ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحييت

ولا شك في أن حبه لسلمى رقق من عواطفه وأصلح من غزله ما ألح عليه المجون ونفخ فيه روح المحبين ورقتهم ، قال صاحب الأغاني : خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالاً فأتي به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ثم أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فإذا شبهك ما تنكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
أنت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً ورح

ولقد ظلت سلمى هذه ممتنعة عليه أكثر من عشرين سنة حتى بويع بالخلافة فأسلس له قيادها كأنها أرادت أن تكون أميرة المؤمنين فيقال إنه تزوجها ولكنها لم تمكث عنده إلا قليلاً وعاجلها الموت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها .

وصف الخمر

لم يجوّد الوليد في فن من فنون الشعر كما جوّد في وصف الخمر فما بقي من أشعاره في هذا الباب على قلته أحسن من سائر شعره ، والوليد يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي في صفة الخمر لأن شعراء الجاهلية وإن وصفوها لم يتعدوا أثر نشوتها في الشارب وما تبعثه في النفس من الأريحية مع إلمام بلونها ورائحتها على سبيل الايجاز . أما الشعراء الإسلاميون فقد سكت أكثرهم عنها تحرجاً وتأثماً ومن ذكرها منهم أو من النصارى كالأخطل تناول وصفها على الأسلوب الجاهلي المجمل والغريب أن الشعراء الغزلين في العصر الاموي كعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وغيرهما تحرجوا عن وصفها .

أما الوليد فقد وصف الخمر ونشوتها وصفاء لونها ورقة جوهرها ورائحتها وبريقها في الكأس صرفاً وممزوجة وشبهها بالقبس والشرر والذهب ووصف دنانها وزقاقها وجرارها وشبه حببها بلمعة البرق ووصف مجالس الشرب والغناء وما يكون فيها من المجون والعربدة في القصور والرياض والديرة قال :

اصدع نجي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرتقب

وقال :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا ء سترها دون لمس البنان
لها حبب كلما صفقت تراها كلمعة برق يمان

وقال :

علـلاني واسقياني من شراب اصبهاني
إن في الكأس لمسكاً أو بكفي من سقاني
إنما الكأس ربيع يتعـاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وهكذا فقد نقل الوليد هذا الفن من الشعر العربي من حظيرته الضيقة إلى هذا الميدان الواسع الذي رتع به الشعراء من بعده كأبي نواس والحسين بن الضحاك الخليع وغيرهما ممن أمعن في وصف الخمر . ويقول صاحب الاغاني إن كل من وصف الخمر بعد الوليد عيال عليه مستمد منه مستعين بمعانيه قال : « وللوليد أشعار جياد فمنها وهو ما برز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر :

اصدع نجي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب

وقال : « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره

فكررها في عدة مواضع منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها ههنا على أنها تنبيء عن نفسها »

خاتمة

شعر الوليد من الشعر الوجداني المعبر عن شعور قائله يمتاز بصدق اللهجة والصراحة وعدم التصنع في معانيه وألفاظه ، قصره على نفسه فافتخر وتغزل وعاتب ووصف الخمر ورثى وهجا ولكنه لم يمدح أحداً ولم يرث إلا من أحب من أصفيائه وأقاربه وأحبابه . وأكثر شعره في الغزل والمجون والخمر حيث يرسل نفسه على سجيتها فيرق ويعذب ويسهل ويلين ويعبث ويمزح فيكون ظريفاً فكها . أما في بقية الفنون التي نظم بها فهو أجزل سبكاً وأمتن رصفاً وأحكم قافية لبعدها عن مواطن التبذل والمجون ففي الرثاء مثلاً تراه عميق الحزن قليل الجلد كثير الجزع لأنه لم يرث إلا أحبابه وأقاربه كقوله يرثي ابنه مؤمنا :

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إني إلى الله راجع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلت وشلت من يديك الأصابع
يقولون لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحنى عليه الأضالع

وكقوله يرثي سلمى بنت سعيد :

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دان جناها موضع
أربابها شفقا عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

وقوله :

ألما تعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك ياوليد لقد أجنوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا

وكذلك في العتاب فإنه يشتد أسره لأنه جاد مغيظ يعاتب الخليفة الذي حاول أن

يخلعه من ولاية العهد فتبرى الأسى والغضب والاستعطاف والتقريع واللين والشماس مع بعضها في عتابه كقوله :

أليس عظيماً أن أرى كل وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود الرجاء مصرداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبوة يشد عليها كفه بالأنامل

وكقوله :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرّطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله :

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا حزم لهدمتَ ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينة فويلٌ لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم ألا ليت انا حين يا ليت لا تغني

وكقوله :

أنا النذير لمسدي نعمة أبدا إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت اكرمتهم ألفيتهم بطروا وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
اتشمخون ومنا رأس نعمتكم ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه حتى اذا ما استوى من بعدما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ولو أطاق له اكلاً لقد اكلا

وهكذا فان عتابه من حر الشعر وجيده .

وهو من أجزل ما يكون إذا افتخر وسما برأسه إلى آبائه خلفاء الإسلام وأشياخ الجاهلية وشموس العرب كقوله :

انا الوليد أبو العباس قد علمت عليا معد مدى كري وإقدامي
اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجدَ بانٍ لم يكن وكلا على منار مضيئات وأعلام
حللت من جوهر الاعياص قد علموا في باذخٍ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه يسمو الى فرع طودٍ شامخٍ سامي

وما عدا ذلك من المعاني التي عالجها كشيماته ببوث هشام ومجانه فقليل لا يعتدُّ به ولا يخرج عن أسلوبه في الصراحة والسهولة .

خليل مردم بك

ديوان

الوليد بن يزيد

حرف الألف

١

على الدُّور التي بليت سفاها ... قفا يا صاحبيَّ فسائلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوق ... وأخضل دمعُ عينك ما قياها
وقالت عند هجرتنا أباها : ... أردتَ الصرم فانتده انتداها
أردت بعادَنا بهجاء شيخي ... وعندك خلةٌ تبغي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادت ... فيها خطةً بلغت مداها

٢

غضبتْ سلمى علينا سفاها ... أن سببتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قوم مني ... ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنتُ أردت بقلبي ... لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلتُ اليوم سلمى فسلمى ... ملأتْ أرضي معاً وسماها
غير أني لأظنُّ عدواً ... قد أتاها كاشحاً وأذاها
فلها العتبى لدينا وقلّت ... أبداً حتى أنال رضاها

٣

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وإن[1] أسهرت عينيْ عيناها
فالليلُ أطول شيء حين أفقدها والليلُ أقصرُ شيءٍ حين ألقاها

٤

وُصفت عندي سليمى فاشتهى قلبي يراها
لو يرى سلمى خليلي لدعا سلمى إلاها
ورأى حين يراها ربَّ طاسين وطاها

حرف الباء

٥

تلعّب بالخلافة هاشميٌّ بلا وحي أتاه ولا كتابِ
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي
يذكرني الحساب ولست أدري أحقٌّ ما يقول من الحسابِ

٦

قد راح نحو العراق مشخلبه قصارُه السجنُ بعده الخشبه
يركبها صاغراً بلا قتبٍ ولا خطامٍ وحوله جلَبه
فقل لدعجاء إن مررت بها لن يعجز اللهَ هاربٌ طلبه
قد جعل الله بعد غلبتكم لنا عليكم يا دُلدلُ الغلبه
لستَ إلى هاشمٍ ولا أسدٍ ولا إلى نوفلٍ ولا الحجَبه
لكنّما أشجعٌ أبوك سل الّا كليٍّ لا ما يزوّق الكذَبه

٧

اصدعْ نجيَّ الهموم بالطرب وأنعمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارته لا تقفُ منه آثارَ معتقبِ

(١) قامت وقيد، كما في نهاية الأرب ج ٤ ص ٢٣٥

من قهوةٍ زانها تقادمُها فهي عجوز تعلو على الحقبِ
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت ورقّ جوهرها حتى تبدتْ في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبسٌ تزهو ضياءً في عين مرتقب
في فتيةٍ من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهمُ مثلي ولا منتمٍ بمثل أبي

٨

إنما هاج لقلبي شجوه بعد المشيبِ
نظرة قد وقرت في الـ قلب من أم حبيب
فإذا ما ذقتَ فاها ذقتَ عذباً ذا غروب
خالط الراحَ بمسكٍ خالصٍ غير مشوب

٩

يا سُليمى يا سليمى كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنةَ عمي برد الليل وطابا
أيما واشٍ وشى بي فاملئي فاه ترابا
ريقها في الصبح مسك باشر العذبَ الرضابا

١٠

قد تمنى معشرٌ إذ طربوا من عُقار وسولم وذهبْ
ثم قالوا لي تمنَّ واستمع كيف ننحو في الأماني والطلب
فتمنيتُ سليمى انها بنت عمي من لهاميم العرب

١١

أمَّ سلاّمٍ أثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربُّه
أنكِ من عيشه في نفسه يا سليمى فاعلميه حَسبهُ
فارْحميه انه يهذي بكم هائم صبٌّ قد اودى قلبهُ

أنت لو كنت له راحمةً ... لم يكدّر يا سليمى شربهُ

١٢

ولقد مررتُ بنسوةٍ أعشينني ... حور المدامع من بني النجابِ
فيهن خرعبة مليح دلها ... غرثى الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر ما ثوت في حضرها ... وتزين باديها من الأعراب (١)

حرف التاء

١٣

سل همّ النفس عنها ... بعلنداةٍ علاةِ
تتقي الأرض وتهوي ... بخفاف مدمجات
ذاك أم ما بال قومي ... كسروا سنّ قناتي
واستخفوا بي وصاروا ... كقرود خاسئات
أصبح اليوم وليد ... هائماً بالفتيات
عنده راح وإبريـ ... قٌ وكأس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ... ورماةً لرماة

١٤

ولقد قضيتُ وإن تجلل لمتي ... شيبٌ على زغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمي ونواصف ... ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم ... شم الانوف جحاجح سادات
إن يطلبوا بتراتهم يعطَوا بها ... أو يطلبوا لا يدرَك بتراتِ

(١) قد كنت أحسب أنني جلد القوى ... حتى رأيت كواعباً أترابا
يرفلن في وشي البرود عشيةً ... شبه الأراك وقد ملئن شبابا
قربن حوراء المدامع طفلةً ... أرين من عجب بها اربابا
تلك التي لا شك حقاً أنها ... خلقت لحينك فتنةً وعذابا

١٥

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيبُ الرشدَ في صلتي هديتا
فأشكرَ منك ماتسدي وتحيي أبا عثمان ميتة وميتا

١٦

أراني قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت
إذا شئت تصبرتُ ولا أصبر إن شيت
ولا والله لا بصبر في الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت
فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحببْ بزور زا ر من سلمى ببيروت
غزال ادعج العين نقيِّ الجيد والليت

١٧

أسلمى تلك حييت قفي نخبرك إن شيت
وقيلي ساعةً نشكُ اليك الحب أو بيتي
فما صهباء لم تكس قذىً من خمر بيروت
ثوت في الدن أعواماً ختيا عند حانوت

١٨

رب بيت كأنه متنُ سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حييت
أم سلامٍ لا برحت بخير ثم لازلت جنتي ما حييت
طربا نحوكم و توقا وشوقا لادكار بكم وطيب للبيت
حيثما كنت من بلاد وسرتم فوقاك الاله ما قد خشيت

حرف الجيم

١٩

إنني فكرت في عمر ... حين قال القول فاختلجا
إنه للمستنير به ... قمر قد طمس السرجا
وبغني الشعر ينظمه ... سيدُ القوم الذي فلجا
أكمل الوادي صنعته ... في لباب الشعر فاندمجا

٢٠

طاف من سلمى خيال ... بعد ما نمتُ وهاجا
قلت عجْ نحوي أسائلـ ... ـك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي ... قم فأنقث لي سراجا
بفلاة ليس تُرعى ... أنبتت شيحاً وحاجا

حرف الحاء

٢١

أشهد الله والملائكةَ الأبرار والعابدين أهلَ الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح
والنديمَ الكريم والخادم الفا ... ره يسعى علي بالأقداح (١)

٢٢

اني أبصرت شيخاً ... حسن الوجه مليحْ
ولباسي ثوب شيخ ... من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعاً ... خاسراً غير ربيح

(١) وزاد صاحب حلبة الكميت ص ٩٨

وظريف الحديث والكاعب الطفـ ... ـلة تختال في خطوط الوشاح

٢٣

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
انت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسرور أو رح

٢٤

فما مسك يعل بزنجبيل ولا عسل بالبان اللقاح
باشهى من مجاجة ريق سلمى ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

٢٥

تذكر شجوه القلب القريح فدمع العين منهل سفوح
ألا طرقتك بالبلقاء سلمى هدوءاً والمطي بنا جنوح
فبت بها قرير العين حتى تكلم ناطق الصبح الفصيح

حرف الدال

٢٦

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله مزقني الوليد

٢٧

فان تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

***

٢٨

أَلَمَّا تعلما سلمى أقامت مضمنةً من الصحراء لحدا
لعمركَ يا وليدُ لقد أجنوا بها حسباً ومكرمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصرعن مَداه شعاعُ الشمس أهلٌ أن يفدّى
فلم أر ميتاً ابكى لعينٍ وأكثر جازعاً وأجلّ فقدا
وأجدرَ أن تكون لديه ملكاً يزيلك جلالةً ويسرُ وجدا

٢٩

أَلم تعلما سلمى أقامت بمهمهٍ مضمنةً قبراً من الأرض انجدا

٣٠

ومن يكُ مفتاحاً لخيرٍ يريده فإنك قفل يا سعيدَ بنَ خالدِ

٣١

أضحى فؤادُك يا وليدُ عميدا صباً كليباً للحسانِ صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة برزتْ لنا نحو الكنيسة غيدا
ما زلت أرمقها بعينيْ وامقٍ حتى بصرت بها تقبل عودا
عودَ الصليب فويح نفسي من رأى منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه وأكون في لهب الجحيم وقودا

٣٢

يا من لقلب في الهوى متشعب بل من لقلبٍ بالحبيب عميدِ
سلمى هواه ليس يعرف غيرها دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والسعادة ألّفا بين الوليد وبينَ بنتْ سعيد
يا قلب كم كلف الفؤاد بِغادةٍ ممكورةٍ ريّاِ العظام خريدِ

* * *

٣٣

إقرَ مني على الوليد سلاماً عدد النجم قلْ ذا للوليد
حسداً ماحدثُ اخي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

٣٤

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا ن ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غِرّة فباتت بحزن تقامي السهودا
نؤمل عثمان بعد الولي د للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجّي لتلك الوليدا
على أنها شسعت شسعةً فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هي عادت فأوصي القري ب عنها ليوئس منها البعيدا

٣٥

ليت حظي اليوم من كـ ل معاش لي وزاد
قهوةً أبذل فيها طارفي ثم تلادي
فيظل القلب منها هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

٣٦

الحمد لله وليّ الحمد أحمده في يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها أنْ لا إله غيره إلاها
ما إن له في خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دينُ أحمد فليس من خالفه بمهتد
وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا وفي الكتاب واعظاً بشيرا

ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيلُ قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما مضى لديكم حي صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد أن تزلوا عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركُن نصحي فإني ناصح إن الطريق فاعلمنْ واضح
من يتق الله يجد غب التقى يوم الحساب صائراً إلى المدى
إن التقى أفضل شيء في العمل أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم إخوتي لعلكم يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم فانتفعوا بذاك إن عقلتمُ
ما يزرع الزارع يوماً يحصده وما يقدمْ من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا فالموت منكم فاعلموا قريب(١)

حرف الراء

٣٧

أهينمةٌ حديثُ القوم أم هُمْ سكوتٌ بعدما متع النهارُ
عزيزٌ كان بينهم نبياً فقول القوم وحي لا يحار
كأنا بعد مسلمةَ المرجّى شروب طوحت بهم عقار
أوَ آلاف هجان في قيود تلفت كلما حنت ظؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم تريح غيبّهم عنها الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

(١) قال الوليد بن يزيد :

وان على شاطي الفرات لفتية يودون لو كانوا بما لم ينشدوا
حدونا وساقونا فنحن كما ترى نسوق كما ساقوا ونحدو كما حدوا

حماسة البحتري ص ١٦١

٣٨

لقـد قذفوا أبا وهب بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليـه شهادة عالمٍ بهم خبير

٣٩

أنا ابن أبي العاصي وعثمانُ والدي ومروان جدِّي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ثقيفٍ وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن يك خاله نبيٌّ الهدى يقهرْ به من يفاخر

٤٠

ألا حبذا سُفرَى وإن قيل إنني كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليَّ أن يظل نهارنا الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

٤١

شاع شعري في سليمى وأشتهرْ ورواه النـاس بادٍ وحضرْ
وتهادته العذارى بينهـا وتغنين به حتى اشتهر
قلت قولاً لسليمى معجباً مثل ما قالــ جميلٌ وعمر
لو رأينـا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألفٍ للأثر
واتخذناهـا إماماً مرتضى ولكانت حجَّنا والمعتمر
إنما بنتُ سعيدٍ قمرٌ هل حَرِجنا إن سجدنا للقمر

٤٢

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صِرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

٤٣

عوجا خليليَّ على المحضر والربع من سلامة المقفر
عوجا به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنت لم أذكر

ذكرني سلمى وأيامها إذ جاورتنا بلوى عسجر
بالربع من ودّان مبدى لنا ومحوراً ناهيك من محور
في محضرٍ كنا به نلتقي يا حبذا ذلك من محضر
إذ نحن والحيّ به جيرة فيما مضى من سالف الأعصر

٤٤

إسقني يا يزيد بالقرقاره قد طربنا وحنّت الزمّاره[1]
إسقني إسقني فإن ذنوبي قد أحاطت فما لها كفّاره

٤٥

إسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
إسقني من سلاف ريق سليمى واسق هـذا النديمَ كأساً عقارا

٤٦

أرسلي بالسلام يا سلمَ إني منذ علقتكم غنيٌّ فقيرُ
فالغنى إن ملكتُ أمركِ والفقـ ر بأني أزور من لا يزورُ
ويح نفسي تسلو النفوس ونفسي في هوى الريم ذكرها ما يحور
من لنفسٍ تتوق أنتِ هواها وفؤادٍ يكادُ فيك يطير

٤٧

هلك الأحولُ المشؤ ومُ فقد أرسل المطرْ
ثمت استخلف الوليـ دُ فقد أورق الشجر
فاشكروا الله إنه زائدٌ كلَّ من شكر

***

(١) وبعده: من شرابٍ كأنه دم خشف عتقته هشيمة الخمارهْ
مسالك الأبصار ج ٤ ص ٣٩٨.

٤٨

أدرِ الكأس يمينًا لا تدرْها ليسارِ
إسقِ هذا ثم هذا صاحب العود النُّضار
من كميتٍ عتقوها منذ دهر في جرار
ختموها بالأفاويـ ـه وكافور وقار
فلقد أيقنتُ أني غير مبعوث لنـار
سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار
وذروا من يطلب الجنـ ـة يسعى لتبار

٤٩

إسقني يا زيدُ صرفًا إسقني بالطرَجهارهْ
إسقنيها مرةً يأ خذني منها استدارهْ
إسقنيهـا كي تسلي ما بقلبي من حرارهْ [1]

* * *

(١) قال الوليد بن يزيد :

سليمى تيكِ [*] في العيرِ قفي إن شئتِ أو سيري
فلما أن دنا [**] الصبح بأصوات العصافير

الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ٢٠٨

خرجنا نبتغي الصيد بأمثال اليعافير
إذا ما حقب جال شددناه بتصدير
زجرنا العيس فامّدت بإعذاب وتشمير

الكامل للمبرد ص ٢٢ طبع أوروبة زيادة على ما في كتاب الحيوان .

(*) لعلها : تلك . (**) وفي الكامل : بدا .

حرف السين

٥٠

خفَّ من دار جيرتي يا ابن داودَ أُنسها
أوَ لا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم تَقض لبسها
برزت كالهلال في ليلةٍ غاب نحسها
بين خمسٍ كواعبٍ أكرم الخمس جنسها

حرف العين

٥١

أتاني سنانٌ بالوداع لمؤمن فقلت له : إني الى الله راجعُ
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلتَ وشلّت من يديك الأصابع
يقولون: لا تجزع وأظهرْ جلادةً فكيف بما تجني عليه الأضالع

٥٢

ألا أيها الركبُ المخبُّون أبلغوا سلاميَ سكانَ البلاد فأسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنتُ لكم إن لم تعقني عوائق بأن سماء الضرّ عنكم ستقلع
سيوشك إلحاقٌ معاً وزيادة وأعطية مني عليكم تبرّعُ
محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

٥٣

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تجدْ نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرتُ لهم رأسي فلا أتقنعُ

***

٥٤

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى ... مِكيالَه الأوفرَ قد طُبِّعا

كِلْناه بالصاع الذي كاله ... وما ظلمناهُ بهِ إصبعا

وما أتينا ذاك عن بدعةٍ ... أحلّه الفرقانُ لي أجمعا

٥٥

ياسلمَ كنتِ كجنة قد أطعمت ... أفنانها دانٍ جناها موضعُ

أربابها شفقاً عليها نومهمْ ... تحليل موضعها ولما يهجعوا

حتى إذا فسخَ الربيع ظنونهم ... نثر الخريف ثمارها فتصدّعوا

٥٦

ياويحَ جنديِّ الأولى جاروا ومانظروا ... في غِبِّ أمرِ عمودَ الدين لو وقعا

ألقحتُها ثم شالت عاقداً آنفاً ... ما تنجوها فيلقوا بعدها رُبَعا

حرف الفاء

٥٧

أباحكمُ المبتولُ لو كنتَ تعتزي ... الى أسرة ليسوا بسودٍ زعانفِ

لأيقنتُ قد أدركتَ وِتركَ عنوةً ... بلا حكمٍ قاضٍ بل بضرب السوالف

٥٨

ألا أبلغ أبا عثما ... نَ عذرةَ معتبٍ أسفا

فلستُ كمن يودُّكَ بالـ ... لسان ويكثر الحلفا

عتبتَ عليَّ سيفي أشيا ... ء كانت بيننا سَرَفا

فلا تُشمت بيَ الأعدا ... ء والجيران مُلتهفا

تودُّ لو أنني لحمٌ ... رأتهُ الطيرُ فاختطفا

ولا ترفعْ به رأساً ... عفا الرحمن ما سلفا

***

٥٩

طابَ يومي ولذَّ شرب السلافهْ إذ أتانا نعيُّ مَن بالرصافهْ
وأتانا البريدُ يَنعى هشاماً وأتانا بخاتمٍ للخلافهْ
فاصطبحنا بخمر عانةَ صِرفاً ولهونا بقينةٍ عزّافهْ

حرف القاف

٦٠

أسُعدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقِ
بلى ولعل دهراً أن يؤاتي بموتٍ من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقرُّ عيني ويُجمع شملنا بعد افتراقِ

٦١

فلما أضاءتْ عصافيرُهُ ولاحتْ تباشيرُ أرواقهِ
غدا يَقتري أبقاً عارياً ويَلبسُ ناضرَ أوراقهِ

٦٢

أمّ سلاّمَ ما ذكرتكِ إلاّ شرقت بالدموع مني المآقي
أمّ سلاّمِ ذكركم حيث كنتم أنت دائي وفي لسانك راقي
ما لقلبي يجول بين التراقي مستخفاً يتوق كلَّ مَتاق
حذراً أن تبين دارُ سُليمي أو يصيح الداعي لها بفراق

حرف الكاف

٦٣

أراني اللهُ يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تجزين من تيّمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاكِ
ومن لو مت مات ولا تموتي ولو أنسي له أجل بكاكِ

ومن حقاً لو أعطي ما تمنى   من الدنيا العريضة ما عداكِ
ومن لو قلتِ مُت فأطاق موتاً   اذاً ذاق الممات وما عصاك
أثيبي عاشقاً كلفاً مُعنّى   اذا خدِرت له رجلٌ دعاك

٦٤

أمُّ سلاّمٍ لو لقيت من الوَجـد عشير الذي لقيتُ كفاكِ
فأثيبي بالوصل صبّاً عميداً   وشفيقاً شجاه ما قد شجاك

حرف اللام

٦٥

دعوا لي سُليمي والطلاء وقينةً   وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملةِ عالجٍ   وعانقتُ سلمى لا أُريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبّت الله ملككم   ثباتاً يساوي ما حييت عِقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى   ولا تحسدوني أن أموت هُزالا
أبالملك أرجو أن أُخلّد فيكم   ألا رُبّ ملك قد أزيل فزالا
ألا رُبّ دار قد تحمّل أهلها   فأضحت قفاراً والديار خلالا

٦٦

أليس عظيماً أن أرى كلّ وارد   حياضك يوماً صادراً بالنوافلِ
فأرجع محدود[1] الرجاء مصرّداً   بتخلية عن ورد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت آمُل منكم   وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمل
كمقتبضٍ يوماً على عرض هبوة   يشدّ عليها كفّه بالأنامل

* * *

(١) « محدود الرجاء » كلمات مختارة ص ٢٧

٦٧

ألم تهتج فتذكّرَ الوصالا ... وحبلاً كان متصلاً فزالا
بلى فالدمع منك له سجام ... كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادّكارك آل سُعدى ... فنحن الاكثرون حصىً ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً ... نسومهم المذلة والنّكالا
وطئنا الأشعرين بعزّ قيس ... فيالك وطأةً لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسيراً ... ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً ... جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائلَ ذاتَ عز ... لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً ... يسامُ من سلاسلنا الثقالا
وكندةُ والسكون فما استقالوا ... ولا برحت خيولهم الرّحالا
بها سُمنا البرية كلَّ خسف ... وهدّمنا السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم ... وجذّتهم وردتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً ... نسومهم المذلة والسفالا
فأصبحتُ الغداة عليَّ تاج ... لملك الناس ما يبغي انتقالا

٦٨

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً ... إلى المقاريف ما لم يخبر الدَّخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بُطراً ... وإن أهنتهم ألفيتهم ذُللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ... ستعلمون إذا كانت لنا دولا
أنظرْ فإن كنت لم تقدر على مثل ... له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بينا يسمّنه للصيد صاحبه ... حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ... ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

***

٦٩

من مبلغ عني أبا كامل ... أني إذا ما غاب كالمابل
قد زادني شوقاً إلى قربه ... ما قد مضى من دهرنا الحائل
إني إذا عاطيته مرة ... ظلت يوم الفرح الجاذل

٧٠

عينيّ للحدث الجليل ... جودا بأربعة همول
جودا بدمعي إنه ... يشفي الفؤاد من الغليل
لله قبرٌ ضمنت ... فيه عظامُ ابن الطويل
ماذا تضمن إذ ثوى ... فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوي من هوا ... ك إلى ذرى كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً ... فرداً بمدرجة السيول

٧١

وزق وافر الجنبيـن مثل الجمـل البازلْ
به رُحت إلى صحبي ونَدماني أبي كامـل
شربناه وقـد بتنـا بأعلى الدّير بالساحل
ولم نقبل من الواشي قبول الجاهل الخاطل

٧٢

عرفت المنزل الخالي ... عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنّان ... عسوف الوبل هطّال
لسلمى قرّة العين ... وبنت العم والخال
بذلت اليوم في سلمى ... خطاراً أتلفت مالي
كأن المسك في فيها ... سحيق بين جريال

***

٧٣

خبّروني أنَّ سلمى خرجت يوم المصلّى
فإذا طيرٌ مليح فوق غصن يتفلّى
قلت من يعرف سلمى قال: ها ، ثم تعلّى
قلت يا طير ادنُ مني قال: ها ، ثم تدلّى
قلت هل أبصرت سلمى قال: ها ، ثم تولّى
فنكى في القلب كلْماً باطناً ثم تعلّى

٧٤

هل إلى أمّ سعيد من رسول أو سبيل
ناصح يخبر أني حافظ ودّ خليل
أبذل الود لغيري وأكافي بالجميل
لست أرضى لخليلي من وصالي بالقليل

٧٥

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي
وسقّيتها معبداً وكل فتى فاضل
لي المحضُ من ودهم ويغمرهم نائلي
فما لامني فيهم سوى حاسد جاهل

٧٦

طرقتني وصحابي هجوعٌ ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلّت في رؤوس الجبال
تقطع الاهوال نحوي وكانت عندنا سلمى ألوف الحجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشة قتالة للرجال

* * *

٧٧

أنا الوليدُ الإمامُ مفتخراً أنعمُ بالي وأتبعُ الغزلا
أهوى سليمى وهي تصرمني وليس حقاً جفاءُ من وصلا
أسحب بردي إلى منازلها⁽¹⁾ ولا أبالي مقالَ من عذلا
غرّاءُ فرعاءُ يُستضاء بها تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلا

٧٨

قد أغتدي بذي سبيب هيكل مشرّب مثل الغراب أرجلِ
أعدّدته لحادثات الاحول وكل نقع ثائرٍ لجحفل
وكل خطب ذي شؤون معضلِ

٧٩

يا رُبَّ أمر ذي شؤون جحفل قاسيتُ فيه خلباتِ الأحولِ

حرف الميم

٨٠

ضمنت لكم إن سلم الله مهجتي عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرّمِ
فلا تُعجلوني لا أبا لأبيكم فإني لكم كالوالد المترحم

٨١

أنا الوليدُ أبو العباس قد علمت عليا معدّ مدى كرّي وإقدامي
إني لفي ذروة العليا إذا انتسبوا مقابَل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وكلاً على منار مضيئاتٍ وأعلام
حللت من جوهر الاعياص قد علموا في باذخ مشمخرّ العز قمقام

(١) في الكامل ١ / ٤١٢ : انقل رحلي إلى مجالسها

صعبُ المرام يسامي النجمَ مطلعُه   يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

٨٢

ألا يسليك عن سلمى   فتيرُ الشيب والحلمُ
وأن الشك ملتبس   فلا وصل ولا صرمُ
فلا والله رب النا   سِ مالكِ عندنا ظلمُ
وكيف بظلم جارية   ومنها اللين والرُّحم

٨٣

أتانا بريدان من واسطٍ   يخبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى   أمسلم لا تبعدنْ مسلمه
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد   تضيءُ فقد أصبحت مظلمه
كتمنا نعيك نخشى اليقين   فجلى اليقينُ عن الجمجمه
وكم من يتيم تلافيته   بأرض العدو وكم أيمه
وكنت إذا الحرب درت دماً   نصبت لها راية مُعلمه

٨٤

إن كأسَ العجوز كأس رواءٍ   ليس كأسٌ ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً   في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيـ   ـل لظلاّ في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلـ   ـقَ فوافى لذاك غيرَ حكيم

٨٥

طال ليلي فبت أسقى المداما   إذ أتاني البريد ينعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيب   وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الوليَّ من بعد فقديـ   ـه بفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قرم قريش   خيرُ قوم وخيرهم أعماما

٨٦

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامةَ صرفاً في إناء من الزجاج عظيم
جنبوني أذاةَ كل لئيم إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كريم فأذيقوه بعضَ مسّ النعيم
ليت حظي من النساء سليمى إن سلمى جُنينتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها إن من لامني لغير رحيم

٨٧

خيلي وربّ الكعبة المحرّمه سبقن أفراسَ الرجال اللوَّمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه كذاك كنا في الدهور القدَّمه
أهلَ العلى والرُّتب المعظمه

٨٨

نام من كان خلياً من ألم وبداني بتُّ ليلي لم أنم
أرقُب الصبح كأني مُسند في أكفّ القوم تغشاني الظُلَم
إن سلمى ولنا من حبها ديدن في القلب ما اخضرّ السلم
قد سبتني بشتيتٍ نبته وثنايا لم يَعبهنّ قضم

٨٩

بأبّنا عني سُليمى وسلاها ليَ غمّا
فعلت في شأن صب دنفٍ أشعر همّا
ولقد قلت لسلمى إذ قتلتُ البين علما
أنت همي يا سليمى قد قضاه الرب حتما
نزلت في القلب قسراً منزلاً قد كان يُحمى

حرف النون

٩٠

رأيتكَ تبني جاهداً في قطيعتي فلو كُنت ذا إربٍ لهدّمتَ ما تبني
تُثير على الباقين مجنى ضغينة فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم والليتُ أفضل قولهم ألا ليتنا والليتُ إذ ذاك لا يغني
كفرتَ يداً من مُنعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

٩١

حبّذا ليلتي بدير بَوَنّا حيث نُسقى شرابَنا ونغنّى
كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنّا جُننّا
ومررنا بنسوة عطرات وغناءٍ وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفةَ الله فُطرو سَ مجوناً والمنشارَ مُجنّا
فأخذنا قربانهم ثم كُفّر نا لصلبانِ ديرهم فكفرنا
واشتهرنا للناس حيث يقولو ن إذا خُبّروا بما قد فعلنا

٩٢

منازلُ قد تحلُّ بها سليمى دوارسُ قد أضرّ بها السنونُ
أميتُ السر حفظاً يا سليمى إذا ما السرّ باح به الخزون

٩٣

ويحَ سلمى لو تراني لعناها ما عناني
متلفاً في اللهو مالي عاشقاً حور القيان
إنما أحزن قلبي قول سلمى اذ أتاني
ولقد كنت زماناً خالي الذرع لشاني
شاق قلبي وعناني حبّ سلمى وبراني
ولكم لام نصيح في سليمى ونهاني

٩٤

عَلِّلاني واسقياني ... من شراب إصبهاني
من شراب الشيخ كسرى ... أو شراب القيرواني
إنَّ في الكأس لمِسكاً ... أو بكفَّي من سقاني
أو لقد غودر فيها ... حين صبت في الدنان
كَلِّلاني توِّجاني ... وبشعري غنياني
أطلقاني بوثاقي ... واشدُداني بعناني
إنما الكأس ربيع ... يُتعاطى بالبنان
وحُميا الكأس دبت ... بين رجلي ولساني

٩٥

إني سمعت خليلي ... نحو الرُّصافة رنّه
خرجت أسحب ذيلي ... أقول ما شأنهنه
إذا بنات هشام ... يندبن والدهنه
يندُبنَ شيخاً كريماً ... وكان يكرمهنه
يقلنَ ويلي وعولي ... والويل حل بهنه
أنا المخنث حقاً ... إن لم أنيلهنه

٩٦

وصفراء في الكأس كالزعفران ... سباها التجيبيُّ من عسقلانِ
تريك القذاةَ وعرض الإنا ... ء ستر لها دون لمس البنان
لها حببٌ كلما صفقت ... تراها كلمعة برق يمان (١)

---

(١) قد جعلنا طوافنا بالدنان ... حين طاف الورى بركن يماني
يسجد الساجدون لله حقاً ... وجعلنا سجودنا للقناني

حلبة الكميت ص ٩٨

حرف الياء

٩٧

ألم تر أني بين ما أنا آمن ... يُخب بي السندي قفراً فيافيا
تطلعتُ من غور فأبصرت فارساً ... فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس ... وقفت له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثاً ثم إني طعنته ... فروَّيت منه صعدتي وسنانيا

٩٨

قامت إليَّ بتقبيل تعانقني ... رياً العظام كأن المسك في فيها
أدخلْ فديتك لا يشعر بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لا نوم على سُرر ... من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها ... حان الفراق فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنا أحد ... والله عني بحسن الفعل يجزيها

٩٩

أقصرا عن ملامتي عاذليّا ... إن عذلي يزيدني اليوم غيّا
لا تلوما هُديتما إن قلبي ... عشق اليوم شادناً قرشيا

١٠٠

لقد أغدو على أشقـــر يغتال الصحاريا

١٠١

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديه
إن هذا لقضاء ... غير عدل بأخيه
ليت من لام محبا ... في الهوى لاقى المنيه
فاستراح الناس منه ... ميتة غير سويه

نقـــد

كتب الدراسة للعلوم العربية بافريقيا الشمالية

من محاضرة ممتعة تلاها العلامة سيدي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي في مؤتمر اللغة والآداب العربية الذي انعقد بتونس أيام ١٤ و١٥ و ١٦ كانون الاول ١٩٣١ الموافق ٤ و٥ و ٦ شعبان ١٣٥٠ ، وألقاها مؤلفها في جلسة المؤتمر الاخيرة الرسمية ، ننشرها ليطلع القراء على آثار علماء المغرب العربي .

غير خفي أن علة العلل في تأخر الأمة العربية أو الأمم الإسلامية هو داء الامية ، وكل يعلم مضارها العظمى وأثرها السيئ فينا بما يغني علمه عن بيانه لذلك أرى أن أول داء نبادر لعلاجه وحسم مادته هو ذلك الداء العضال الخطر داء الامية .

ولا تزول جراثيمه إلا إذا تساوى أفراد الأمة ذكوراً واناثاً في قدر من العلم الادبي والتهذيب يزول به سوء التفاهم بين أفراد الامة ، وهو أقل ما يكفي لان يصل به الكل إلى معرفة ما يصلح مجتمعهم أو يضر جامعتهم ، فيكونوا كجسم واحد يحس بما يؤلم أعضاءه ويهتدي للدواء الحقيقي فيتطلبه من حيث ينبغي تحصيله .

ولا سبيل بحسب العادة إلى الوصول إلى هـذا القدر إلا بتسهيل تعليم القراءة والكتابة وبه زوال غشاوة الامية عن أبصار الأمة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) كان النبي العربي (ص) يعالج داء الجهل بنفسه المقدسة يباشر تعليم الامة وتهذيبها شفاهياً ، ويزيل عنهم داء الامية ، فيأمرهم بكتب القرآن في الصحف واللخاف والعظام وغيرها مما كانوا يكتبون فيه .

ولقد أناف كتابه صلى الله عليه وسلم الذين يكتبون له الوحي وغيره على الاربعين كاتباً من أعيان الصحابة الكرام ترفيعاً لشأن الكتبة ، وكان يرغبهم في نبذ الامية وتعلم الكتابة والقراءة

وقد ثبت في السير أنه لما أسر بعض كفار قريش في غزوة بدر ، وكانوا يحسنون الكتابة ، وكان أهل مدينته عليه السلام يجهلونها ، جعل فداء بعض الاسرى أن يعلم الاسير عشرة من أبناء المدينة المنورة ، فإذا علمهم نال حريته وأطلق من أسره بدون شيء سوى ذلك ٠

ومن افتدى بالمال كان يؤدي من الاربعة آلاف دينار إلى الثلاثة إلى الالفين الى الالف كل أسير على قدر ماله ، فانظر قيمة تعليم الكتابة كم كانت تساوي ، فإن تعليم الفتى الواحد يساوي اربعماية دينار إلى مابة دينار ، وليس ذلك بغال في سبيل إتلاف داء الامية ، لذلك لا نستعظم ما تقرره الدولة في ميزانيتها للتعليم حيث تنسبه إلى عدد المتعلمين كل سنة ٠

ما هي الامية ؟

الامية في الزمن النبوي وما يقرب منه كانت عبارة عن عدم معرفة القراءة والكتابة فمن عرفهما لم يبق أمياً حيث كانت اللغة واحدة ، فلغة التخاطب والتفاهم هي الفصحى سواء فيها الأشراف والسوقة ، ولم يكن لديهم لغتان عامية وفصحى ، فكان الناس متساوين في فهم ماخوطبوا به من القرآن والسنة والأوامر والنواهي والمنشورات والمكاتب والخطب والشعر ، وإنما تفاوتهم بالذكاء وزيادة المعلومات ٠ اما في الوقت الحاضر فالذي يعرف القراءة والكتابة فقط من غير أن يفرق بين التراكيب الصحيحة والفاسدة هو أمي أو ملحق به ، حيث جهل اللغة الفصحى التي هي لغة النشر ، ولا يخرج عن سجن الامية إلا إذا عرفها ولو معرفة ابتدائية ، وان لم يصل إلى حد التعمق في الدقائق ، فهذا يخرج من صف الاميين ويدخل في صف أهل العلم ، إذ يمكنه ان يتوقى اللحن في كلامه وان لا يغلط في فهم كلام غيره بحيث لا ينقلب له الضارب مضروباً ، وبذلك يفهم خطب الخطباء غير المتكلفين لسجع الكهان ولا المتعمقين في التراكيب المعقدة المتظاهرين بمظاهر

النفخة العلمية ، ويفهم المنشورات الدولية والجرايد السيارة ليطلع منها على أحوال العالم ويعرف ما عند غيره فيخرج من عزلة الانفراد ويفهم لغة المراسلة التي لا يرضى أحد من أهل العلم ان يتنازل عنها ولا أن يكتب بدرجة أسفل منها ، وهي لغة الشريعة ولغة القوانين والظهائر والمنشورات الحكومية ، فالحصل على هذا القدر ليس بأمي بل هو عارف بما له وعليه ، عضو عامل في المجتمع بخلاف الامي الجاهل بذلك فإنه كعضو اشل ضرره على مجتمعه أكثر من نفعه (إلا نادراً وعلى خرق العادة) لعدم تمييزه بين ما هو ضار أو نافع ، فربما اختار الضار على النافع من حيث لا يشعر ، والامي بسيط الفكر ينخدع لكل مهيج ، فيقع في شباك الفتانين بأقل إشارة بخلاف الذي يقرأ الكتب ويطالع الجرائد فإنه يكون مشاركاً للعقلاء في تفكيرهم لا تنطلي عليه حيل المحتالين غالباً ؛ إذا علم هذا القدر علمنا أننا لسنا مطالبين أمام أمتنا العربية بتعليمها الحروف العربية والكتابة وقراءة الجمل قراءة بسيطة فقط ، بل نحن مطالبون بتعليمها تعليماً ابتدائياً لغة النشر فيجب أن نعم هذا بين أفراد الأمة ذكراناً وأناثاً بقدر الإمكان ، هذا التعليم الذي أريده لا يحصل إلا بتعليم مالابد منه من النحو والصرف ومصطلحات كتب اللغة الابتدائية كمصباح الفيومي ومختار الصحيح للرازي ونحوهما بحيث يمكن للمتعلم أن يراجع لفظة عربية اعترضت فهمه في آية أو شعر ، ومرادي من النحو هو ما قال أمام الادباء أبو عمرو الجاحظ : علم ولدك من النحو ما يعرف أن يميز بين العبارة الصحيحة والعبارة الفاسدة وإياك أن تكثر عليه من النحو فإنه خبال .

فوصية هذا الامام ينبغي أن يقتصر في التعليم الابتدائي على القدر الضروري الذي يحتاج اليه من يريد أن يتوقى اللحن فيما يعبر به عما في ضميره والغلط في فهم عبارة غيره كما تقدم ، وهذا القدر لا يلزم فيه ان يدرس ألفية ابن مالك وشروحها ولا كافية ابن الحاجب وشافيته فضلا عن التوضيح والتسهيل أو نحوهما مما كانت تسميته من باب الاضداد .

إن من يريد أن يمر بالعلمين ليتزود منهما زاد مسافر يوصله لغيرهما من المقاصد غير محتاج إلى دراسة أمثال هذه الكتب للسبية بكثرة اختصارها واحتياج رموزها إلى شرح ، وشروحها إلى حواش وأخذ ورد وقبول ونقد ، فالدراسة بها تحتاج إلى أمد يقتطع

الطالب اليها ثلاث سنوات أو أربعا لا يزاول غيرها ، وأنى لأبنائها أن يجدوا هذا الوقت في المدارس الثانوية فضلا عن الابتدائية ، ليس للاولاد في المدارس سوى ثلاث ساعات أو ساعتين في الاسبوع مخصصتين للنحو في بعض الصفوف دون بعض ، ولا يتسع الوقت لأكثر من ذلك لانهم مطالبون في الاوقات الاخرى بعلوم دينية وأدبية اخرى مع العلوم العصرية التي أصبحت ضرورية لمعاشهم وازدهار مستقبلهم ، وهذه الساعات لا تسع الدراسة بكتب ابن مالك وابن هشام مثلا بل لا تصلح لها مقدمة ابن اجروم نفسها كما سنبينه بعد . ان هذه المدارس الدولية ابتدائية وثانوية هي اهم ما يعتمد الآن عليه في حفظ اللغة والعلوم العربية لكثرتها وانتظام سيرها ولولاها لكانت لغتنا في خطر ، إذاً فالضرورة قاضية علينا بتأليف كتب تنطبق على حاجة ابنائنا تصلح للدراسة في فني النحو والصرف وغيرهما من الفنون؛ فمن المتعين علينا ان نؤلف كتباً وطنية دراسية في كل علم نحن في حاجة اليه موافقة لحاجتنا ومطابقة لتفكيرنا ، وتكون على ثلاثة اصناف : صنف للمدارس الابتدائية وصنف للثانوية وصنف للنهائية ، فالصنف الاول يجمع بعض قواعد النحو وهي الضرورية منها التي لابد منها في إصلاح المنطق والكتابة كما تقدم ، وقد رأيت من هذا الصنف جملة الفت في الشام ومصر وغيرهما ، وتقع الدراسة ببعض منها في المدارس الدولية عندنا في المغرب

ولكنها لم تسلم من نقد وقليلة لم تتمكن من تعميم التعليم بها لقلة ما يرد منها وغلاء اثمانها غلاء مشطاً ، ولم يستحسن احد ادخالها في تعليم القرويين الابتدائي ، فالواجب على علماء افريقية الشمالية أن يؤلفوا مثلها مما يسلم من النقد تنشره ادارة المعارف على نفقتها ليعم التعليم به في جميع البلاد الافريقية ، لان اختلاف التعليم والاساليب مضرة ، فكم من طالب ينتقل مع والديه من مدينة الى مدينة او من مدرسة إلى اخرى في مدينة واحدة فيختلف عليه الكتاب الذي يدرس به وتضيع ايام الدراسة عليه ، وكم من واحد بدأ اول السنة بمدرسة بسفينة النجاة السورية ، فقرأ أحكام الافعال دون الاسماء، ولما انتقل وسط السنة لمدرسة أخرى تقرأ بالاجرومية مثلا وجدهم قرأوا أحكام الاسماء وهو لم يقرأها ، فضاعت عليه سنة وسقط في الامتحان طبعاً حيث الامتحان عندنا في العربي مثل الفرنسوي سوانية .

الصنف الثاني : كتب تؤلف لتلاميذ الثانويات تكون أجمع للقواعد من الاولى وأرقى تعليما منها ، وتشتمل على جملة من شواهد الكلام الفصيح فتهيء دارسها لان يكون منشئا خطيبا وسطا •

الصنف الثالث : كتب تؤلف لاصحاب التعليم العالي في القرويين والزيتونة وأمثالها تجمع جميع قواعد النحو ولا تشذ عنها شاذة بجميع شروط كل قاعدة وقيودها ومستثنياتها وتأتي لكل قاعدة باصولها من الكلام العربي والقرآن العظيم والسنة الصحيحة ، وتجمع ما هو مفترق من القواعد في الالفية وشروحها كالاشموني وحواشيه والمغني والتسهيل وكافية ابن الحاجب وكتاب سيبويه وشروحها بحيث لا يبقى الطالب محتاجا للبحث عن قاعدة ما في كتاب من كتب النحو المتفرقة والتي لا يتيسر لكل أحد امتلاكها ، وتهيئه لان يصير منشئا خطيبا من الدرجة الاولى عربيا قحا •

لا أريد كتبا تختصر من الكتب السالفة الذكر اختصارا بل أريد ممن يؤلف في النحو كتب الدراسة أن يثور ثورة مهولة جريئة على النحويين فيكسر السجن الذي سجنونا وسجنوا فيه أنفسهم ، ويطلقنا من ربقة أفكار المؤلفين ولا سيما المتأخرين ، فينبذ وراء ظهره الاسلوب الذي التزموه وهو تضخيم علم النحو وتكثيره وصيرورته علما عظيم الجثة بالعمامة والثياب حتى صار شبحا مخوفا فحرموا من النفع به عموم الامة وكانوا سببا في ابعادها عن لغة القرآن وعن لغتها المحبوبة وحرموها من التقدم وزوال الامية •

أريد ممن يؤلف أن يقلب وضعية العلم رأسا على عقب اعرابا وتصريفا

(١) فلينبذ تلك التعاريف المعقدة التي أول من جاء بها الرماني ، والتي الجأتنا إلى النزاع هل تعريف الفاعل رسم أو حد ، وقد ادخل فيه الحكم الذي هو الرفع أو العرض العام وهما لا يدخلان الحدود وهي قاعدة منطقية والمنطق يتأخر طبعا عن النحو فكيف يقدم

(٢) ولينبذ عنا ما خلط بالفن من قواعد علمي المعاني والبيان اللذين هما كنتيجة لعلم النحو ويتكرر على التلميذ قراءتهما عند ما يقرؤهما في الوقت المخصص لها وذلك مما ضخم به صاحب التصريح على التوضيح كتابه ، وأفاض فيه حشوه مثلما فعلوا في

مبحث حروف الجر هل ينوب بعضها عن بعض مجازاً أو استعارة ، مع أن هـذا مبحث لغوي وقد كرروه حتى في علم الاصول فزادوا النحو صعوبة ، وهكذا علم الوضع أتوا بجل قواعده في علم النحو ، وكل من هذه العلوم له تآليفه ويطلب في إبانه ، ومن طلب الشيء قبل إبانه عوقب بحرمانه .

(٣) ولينبذ عنا كل حجج النحويين وتوجيهاتهم الخيالية التي ليست عليها مسحة من القبول ، وليقتصر على الاستدلال بالسماع الصحيح الذي تلقاه ثقاة أهل الفن كالخليل وسيبويه ويونس والاصمعي وأمثالهم من العرب الموثوق بعربيتهم ، فليجتنب تلك الحجج الخيالية التي هي فلسفة باردة ضخمت بها الكتب وضاع فيها الوقت ، فهم أنفسهم يقولون: لوهي من حجة نحوي ، والعرب أبعد الناس عن تلك الفلسفة الخيالية . وإن تعجب فاعجب للنحويين اخترعوا ادلة باردة سمجة ونبذ الفقهاء من كتبهم الادلة التي بنيت على الاصول القوية والتي لا يكون الفقيه فقيها إلا اذا عرفها وحررها .

(٤) ولينبذ عنا كل خلاف كوفي أو بصري أو بغدادي وكل تحزب لفريق ضد الاخر ، فالعلم لا وطن له ، وكل قول عضده سماع صحيح فصيح لم تلجىء اليه ضرورة الشعر فصحيح مقبول ، لان من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي وزيادة الثقة مقبولة في كل فن ، فلا معنى لبقاء الخلاف بعد ثبوت السماع الا تكثير الشغب والجمود على التحيز لفريق دون آخر ولغة العرب ليست بصرية ولا كوفية .

إن جل مسائل الطب فيها خلاف ولكن الطبيب لا يعالج مرضاه بقوله في علاج هذا الداء خلاف بل يعالجه من طريقة يختارها وتترجح عنده صوابيتها ، ولو أراد تتبع الخلاف ما عالج مريضا ولماتوا كلهم قبل رفع الخلاف .

وعلى كل حال ان كل قول تجرد عن الدليل الصحيح فلينبذه ولا يعرج حتى على حكايته ويكفي ان يقول أول الكتاب كل مسالة نحوية لا تخلو من خلاف بين بصري و كوفي غالباً .

(٥) ولينبذ التأويلات البعيدة في السماع الصحيح الظاهر فان ذلك محض خيال وجحد للحق ، فتكلف التأويل هو الذي فتح على الاسلام كل ويل ، ولو فتح بابه لسقط على النحويين كل قواعدهم لانها إنما تستند للسماع الصحيح الظاهر غالباً وهو قابل للتأويل .

(٦) ولينبذ تعليل بعض القواعد النحوية التي انحصر أفرادها فلم تحتج لتعليل ولا لتقييد كتعليل بناء بعض الاسماء كالضمائر وأسماء الإشارة بشبه الحرف ، فالمبنيات من الاسماء محصورة وما كان عليهم إلا أن يعدوها عداً ويمسكوا عن الأوهام الباطلة فالبناء جمود كالعدم بل هو عدم اختلاف الحركة الأخيرة مهما اختلفت العوامل ، والعدم لا يعلل على أن تلك التعاليل لا تخلو من نقد وأخذ ورد مما دل على فسادها واراقة بحور المداد على بسيط من أرض الرق من غير فائدة تجتلب ، فليس هناك مجهول استنتجوه ، ولا عويص افترعوه . بالله عليكم أي حاجة بنا لمعرفة علة بناء الاسم وكون بنائه على حركة وكونها خصوص كذا ؟ كل ذلك باطل ، وجيده من الفوائد العلمية عاطل ، وإنما هو تضخيم وتطويل لما خلقه الله قصيراً وتكثير للقليل بخيال أشبه بالخبال ، ولا خطر لعربي يبال ولا إسلامي قبل خوض الفارسيين في علوم العرب ، وإنما العرب كانت تنطق حسب أذواقهم السليمة وفكرتهم البدوية البسيطة المستقيمة لا شعور لهم بما تخيله النحويون ولا بما تفلسف به الفرس البصريون والكوفيون ، ومصلحة الأمة في تقصير علم النحو فطولوه ، وتقليله فضخموه ، فليجتنب المؤلف أمثال هذه الأحاجي المترذلة .

(٧) ولينبذ تعقيد قواعد ليست لها فوائد وإنما هي كمد الموائد للطعام ولا طعام ، كقاعدة إن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوغ ويطيلون ذيول القاعدة ببيان المسوغات ، ثم يكثرون على ذلك بما يشبه أن يكون مبطلا له ، وهو أن المدار على حصول الفائدة ، ونسوا أنهم قعدوا قاعدة أول الفن ، إنهم لا يعتبرون من الكلام إلا ما كان مفيداً ، فأي فائدة حصلت من هذه القاعدة ؟ وهكذا القاعدة الأخرى المشابهة لها أو المأخوذة منها ، وهي ان صاحب الحال لا يكون نكرة إلا بمسوغ وينوعون المسوغات ، ثم يقولون انه ورد في الصحيح بدون مسوغ صلى النبي (ص) قاعداً وصلى وراءه قوم قياماً فصار حاصل الفذلكة صفراً .

وكقاعدة ان المصدر المنكر لا يكون حالا بقياس وإنما هو موقوف على السماع مع وروده بكثرة في الكلام الفصيح ومع الثبوت المستفيض لم يبق ما يوجب تحجير القياس مع ثبوت إطلاق المصدر على اسم الفاعل واسم المفعول ، ما ذاك إلا خيال التوجيهات النحوية والفلسفة الباردة .

وكقاعدة أن لا يحذف الجار وينصب مجروره قياساً وابقاءه على السماع مع وروده كثيراً في الفصيح، وقد رأيناهم في مسائل أخرى إذا وردت جزئية أو جزئيتان عن العرب أباحوا القياس، والمنع مخالف لاصل القياس المبني على أن الحكم يدور مع العلة فليس التحجير إلا من خيال الفلسفة الباردة ٠

وقد أقدم ابن مالك كثيراً في مواضع من الالفية على نبذ التحجير المجحف كقوله:

وسبق حال مابحرف جرّ قد ابوا ولا أمنعه فقد ورد

وكقوله في منع العطف على ضمير الرفع المتصل :

وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا

فبأمثال هذه القواعد وهذه التحجيرات والنزاع فيها وفي توجيهاتها الفلسفية الباردة طال علم النحو وضخم ومصيبة الامية جاءت الامة من طوله وضخامته ٠

(٩) ولينبذ وراء ظهره أن يذكر في تآليف الدراسة الابتدائية ما لا يصل إلى فهمه أهلها مثل تعريف الكلام والكلم والكلمة واللفظ والمفيد الخ ٠ ٠ فتعريف أمثال هذه الامور لا يحتاج اليها المتوسط ولا تقيده ولا يجوز إتعابه وإتلاف وقته فيها فضلاً عن المبتدئ لقلة جدواها وإنما فيها إرهاب طالب النحو إذ يجد هذه المسائل الصعبة القليلة الجدوى في أوله فيظنه كله صعباً فيذهب مهرولا ويترك لهم نحوهم يقيمون زيدهم ويضربون عمروهم٠

ومثل ذلك تعريف الاعراب والاختلاف فيه هل هو لفظي أو معنوي ٠ وما أبعد تلك التدقيقات عن المبتدئين بل عن المتوسطين وما أقل جدواها وما أكثر الوقت الذي يضيع فيها ٠

ومن ذلك الاشتغال في كون تقسيم الكلام إلى اسم والى فعل وإلى حرف ، هل من تقسيم الكلي الى جزئياته أو الكل إلى أجزائه ، ثم انهم اعترضوا الكل وأظلموا المسالك بمصطلحات منطقية لا تطلب ولا تفهم إلا بعد تحصيل جملة من النحو ٠ فيالله من قوم لم يرق في أعينهم إلا أن يكون طريق النحو وعراً مظلماً ، وهكذا ما دمت سائراً مع أبواب النحو تجدهم فتحوا الباب بقولهم باب كذا ثم في أول قاعدة أو ثانيتها تجدهم أوصدوه بل جعلوا عليه رصداً وطلسمات بأنواع من الصعوبات ليطردوا الناس عن لغتهم

ويصعبوها عليهم ، وهي من أسهل اللغات وأكثر الصعوبة خلط فلسفة النحو بالنحو وكان ينبغي أن تجعل كتب فلسفة النحو مستقلة للمتخصصين فيه ، وليس عملهم هذا خاصاً بالنحو بل هو داء عياء وصلت عدواه إلى سائر العلوم العربية .

فهذا علم البيان أكثروا فيه من الخيال فصيروه صعب المرتقى ، وقد كان ثمرة يانعة دانية وضخموه بخلافات السكاكي والزمخشري وغيرهما ، حتى انك إذا تطلبت قاعدة من قواعده نقية لم تجدها إلا في وسط مستنقعات من الاوهام والابحاث الجوفاء بل حتى تخوض لأجلها بحوراً من الشمويهات السرابية

وهكذا علم أصول الفقه ضخموه بعلم المنطق والجدل واللغة والتوحيد ، حتى التصوف ، فصار علم الاصول وسط هذه العلوم لا يبصر إلا بمكبرة كاشفة ، كهلال تحت الغمام .

أما علم اللغة الذي هو سماع محض فلم تجد الفلسفة منفذاً اليه فقد ضربوا دونه سداً بالالغاز الاختصارية فلا بد لمن أراد الكشف عن لفظة أن يغوص قاموس التعمية الذي اختصر صاحبه سفراً فأوجب على شارحه عشراً .

أناشدكم الله أيها المؤتمرون أن تأخذوا بيد هذه اللغة العربية الجميلة الراقية من أصل وضعها والتي أضاعها أهلها ، وقضى عليها حب الفخفخة العلمية والاباحة العرفانية ، قضى عليها تكبير العلم وتصغير التآليف ، فبينما هم يريدون تكبير العلم وتصييره في صف العلوم الواسعة الطويلة العريضة إذا بهم يصغرون التآليف فيتسابقون الى الاختصار إلى أن يصلوا حد الالغاز والتعمية فيحوجونا إلى أسفار الشروح والحواشي ، فنريد ممن يؤلف ان تكون له براعة تامة وفكر وقاد ومقدرة واسعة ومبدأ صحيح وجرأة نادرة فلا يختصر لنا ما هو مختصر أو مطول ، ولا يوضح لنا ما هو محتاج لايضاح فقط بل يقلب وضعية العلم وينصرف تصرف الناقد البصير ويستخلص القواعد النحوية أو البيانية أو غيرهما استخلاصاً صحيحاً بفكر مستقل ، فلا يدخل فناً في فن ولا يكثر من القشور حتى يخفى اللب ، ولا يكثر في العلم من الفلسفات الخيالية الباردة ، بل يقتصر على القواعد الصحيحة النقية يفرغها في قالب عربي صميم مصقول على نسق تآليف المتقدمين بحيث يستغني في كل تأليف عن أي شرح أو تكلة بل يكون كافياً للصف الذي الف لاجله مفهوماً بنفسه من غير تشتيت الضمائر ولا احتياج إلى تقدير مضاف ولا احداث اصطلاح لكل كتاب

بل يكون اسلوب التآليف اسلوباً عربياً قحاً سالما من كل ابهام أو ايهام أو لكنة أو تعقيد وانما هو سرد مسائل كل فن وقواعده مستغنياً بالتنصيص عن التعويص من غير تطويل ولا زيادة على المقصود من الفن ولا اختصار مخل به ·

ويكثر في الكتب الابتدائية من الامثلة والتمرينات ، وفي غيرها يكثر من الشواهد العربية والجمل الفصحى والكلام العالي ومهما أتى بقاعدة ساقها تامة القيود والشروط والمستثنيات الى غير ذلك مما تقدم · هذا واننا لمحتاجون لكتب التلاوة والاملاء والمطالعة تكون قوالبها وتراكيب جملها عربية فصحى وتكون مشكولة بأتقن ضبط الا انها تختلف باختلاف أصناف التعليم ، فالتي تكون للثانوي أعلى من التعليم الابتدائي ولكن كلها يكون معانيها في الاخلاق والتهذيب اذ الامة بأخلاقها ونحن احوج ما يكون لتكوين امة مهذبة ذات أخلاق اسلامية عالية ، بل نحن احوج الى التهذيب منا الى التعليم ، فالاحسن والواجب ان تكون كتب التلاوة والاملاء كلها كتب أخلاق وتهذيب يستفيد التلميذ من معناها لمبناه وروحه ، ومن الفاظها وحسن تراكيبها لاصلاح لسانه ولهجته وتدريبه على الفصاحة والبلاغة والاخذ بضبعي البيان ، ولا بد من مزج الكتب الثانوية منها بجوامع كلمه عليه السلام وبآيات الاخلاق وأحاديثها الصحاح وامثال العرب وخطب الخلفاء وحكم الحكماء وغيرها مما هو راجع للاخلاق والتهذيب وذلك افضل من حكايات ملئت بها كتب جعلت لهذا الغرض كبحر الادب الذي يدرس به التلاوة في مدارسنا المغربية الدولية ·

واننا لمحتاجون الى معجم لغوي يجمع كل ما في القاموس وشرحه وتكملته وصلته وذيله الذي ذيل به صاحب الشرح (مؤلف له خطي مستقل موجود جله بمكتبة القرويين) وكل ما في اللسان وغيره من المعاجم المعروفة بحيث ان من راجع مادة منه ايقن واطمأن خاطره انه حصل منها على المراد ولم تبق نفسه متشوفة لسواه ، ولا يقتصر على ما اقتصر عليه صاحب اقرب الموارد فانه اخل بشيء كثير من الفن ·

ومحتاجون الى معجم عصري يجمع دوال الاشياء المستحدثة اما من صميم العربية ان وجد لها لفظا والا فيكون بالوضع الجديد على نسق ما كان يفعله أسلافنا عند ترجمة كتب اليونان وغيرهم ؟

محمد الحجوي الثعالبي

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٥

١٢ = المعرب والتعريب

المعرب : ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها . واشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تتلقاه العرب من العجم نكرة مثل ابريسم وجوقة وسرادب ، فإذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحاق فلا يسمى معرباً ، وانما يسمى اعجمياً . ومن هذا نعلم ان التعريب : هو نقل الكلمة من لغة أجنبية الى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ويسمى الاعراب ايضاً مثال ما تغير عند التعريب (شكر) فانه معرب (سكر) و (اقليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليد) و (بنفسج) فانه معرب (بنفشه) و (هنزمن) معرب (انجمن) لمجمع الناس . ومثال ما عرب من غير تغيير (نوروز) و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان استمداد لغة من أخرى يعد من أسباب نمائها . فالتعريب بالنسبة للغة العربية أحد عوامل توسيعها ، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلم غير يسيرة من لغات شتى وأكلتها مستمرئة وهضمتها هضماً ، حتى أصبحت من لحمها ودمها ، وما في ذلك عليها من عاب ، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات الحية ، تفتقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية ، وفي عداد هذه الاغذية ما تنتزعه لغة من أخرى من مختلف الكلم ، هذا اذا كانت اللغة قوية البنية ، وإلا فقد تكون بعض اللغات مرعى خصيباً لبعض آخر ، تأكل منها ما تشاء وتذر ما تشاء ، كما وقع للغة التركية فانها عاشت بجارتيها العربية والفارسية وأكلت منها أكل النهم الشره ، ولكنها بشمت ، وعسر عليها هضم ما ازدردته ، فحارت في أمرها ولم تزل حائرة ، وما ذلك

إلا لضعف بنيتها الاصلية وعاهات كانت ألمت بها منذ الطفولة على ما يظهر ·

أما لغتنا العزيزة فهي ـ ولله الحمد ـ من أقوى اللغات على الهضم والتمثيل ، تنتزع اللفظة من أي لغة شاءت ثم تزدردها فلا تبرح أن تهضمها وتمثلها أيما تمثيل ، وتجري عليها تصاريفها وتصبح كأنها من الصميم منها · حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا الباب كل الحيرة ويتعسر بل يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمييز الاصيل من الدخيل ، حتى أدى الامر ببعضهم إلى انكار أن يكون فيها شيء من غيرها البتة ، وانقلب الامر على آخرين فأخذوا يفككون عراها ، وينكثونها نكثاً ، ويخرجون ما هو منها في الذؤابة فينسبونه الى غير أصله ، ويردونه الى غير اهله · وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه الناحية حتى أخرجوا لفظ (الادب) من صميم لغة العرب وهذا ـ لعمرك ـ شذوذ في الشذوذ وتطرف في التطرف · ولسنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن ، لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام · ولكنا نريد ان نقول : ان أهم ما يجتنيه الباحث من الشمر في باب التعريب هو الإلمام بطرقه المختلفة التي سار عليها أسلافنا ، لان معرفة تلك الطرق ، وسبر منعرجاتها من اهم ما نستعين به في تذليل ما نحن بسبيله من العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفقت أنهارها · نحن لا نشك في أن أولينا كانوا يسيرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ، لا يكلفونها فوق طاقتها ، ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ويشبع نهمتها ، حتى أوصلوها الى ما أوصلوها اليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان ، فوعت عنهم ما شاؤا أن يوعوها من علم وادب ، ولم تضق ذرعاً بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس كما لم يبخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة ·

فهل يشك متأدب اليوم بان اللغة بعد مجيء القرآن الكريم والنهضة الاسلامية غيرها قبلهما ، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر الاسلام · فاذا قارنت بين لغة العلوم اللسانية ، والشرعية ، والكونية ، ولغة عرب الجاهلية ، تجد البون بعيدا ، والمسافة قصية · وهل يرتاب مرتاب في أن لغة الغزالي ، والرازي ، وابن رشد ، في تآليفهم تختلف عن لغة امرئ القيس ، والنابغة ، وزهير ، وان لغة هؤلاء لو لم يتعهدها أهل

المعرفة بالخدمة ، والتوضيح ، والصقل ، والتهذيب لضاقت ذرعا بتلك العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة .

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتهيب وما علينا إلا أن نشق لنا طريقا لاحبا من بين هذه العقاب المنبثة ، ونتخذ من أعمال أولينا مناراً نأتم به في عملنا ، ونستنير به في هذه السبيل . ولهذا كان من واجب أبناء العربية لهذا العهد أن يقتلوا هذه الناحية بحثا ليعرفوا ما يأتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للغتهم هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الافكار تطوراً هائلا ، وصار من البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنيها كتفاً لكتف ، وسنشير في آخر هذه المحاضرة إلى نماذج من طرق التعريب التي سلكها الاولون . وعلى الباحث بعد أن يرجع إلى ما أفرده العلماء من التآليف المهمة في هذا الباب الواسع .

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ، ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها ، وكيفية استعمالها ، يغني عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة . قالوا : ولا سيما بعد أن نحكم بان اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعيرة ، ويكون له ما للأصيل ، وعليه ما عليه .

فأي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله ، والرجوع إلى سنخه ، وهل هذا إلا ضرب من ضروب العبث ، ولون من ألوان اللهو بالباطل ؟ ! وذهب آخرون إلى أن هذه المباحث جمة الفوائد ، كثيرة الثمر ، وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها ، وعوامل بقائها ، إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية اللغوية .

بماذا يعرف المعرب ؟

الأصل في كل كلمة تستعملها العرب أن تكون عربية النجار ، إلى أن يقوم الدليل القاطع على أنها معربة . ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقاربتها كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية ، إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلا ، وقد نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة (الجمل) فانها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب

إلى لغاتهم كما قد تكون الكلمة أصلا في أكثر من لغة ، لأنها موروثة من لغة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات ، مثال ذلك كلمة (أرض) المستعملة في العربية والانكليزية وغيرهما . فان الارض معمورة بالامم منذ وجدت الامم فلا يعقل أن أمة من الامم بقيت لا تعرف للارض اسما إلى أن سمعته من أمة أخرى فاستعارته منها ، هذا أمر تحيله العادة .

وهذا الباب من أضيق الابواب واغمضها ، ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز أوعر المسالك واصعبها . ومن ثم نجد أقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل ، فتراهم حيرى كانهم يدورون في حلقة مفرغة ، فبينا تراهم ينسبون كلمات هي من العربية في الصميم ، الى نجار عجمي ، اذ تراهم يلصقون بالعربية كلمات هي من صميم العجمية ، واذا طالبتهم بالدليل سلكوا بك بنيات الطريق ، وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ، ورضيت من الغنيمة بالاياب . وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على ضآلتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوده :—

احدهما = النقل بان ينقل ذلك احد أعلام العربية

الثاني = خروج الكلمة عن أوزان الاسماء العربية مثل الابريسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الاسماء العربية ولذلك اختلفوا في ضبطه ـ لانهم قد يخلطون فيما ليس من كلامهم ـ ولو كان من الأوزان العربية لما أخطأهم ضبطه ، ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف .

الثالث = ان يكون أول الاسم نونا بعد راء مثل (نرجس) فانه معرب (نركس)

الرابع = أن يكون آخر الكلمة زايا بعد دال مثل (مهندز) ولذلك قالوا فيه (مهندس) ليبعدوا عما لا ألف لهم به .

الخامس = أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجص) فانهما معربان من (كوجان) و (كج)

السادس = ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل (منجنيق) للآلة الحربية المعروفة .

و (الجردقة) للرغيف و (الجرموق) للذي يلبس فوق الخف و (الجوسق) للقصر و (الجوالق) للوعاء المعروف (باسم چواله) و(الجلاهق) للبندق و(الجوقة) للجماعة من الناس ٠

السابع = أن يكون الاسم رباعياً أو خماسياً وهو خال من أحد حروف الذلاقة وهي (ب ر ف ل م ن) يجمعها قولك (فرّ منْ لب) وهي أخف الحروف ، ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض هذه الحروف لتنحو بها نحو الخفة مثل (الزاووق) فانه لغة في (الزئبق) وشذ عن هذا الاصل كلمة (عسجد) فإنهم قالوا بعربيتها،مع أنها رباعية خالية من حروف الذلاقة وقال الأزهري في التهذيب — متعقباً على الوجه الخامس — قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات العربية من ذلك قولهم : جصص الجرو إذا فتح عينيه ، وجصص فلان اناءه إذا ملأه ٠ والصنج ضرب الحديد بالحديد ٠

الثامن = ان تجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل (الطازج) فإنه معرب (تازه) وهو الطري ٠

التاسع = ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل (الاصطفلية) وهي الجزرة فانها معربة ؛ وأما الصراط فالصاد فيه بدل من السين إذ أصله (السراط) مأخوذ من السرط وهو الابتلاع بكثرة ٠

العاشر = أن يجتمع في الاسم السين والذال مثل (ساذج) فإنه معرب (ساده) وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون على لون واحد لا يخالطه غيره ٠

الحادي عشر = أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (سذاب) وهي بقلة معروفة فإنها معربة ٠

الثاني عشر = أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة لان الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات ، فكلمة التفليش بمعنى الهدم ليست بعربية بخلاف كلمة شغل ، وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم

ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

هذا مجمل ما وضعه الاولون من الأعلام في هذه السبيل ، وقد توصل علماء اللغات لهذا العهد الى أصول في هذا الباب كان يعز على الاقدمين الوصول إلى بعضها ، وماذلك إلا لانصراف جماعات المستشرقين إلى دراسة اللغات المختلفة ، ولا سيما القديمة منها والايغال في أحشاء القرون البعيدة ، واستثارة دفائنها ، وبذل الوسع في دراسة أصول اللغات وفقهها ، والإحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها ، وقد صدروا عن هذه المباحث وهم يعلمون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد ، فإذا حكموا في هذا الباب فحكمهم الفصل ، واليهم فيه يرجع أمر العقد والحل .

ومن أمثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : إذا اتفقت كلمتان في لغتين لفظاً ومعنى ، و كان بين أهل هاتين اللغتين صلات جغرافية أو تجارية أو سياسية أو نحوها مباشرة أو بالواسطة ينظر ، فإذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح إحدى تينك الامتين ، أو من مصنوعاتهم أو من منتوجات بلادهم ومحاصيلها ، يرجح أن يكون أصلا في تلك اللغة ، منقولا منها إلى غيرها ، مثال ذلك الساعة ، فإن العرب كانت تطلقها على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما أبدعوا الآلة المعروفة التي تدل على أجزاء الزمن وتعيينها أطلقوا عليها هذه اللفظة ، فهم أسبق الامم إلى تسمية هذه الآلة بهذا الاسم، فإذا سمعنا الفرس أو الترك مثلا استعملوا هذه اللفظة بهذا المعنى،نقطع بأنهم استعاروها من اللغة العربية ؟ ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم لسانهم مثل عطف و إضافة وتمييز وغيرها ، فإذا رأينا بعض الامم الشرقية استعملت هذه المصطلحات في معانيها عند العرب أو في معان تقرب منها نجزم بأنهم استعاروها من اللغة العربية ، هذا اذا علمنا بأن العرب دونوا هذه المصطلحات قبل غيرهم ، ومن ذلك كلمة القهوة فإنها موجودة في العربية وفي معظم لغات العالم فاذا علمنا أن العرب كانوا يطلقون هذه اللفظة على الخمرة ثم أطلقوها على هذه الثمرة المخصوصة المسماة بالبن . وهي من منتوجات بلاد اليمن في الاصل ومنها انتقلت إلى البلاد الاخرى،إذا علمنا هذا نقطع بأن هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار،ومن ذلك (الجمل) و (الغزال) ونحوها من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب أو كانت خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها .

وإذا علمنا أن المسك مثلا ينتج في بلاد التبت والصين وبعض بلاد الهند ومنها ينقل إلى سائر بلاد العالم، وعلمنا أن هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية والفارسية والعربية. غيرها، نعلم أن هذه اللفظة بمعناها هذا سنسكريتية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات مباشرة أو بالواسطة؛ ومثل ذلك (الكافور) فانه في السنسكريتية وغيرها، ولكنا إذا عرفنا أن مصدر هذا النوع من الطيب بلاد الصين واليابان وملقاء وان اسمه باللغة الملقية (كابور) عرفنا أنها كلمة ملقية الاصل ومنها انتقلت الى غيرها من اللغات، ومثل ذلك الفلفل فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية (بيالا) أو (ففالا) والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر.

قلنا إن المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا الى استثارة دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ودرسوا أصولها درساً دقيقاً واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة، والصرف والنحو وغيرها، وبذلك توصلوا الى معارف جمة وعلوم مهمة وقد أرجعوا كل طائفة من اللغات الى أصل واحد، وهذا الاصل اما أن يكون باقياً أو مندثراً، فأصول الباقية هي التي سارع أهلوها الى تدوينها منذ العصور العريقة بالقدم، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طبقات القرون الخالية، أما فروعها فنمت واورقت ثم أثمرت ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر.

فإذا ذهبنا الى القول بان اللغة العربية والعبرانية والكلدانية ـ مثلا ـ بنات لام واحدة هلكت وعاشت بناتها، نعلم أن كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات فاذا رأينا لفظة في أكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد أو على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون اخرى بل نرجح أن تكون هذه اللفظة من ميراث اللغات الام، فهي أصل في كل منها. وبالعكس اذا وجدوا لفظة في احدى هذه اللغات تخلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها أصلا في هذه اللغة.

وعلى هذا وضعوا قاعدة اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظة في لغتين أو أكثر ترجع الى اصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات احدى اللغتين أو اللغات يرجحون انتسابها الى اللغة الاخرى، مثال ذلك اذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلا

ولم يجدوها في العربية ولا الكلدانية يرجحون انها مصرية الاصل وان العبرية استعارتها من المصرية ٠

هل التغيير ضروري في التعريب

من الكلمات المعربة ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل (بخت) و (نوروز) ومنها ما يجري عليه التغيير يسيراً كان أو كثيراً ٠

والاصل في هذا الباب عدم التغيير وابقاء الاصل على حاله الا اذا دعت الى التغيير ضرورة ، فيصار اليه ؛ ولكن التغيير يكون بقدر ما قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ومع هذا فانا كثيراً ما نجد تغييراً لا تدعو اليه الحاجة ولا تقضي به الضرورة ، مثال ذلك (الكعك) فانه معرب من (كاك) قلبت الفه عيناً من غير ضرورة داعية ٠ و (الدهقان) معرب (ده خان) اي رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم ٠

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغيير لازم وآخر غير لازم مثل كلمة (البد) بمعنى الصنم ، فانه معرب (بت) قلبت فيه الباء الفارسية المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لئلا يدخل في الحروف العربية ما ليس منها ، وقلبت التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر ٠

وأسباب التغيير كثيرة منها : اشتمال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك في أول هذا البحث ؛ ومنها أن يكون في الكلمة الاعجمية حركة لا وجود لها في العربية أو هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة (زور) بمعنى القوة ، فانها معربة من كلمة (زور) بضمة مشوبة بالفتحة ، فأبدلت عند التعريب بضمة خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة ؛ ومنها النقل (ناي) آلة الطرب المعروفة فانها معرب (ناي نرمين) وقد حذف شطرها الثاني للخفة ؛ ومنها نقص الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل (صك) تشديد الكاف فانه معرب « جك » الثاني على ما عرفت آنفاً ، ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدوءة بحرف ساكن ، فيضطر عند التعريب الى تحريكه أو زيادة همزة قبله مثل (هليلج) و (أهليلج) معرب (هليلة) وهو الثمر المعروف ؛ ومنها أن يجتمع

في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان سكونا على غير حده فيحرك أحدهما مثل (ابزن) تعريب (آبزن) كما تقدم، ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فإن كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية مثل (دوره) لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و (لوزينه) لنوع من الحلوى و (روزونه) للكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيماً وهو الاكثر، وربما قلبوها قافاً أو تاء فقالوا (لوزينج) و (زورق) و (روزونة) وقد تقلب هذه الهاء كافاً وعليه عربوا كلمة «نيزه» وهو الرمح القصير على «نيزك» .

وأسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الاعلام في وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الامكان حتى قال بعضهم: يجب صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب أن ننطق بها كما ينطق بها أهلها من غير أدنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه صعب التطبيق، لان الحكم على الالسنة باجراء ما لا عهد لها به أمر غير يسير، كما يشهد به الواقع .

يتبع   طه الراوي

آراء وأخبار

حول مقالة (الطموح عند المتنبي)

كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ

(أكثر من كتب في هذه الأيام عن المتنبي كان قوله في هذين الرجلين نحواً من أقوال المتنبي فيهما، تأثروا بشعر المتنبي في مدح الاول وذم الثاني . ولم أر فيهم من نصب ميزان الحق بينهما فقال كلمة التاريخ ، بل كلهم أعاد قول الشاعر الذي ينجه جهة الريح ولا يؤخره عن هجاء امرئ في الغد ما أطنب في مدحه أمس . إلا أن أحداً لم يقل فيهما ما قال حضرة الفاضل الذي نناقشه بكلمتنا هذه)

قرأت في العدد العاشر من هذه المجلة كلمة الاستاذ احمد رضا في (روح الطموح عند المتنبي) وقد جره الاسترسال في الكلام — وهو في موقف المؤرخ الأمين — إلى أن يقول ص٣٦٧ من مجلة المجمع لهذه السنة بعد أن أورد طائفة من مدائح المتنبي في كافور :

« يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي أذنه في يد النخاس دامية ، وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه ما لا يقبله من سيف الدولة فيخضع للإنشاد بحضرته قائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالا كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بحد . » اه

هذا قول إذ تنكره الحقيقة والتاريخ كل الإنكار ، وما كان لمؤرخ أن يصدر حكماً على رجل لقول شاعر فيه ، وضلال كبير أن تعتمد على المتنبي في القضاء بين سيف الدولة وكافور ، بل هو نفسه مدح كافوراً ثم هجاه وقد بالغ في حاليه هاتين مبالغة منكرة

فبأيتهما نأخذ؟ وإذا ساغ لصاحب الفن المولع بالجمال أن يستعذب أماديح الشاعر أو أهاجيه ، فإن على المؤرخ أن يطرحها طرحاً وألا يقيم لها حساباً إذا علم أنها لا ترجع إلا إلى سرور الشاعر بالعطاء أو غيظه من الحرمان .

وما عيب الشعر العربي بشيء أشنع من أبواب المديح فيه ، وليت الزمن ذهب بهذه الثروة منه صفقة واحدة فأفناها غير مأسوف عليها ، إذاً لقرت عين الأدب والفن والكرامة ولارتفع الشعر عن دركات الاستجداء الشائن .

هذا وأول أدوات المؤرخ التي لا يكون مؤرخاً إلا بها ، التجرد والإنصاف ووزن الاقوال وما لابسها من ظروف ، ثم التروي والاناة والاستقصاء،حتى إذا اطمأن المؤرخ الى مابذل من جهد أصدر حكمه بكل هدوء ، اصدار من يعرف أن الله سيسأله عن كل حرف سطره : ما هي حجته فيه .

فلاشرع في بيان ما أنكر من هذا القول الذي أتى به الاستاذ :

أ — اما كون كافور عبداً فليس بضائره عند التاريخ الذي لا يحكم على امرئ الا بأعماله ، عبداً كان أو حراً ، وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية كافة على إسقاط هذا الذي يزعم فرقاً بين خلق الله ، فالعبد كالحر والحر كالعبد في نظر الحق لا يرفع الإنسان الا صالح عمله .

ب — واما كونه زنجيا فهذا ما أسأل الاستاذ إقامة البينة عليه من التاريخ، أسأله ذلك بإلحاف ولا أقيله من الجواب عليه البتة .

ج — وأما التفاوت في الادب فهو صحيح كما ذهب اليه الاستاذ في إثباته ، وأنا أسلمه له مع إبائي أشد الإباء الشكل الذي وردت عليه عبارته .

د — وأما النسب والشرف فعجيب والله ذكرهما على سبيل المفاضلة . نعم كان ذلك في زمن مضى من الجاهلية أو من عصور الجهل والظلم ، فلما أتى الإسلام أبطله وهدمه تهديماً أقر عيون كل منصف حر في أقطار الارض .

ولا تنس ان من اكبر حسنات الإسلام جعله الناس كلهم طبقة واحدة ، وبهذا قضي على ظلم فارس والروم وغيرها من الامم التي كان فيها طبقات ، فيها للملوك وفيها الاشراف وفيها التجار وفيها العبيد . . . وكانت كل طبقة تسوم من دونها سوء

العذاب . فلما رحم الله الناس بالاسلام جهر كتابه بهذه الآية العظيمة الخالدة : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم .)

وافرض ايها الاستاذ أن في تقاليد اليوم ما يجعل هذه الفروق معتبرة ، أفيسوغ لك وأنت المؤرخ الباحث ان تدخلها في جريدة الحسنات والسيئات فتجعل النسب مما يتفاضل به الناس في نظر التاريخ ؟

والاسلام هو الذي يقول قرآنه :(تبت يدا أبي لهب) وأنت تعلم ان ابا لهب ينتسب الى اشرف بيت من بيوت العرب ، هو ابن عبد المطلب وعم رسول الله ذروة سنام الشرف وغاية ما يعتز به النسب . وكتاب الاسلام هو القائل في ولد نوح : (يانوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح) فأنت ترى في هذه الآية الفصل فيما بيننا فهي اسقطت نسب الدم واثبتت نسب العمل ، والامر كذلك في الواقع والحق ، فنسب الانسان عمله ولا يخفى على احد الحديث القائل بأن الله أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب .

ه – واما قولك : هذا درة وهذا بعرة فهو ما استهجنه كل الاستهجان لانك إن كنت تعني الخلقة فليس امرها الى كافور ولا الى سيف الدولة حتى نعيب الاول بتشويه صورته أو نثني على الثاني بتحسينها ، امر ذلك يا مولاي الى الله ، ومهما ترقى سيف الدولة في مراتب الجمال ومهما تدنى كافور في القبح فانا لا نغفر لك ان تشبه آدمياً بالبعرة والمحاريب يتعالى فيها كل يوم قول الله عز وجل « ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقوله : « ولقد كرمنا بني آدم » .

وإن كنت تعني بتشبيهك هـذا بالدرة وذلك بالبعرة فارقاً معنوياً مرجعه الى ما أدى كل منهما لرعيته من خدمة فهذا غير مسلّم لك .

وسأثبت لك شهادة المؤرخين في ان الامر على عكس ماذهبت اليه ، وان التاريخ يذكر سيف الدولة في عداد السفاكين الظالمين الذين استحلوا كل ما حرم رسول الإنسانية (ص) في قوله « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ويذكره مع

الذين اشقوا رعيتهم وفتنوها ، والتاريخ يعد كافوراً في طبقة الملوك الصالحين المصيفين وهاك براهيني :

١ — قال المؤرخ الذهبي في كافور : «وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول: اللهم لا تسلط علي مخلوقاً» وقال «وكان يرسل كل ليلة عيد وقر بغل دراهم في صرر بأسماء من اوصلت اليهم من العلماء والزهاد والفقراء» .

٢ — جاء في كتاب دول الإسلام ج ١ ص ١٧٣ في حوادث سنة ٣٥٦هـ (وفيها مات كافور وكان عجباً في العقل والشجاعة»

٣ — جاء في وفيات الأعيان في ترجمة كافور : «وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطوسوس وغير ذلك ، وكانت أيامه سديدة جميلة» .

هذا كافور ، فأما سيف الدولة فإليك شذرات من أقوال المؤرخين فيه :

٤ — جاء في خطط الشام ج ٢ ص ٢١٧ : «كان سيف الدولة يسير هو والشريف العقيقي بضواحي دمشق ، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال له العقيقي : هي لأقوام كثيرة . فقال سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين السلطانية ليتبرؤن منها . فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجاءهم» اهـ .

٥ — وذكر الأزدي سيف الدولة فقال : «كان سيف الدولة معجباً برأيه محباً للفخر والبذخ ، مفرطاً في السخاء والكرم ، شديد الاحتمال لمناظريه والعجب بكلامه سعيداً مظفراً في حروبه ، جائراً على رعيته ، اشتد بكاء الناس منه وعليه» . واذا علمت مصادر هذه الأموال التي كان بها سيف الدولة مفرطاً في السخاء والبذخ لم يعجبك سخاؤه ولا بذخه ، فقد قال صاحب الخطط بعد هذا : «نعم كان سيف الدولة جائراً على رعيته يخرب قرية ليجيز شاعراً مدحه بقصيدة» ثم قال : (الخطط ج ١ ص ٢٢٢) «لقد استحل سيف الدولة للقيام بهذه الأبهة الضخمة في مملكته الصغيرة مصادرة رعيته ، فكان قاضيه أبو الحصين يقول : «كل من هلك فلسيف الدولة

ما ترك » ، ولذلك كثرت مصادرة كل غني من التجار وغيرهم فخربت البلاد الشمالية في أيامه » .

وما أحسن ما ذيّل الأستاذ الكرد علي على كلامه في سيف الدولة حين قال : « وفي باب كرمه غرائب بسطت في كتب الأدب ، وكلها على ما فيها من المفاخر في خدمة اللغة والشعر تحمل في مطاويها مساوئ الظلم وإعنات الرعية ، فسيف الدولة ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وحسناته اكثر . » اه

وأنا لست من رأي العلامة صاحب الخطط في أن حسناته أكثر لأني ارى جميع هذه الهبات وذلك السخاء المزيف لا يقوم لدرهم واحد يأخذه من رعيته ظلماً ولا ينهض لقطرة دم يسفكها بغير حق . ولا بأس في ان أثبت هنا خبراً نقله الكرد علي نفسه عن ابن حوقل ، ما أظن أن أحداً فيه بقية من إنسانية ورحمة يرضى لنفسه ان يعد سيف الدولة في غير الطغاة العتاة من كبار المجرمين في التاريخ ، لما أتاه من الإجرام الشنيع

٦ — ومن كثرة مظالم سيف الدولة ان بني حبيب وهم ابناء عم بني حمدان ، كانوا ينزلون نصيبين « فأكب عليهم بنو حمدان بصنوف الجور حتى خرجوا بذراريهم في اثني عشر الف فارس إلى الروم وتنصروا بأجمعهم ثم عادوا الى بلاد الإسلام على بصيرة بمضاره وعلم أسباب فساده وقلوبهم تضطرم حقداً » على ما قال ابن حوقل وأخذوا يخربون القرى في الجزيرة والشام وأطمعوا صاحب الروم بأنطاكية وحلب .)

فهل تفي بهذه الوصمة كل ما بعد لسيف الدولة من مآثر وحسنات وعطايا وهبات ، مع فرضنا ان هذه العطايا وتلك الهبات من ماله الحلال لا من أموال الرعية ولا من المظالم والمصادرات .

***

أرأيت أيها الاستاذ (رضا) كيف ان سيف الدولة بطأ به عمله ولم يسرع به نسبه وان كافوراً سماء وصاحبك ارض . وقل ذلك في صفة من عمل عمله .

إن العلم والأدب أمانة فلينظر قارئ في كتاب : ماترك مؤلفه من عقله وأمانته وما اخذ ، وليتق الله قضاة التاريخ والأدب فإن المهمة شاقة والحمل ثقيل والناقد بصير .

سعيد الافغاني

الخامس

المجلد السادس عشر — الجزء ٣ و ٤

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار و نيسان سنة ١٩٣٧ م

ذو الحجة والمحرم سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ثمن كل سنة منها في الداخل ٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة « « ٢٠٠
« الاولى الى السادسة « في الخارج ٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة « « ٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

بحر العوام

فيما أصاب فيه العوام

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله العربي المبين

ترجمة المؤلف . — هو الشيخ الإمام أبو عبد الله رضيّ الدين محمد ابن ابرهيم بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلي الحلبي ، ترجمه الغزيّ في الكواكب السائرة ترجمة مختصرة ، والشهاب الخفاجيّ في ريحانته ، ومما قاله : « وله نظم كما انتظمت دراري الزهر ، ونثر كما نثرت يدُ الشمال على وجنات الرياض لآلئ القطر ؛ وله تصانيف جمة تزينت بها البلاد ، وأمست تمائمها منوطة بأجياد الأجواد ، فهو نسيج وحده وآثاره في حلل الفضل طراز مذهب ، وأسدٌ في مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب ، وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغباً ، أو لسحبان لظلّ لذيل الخجل على وجه البسيطة ساحباً ... »

حياته . = قال صاحب [١] « أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء » : كانت ولادته سنة ٩٠٨ كما وجدته في فهرست المكتبة السلطانية المصرية ، وتوفي في حلب سنة ٩٧١ للهجرة .

دراسته .= وأما دراسته فقد قرأ القرآن على الشيخ أحمد بن الحسين الباكزي ، وقال في ترجمة شيخه عبد الرحمن بن فخر النساء : تفقهت أنا ولله الحمد على شيخنا صاحب الترجمة قراءة ، وسمعت عليه سماع دراية جانباً من شرح الشافية للجاربردي ، وجانباً من شرح الكافية للهندي ، بقراءة البرهان الصيرفي الأريحاوي ، وقطعة من صدر الشريعة بقراءة الشمس محمد ابن طاس بصتي ؛ وقرأ على الشهاب أحمد الهندي الدلوي نزيل حلب كتاب المطوّل وحواشيه للشريف الجرجاني ، وقرأ على محمد بن شعبان الديروطي بحلب سنة ٩٤١ شرح النخبة لابن حجر في مصطلح الحديث ، وأجازه في إقرائها لمن شاء ، وأن يروي عنه صحيحي البخاري ومسلم ، وقرظ له بعض مؤلفاته ؛ وقرأ النزهة [٢] في الحساب على الشيخ محمد الخناجري ، والبلاغة على الشيخ موسى الرسولي نزيل حلب ، ومتن الجغميني [٣] على وليّ الدين الشرواني ، قال المترجم : وهو أول أستاذ لي في هذا الفن ، وقال في ترجمة البرهان إبرهيم العمادي : أخذت عنه عدة فنون الى أن أجاز لي جميع

---

(١) ٦/٦٠ وصاحب الاعلام هو عالم الشهباء ومؤرخها الشيخ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي ومن تاريخه اقتبسنا مادة هذه الترجمة . (٢) هي نزهة الالباب في علم الحساب لعبد العزيز المغربي المكناسي المتوفى سنة ٩٦٤ . (٣) الملخص في الهيئة لمحمود بن محمد الجغميني وعليه شروح جمة .

ما يجوز له ، وعنه روايته اجازة مفصلة بخطه سنة ٩٤٨ .

تصوف — لم نطلع على كتب التصوف التي قرأها على اشياخه ، ولا على سيرته في التحنث والتنسك لنحكم على مبلغ علمه ونوع تصوفه وتأثره به ، ولعل تصوفه هذا قد كان تصوف تبرك ومجاراة لطريقة علماء عصره ، فقد شرح حكم ابن عطاء الله الاسكندري وهي جمة الشروح ، والف حور الخيام في رؤية خير الانام في اليقظة والمنام وكتب رسالة تسمى تلميظ الشهد لاهل الحل والعقد شرح فيها احد وعشرين بيتاً كان نظمها على لسان شيخه في التسليك وهو الشيخ عبد اللطيف الجامي الذي قال في ترجمته : وقد سألته في تلقين الذكر فلقنني اياه بالتكية الخسروية وصافحني واجاز لي ولله الحمد ان ألقن وأصافح ، وكتب لي دستور العمل ، ولكن بالفارسية لاشتغاله عن التعريب باهبة السفر ، فاستأذنته في تعريبه نظماً ونثراً ، فأذن ، فعربت وعرضتُ التعريب عليه فاستملحه ، وصار الناس يكتبون منه نسخاً ولله المنة .

أدبه = كان المؤلف يتكلف البديع في نثره وشعره على نمط الأدب في عصره ، فإن ما نذكره من أمثلة نظمه يدل على ذلك ، وعلى أنه من شعر العلماء الذين تأثروا بمصطلحات العلوم فلم تخلُ منها أشعارهم ، ولم يتيسر لهم أن يتذوقوا البليغ من النثر والشعر ، وكان المترجم من علماء اللغة والمشغوفين بها ، فقد اهتم بلهجة بلدته وردها الى لغة أمته الفصحى ، وله في التاريخ كتابا در الحبب والزبد والضرب وكلاهما في تاريخ حلب ،

وألف في الأحاجي والألغاز على نمط أبناء عصره ، فله كنز من حاجى وعمّى في الأحاجي والمعمّى وشرحه بكتاب سماه غمز العين الى كنز العين ، وألف في صناعة الإنشاد كتاباً سماه تحفة الأفاضل في صناعة الفاضل ، وله ديوان لشعره جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملاّ ، فمن شعره :

قوامك يا بدر النحاة كأنه ... قناً أو قوامُ السرو أو ألفُ الوصلِ
وعينك فاقت كل عين بكحلها ... فما أنت إلا زيدُ مسألة الكحلِ (١)

وقوله :

يلومونني في ترك ضم قوامه ... ولا إذن للنساك في الضم واللثمِ
نعم بيننا جنسية الود والصفا ... ولكنني لم ألفها علة الضم

وتنسب إليه هذه الرباعية :

طرفاك كلاهما ضعيف وعليلْ ... مثلي وأنا العليل من أجل عليلْ
من ضعفيَ قد صرفت ميلي لهما ... والجنس الى الجنس كما قيل يميل

مؤلفاته — إن ثبت مؤلفاته الذي نسرد جريدته لك الآن كاف في الدلالة على اتساع دائرة معارفه التي لم تقتصر على علوم الدين والأدب ولغة العرب ، فقد حمله شغفه بالعلم على درس كثير من العلوم الطبيعية والرياضية والتأليف فيهما ، ورأينا في ترجمته أنه قرأ نزهة الألباب في علم الحساب ، ومتن الجغميني في الهيئة ، وألف رفع الحجاب عن قواعد الحساب وهو شرح للنزهة ، وله أيضاً : عدة الحاسب وعمدة المحاسب ،

(١) اشارة الى مسألة الكحل المشهورة بين النحاة .

وشرح إيساغوجي في المنطق ، والدور الساطعة في الأدوية القاطعة ، ومخايل الملاحة في مسائل الفلاحة ، ورسالة ألفها برسم السلطان سليمان في عشرين علماً ، وإليك ثبت مؤلفاته المعروفة :

١ در الحبب في تاريخ حلب يشتمل على ٦٣٣ ترجمة فيها كثير من أرباب الصناعات والفنون .

٢ فتح العين عن الاسم غير أو عين .

٣ الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة .

٤ أحكام الأشعار .

٥ أنموذج العلوم لذوي البصائر والفهوم

٦ تعليقة على تفسير البيضاوي .

٧ الزبد والضرب في تاريخ حلب .

٨ تذكرة من نسي بالوسط الهندسي : منه نسخة في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية .

٩ تروية الظامي في تبرئة الجامي : في الرد على روح الله القزويني في تشنيعه على شيخه عبد اللطيف الجامي .

١٠ تلميظ الشهد لأهل الحل والعقد : شرح فيه ٢١ بيتاً قد نظمها على لسان شيخه عبد اللطيف الجامي .

١١ حدائق الازهار ومصابيح انوار الانوار

١٢ الحدائق الانسية في كشف حقائق الاندلسية في العروض :

موجود بخط المؤلف في المكتبة الحلوية بحلب

١٣ شرح حكم ابن عطاء الله الاسكندري

١٤ حور الخيام في رواية خير الانام في اليقظة والمنام

١٥ ديوان نظمه جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملا : منه نسخة في السلطانية بمصر ضمن مجموع رقمه ٨٥ .

١٦ ذخيرة الممات في القول بتلقين من مات .

١٧ ظل العريش في منع حل البنج والحشيش .

١٨ رفع الحجاب عن قواعد الحساب وهو شرح النزهة في الحساب : منه نسخة عند الشيخ نبيه المبراوي بحلب ، ونسخة في الأحمدية ، وأخرى في بيت سلطان بحلب .

١٩ سهل الألحاظ في وهم الألفاظ .

٢٠ الشراب النيلي في ولاية الجيلي .

٢١ شرح المقلتين في حكم القلتين .

٢٢ عدة الحاسب وعمدة المحاسب .

٢٣ عرف الوردي في نصرة الشيخ المندي .

٢٤ مستوجبة التشريف بتوضيح شرح التصريف .

٢٥ التعريف على تغليط التطريف: حاشية على حاشيه محمد بن العرضي المعروف بابن هلال المسماه بالتطريف .

٢٦ ربط الشوارد في حل الشواهد : شرح شواهد شرح السعد على

العزي في الصرف ، موجود بخط المؤلف في المكتبة الحلوية ، ومنه نسخة في اليسوعية (بيروت) وأخرى عند الشيخ مصطفى كزبيرة بحلب ٠

٢٧ زيالة السراج على رسالة السراج : حاشية على فرائض السجاوندي

٢٨ الفرع الاثيث في الحديث ٠

٢٩ المنثور العودي على النظام السعودي : وهو شرح لميمية المولى أبي السعود العمادي التي مطلعها (أبعد سليمى مطلب ومرام)

٣٠ كحل العيون النجل في حل مسألة الكحل : رسالة مفصلة ٠

٣١ الكنز المظهر في استخراج المضمر ٠

٣٢ كنز من حاجي وعمّى في الاحاجي والمعمى وشرحها بشرح سماه غمز العين إلى كنز العين : منه نسخة في بيت سلطان بحلب ، وفي المكتبة السلطانية بمصر ، وفي بيت مرعي باشا الملاح بحلب ، وهي بخط المؤلف سنة ٩٦٥ في ثلاثة كراريس ٠

٣٣ مرتع الظبا ومربع ذوي الصبا : منه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ٠

٣٤ مصباح الدجى في حرف الرجا ٠

٣٥ مطلوب الخاني في السفر السليماني ٠

٣٦ مغني الحبيب عن مغنى اللبيب ٠

٣٧ الفوائد السمية في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، وهو شرح مفصل ٠

٣٨ أنوار الملك على شرح المنار لابن ملك في الأصول، حاشية مطبوعة في القسطنطينية مع حاشيتي الرهاوي وزيرك زادة على الشرح المذكور، يوجد منها نسخة خطية في الأحمدية بحلب والخالدية بالقدس.

٣٩ نجوم المريد ورجوم المريد.

٤٠ حاشية على وقاية الرواية في مسائل الهداية في الفقه الحنفي.

٤١ حاشية على شرح اللب في علم الأصول.

٤٢ تحفة الأفاضل في صناعة الفاضل في الإنشاء رسالة بخطه في المكتبة الحلوية.

٤٣ حاشية على لباب العقد في فقه الشافعية سماها شرح اللباب.

٤٤ تأهيل من خطب في ترتيب الصحابة في الخطب.

٤٥ رسالة في عشرين بحثاً في عشرين علماً ألفها برسم السلطان سليمان

٤٦ القول القاسم للقاسمي قاسم.

٤٧ قفو علوم الأثر رسالة مطبوعة في علم الحديث.

٤٨ مخايل الملاحة في مسائل الفلاحة.

٤٩ الروائح العودية في المدائح السعودية في السلطانية بمصر في مجموع رقمه ٨٥

٥٠ رسالة تشتمل على جملة ما يهواه السامع لقصد تشنيف المسامع له في السلطانية بمصر ضمن المجموع المتقدم.

٥١ الجواري المنشآت في الجواري المنشآت ضمن المجموع.

٥٢ روضة الأفراح على السراجية في الفرائض ، في المكتبة العمومية في الآستانة.

٥٣ شرح إيساغوجي في المنطق وهو على تصوراته ·

٥٤ الدرر الساطعة في الأدوية القاطعة منه نسخة في برلين ، وفي المتحف البريطاني ·

وهذه التراجم مذكورة في كشف الظنون وفي تاريخ المؤلف در الحبب ، وفهرست السلطانية بمصر وغيرها قال الاستاذ الطباخ : « هذا ما وقفت عليه من مؤلفات هذا العالم الجليل ، ولعل له في الزوايا خبايا يعثر عليها بتتبع المكاتب فقد كان رحمه الله كبير التحرير والتحبير كما رأيت » أقول : ومن تلك الخبايا كتاب بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام ، وإليك وصف مخطوطته :

وصف مخطوطة بحر العوام — إن هذه المخطوطة تشتمل على مائة واثنتي عشرة صفحة ، وسعة الصفحة الواحدة تبلغ (٢٠×١٢٫٥ سم) وفيها ١٧ سطراً ، والورق حريري يضرب إلى الصفرة ، وقد كتبها بخط النسخ علم الدين ابن محمد شمس الدين الكومي سنة ١٠١١ هجرية أي بعد وفاة مؤلفها بأربعين سنة · وقد أكلت السميكة النسخة إلا أن معظم تأثيرها في أطراف الصحائف ، ولو لم تعاجل هذه النسخة بالنشر لتعذرت قراءتها ولضاع كثير من فوائدها ·

ولقائل أن يقول إن المصنف ليقوّي برسالته هذه الضعيف ، ولا يداوي المريض أو يقوّم المعوجّ من لغة العامة ، وكان هذا يرد لو أن المؤلف لم ينص على درجات اللهجات فيبين القويّ والأقوى ، والضعيف واللغية التي

تروى ، وبذلك يتمكن دارس الكتاب من معرفة مراتب الخطأ في لغة الشام والصواب ، ويستشهد مؤلف هذه الرسالة على صحة ما يبينه بأقوال أئمة اللغة والنحو كيونس بن حبيب وسيبويه وابن هشام والشيخ الرضي وابن منظور صاحب اللسان وابن برّي وغيرهم .

ومن فوائد هذه الرسالة اطلاعنا على لهجة بلاد الشام الشمالية في القرن العاشر ، وكثير من هذه اللهجة لا يزال دائراً على الألسنة إلى يوم الناس هذا في حلب ودمشق وقراهما ، وبعضها حي في فلسطين بلاد الشام الجنوبية ، ولم أجد أحداً من علماء دمشق المتأخرين يبحث فيها عن لغة العامة على نمط الرضي الحلبي ، غير أني اطلعت في خزانة صديقي الشيخ الحكيم (الدكتور) أبي اليسر عابدين على رسالة في عدة دفاتر للفقيه الكبير السيد علاء الدين ابن العلامة السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة في فقه أبي حنيفة ، فوجدتها تشتمل على جرائد من ألفاظ العامة بدمشق وفيها كثير من الالفاظ الأعجمية من تركية وإيطالية وغيرها ، ولا يعمد مؤلفها إلى إرجاع العامية إلى الفصحى كما فعل مؤلف بحر العوام ، وتفيدنا هذه الرسالة في معرفة ما بلغته العامية في دمشق منذ نصف قرن تقريباً من الانحطاط وكثرة الاختلاط بالالفاظ الاجنبية فقد (*)

سرت لوثة (الأعجام) فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

التنوخي

(*) البيت لحافظ ابراهيم ، وانما استبدلنا في الصدر الاعجام بالافرنج لينطبق البيت في معناه علي ما كانت عليه لغتنا العامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد من منّ على العرب أيّ منّه ، فجعل لسانهم لسان أهل الجنه ، واصطفى أفصح الفصاح ، من معدن قريش البطاح ، بل أفصح من نطق بالضاد ، وأجلّ من روّى بمياه شريعته كل صاد ، محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، بالكتاب العربي المبين ، المنصور بالأبيض والأسمر ، في إعلاء كلمة الدين المتين ، عليه من الله السلام ، أتمّ الصلاة وأعم السلام ، وعلى صحبه وآله ، ومن نسج على منواله ، ما أفصحت المباني عن المعاني ، وأغنت البلابل عن رنّات المثاني .

أما بعد فيقول المفتقر الى الله الغنيّ ، والمستضيء بنبراس توفيقه السنيّ ذو القصور المتجلّي محمد بن ابرهيم بن الحنبلي الحلبي مولداً ، التادفيّ محتِداً ، القادريّ مشرباً ، الحنبلي مذهباً ، أنطقه الله بصواب الأقوال ، وصرف اليه ثواب الأعمال ، قد عنّ لي وعوائق الهموم لذُكاء [1] الذكاء كاسفة ، ولاح لي وبوائق الغموم ليس لها من دون الله كاشفة ، أن أضع تأليفاً هو في نفسه دُرّة غوّاص [2] وبالنظر إلى سَعَفه [3] خوّاص ، مشتملاً على ما

---

(١) الشمس (٢) فيه اشارة الى كتاب درّة الغواص في أوهام الخواص للحريري صاحب المقامات وقد طبع في مطبعة الجوائب ١٢٩٩ (٣) السَّعَفُ جريد النخل ـ

يعتقد الجاهل أو الناسي ، أنه من أغلاط عوامّ الناسِ ، وليس في شيءٍ من الغلط ، ولاهو في نفس الأمر من ذلك النمط ، موسوماً **بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام** .

والذي حملني على تأليفه ، وتنضيده وترصيفه ، فرطُ الحمية والغضب ، وتوفّر العصبية لهذا الجيل من العرب ، وإن علك عوامّهم الكلام ، علكَ اللجام ، أو فرّت عنهم العربية ـ وما بأيديهم منها سوى الرمام ـ فرار السهام ، أو كادت الفصاحة تعفو آثارها ، والبلاغة تخبو مزاياها وأسرارها ، لو لا شرذمة اكتسبوا من علمي الفصاحة والبلاغة حصةً ، وطائفة شربوا ما دفعوا به الغُصّة ، والله أسأل ، وإن غيره لن يُسأل ، أن يصونني عن الخلل والزلل ، في حالتي القول والعمل ، بمنه ويمنه ، فلنشرع بمدده ، فيما نحن بصدده ، فنقول :

١ = من ذلك قولهم : « أبّ أخّ » بتشديد الباء والخاء في أب وأخ بتخفيفهما ، إذ هما لغتان فيهما ، على ما ذكره الشهاب أحمد الحلبي المعروف بابن السمين (١) في كتابه (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ)

ـ وقيل درقه وهو المراد ؛ والخواص مغالج الخوص بالضم وهو ورق النخل أيضاً ، ويريد بسعف النخل ورق التأليف .

(١) المتوفى سنة ٧٥٦ ، وله ترجمات في الدرر الكامنة وبغية الوعاة وأعلام النبلاء ، كان اديباً بارعاً في النحو والقراءات والتفسير والاصول ، شرح التسهيل والشاطبية والقرآن في ٢٠ مجلدة ، وكتابه اعراب القرآن في مجلدين ضخمين في مكتبة المدرسة الاحمدية بحلب ؛ واما (عمدة الحفاظ) التي ينقل عنه ابن الحنبلي فقد قال في الكشف ـ

حيث قال : والأبُ لغة في الأب ، قيل : أبدلوا من الواو المحذوفة حرفاً يجانس العين،ومن ذلك : استأبيت فلاناً أي اتخذته أباً ، ومثله أخٌ بتشديد الخاء ، هذا كلامه ؛ وعلى عكس هذا الابدال الذي صير المعتلّ كالمضاعف ما في أمليتُ بمعنى أمللتُ من الابدال الذي صير المضاعفَ كالمعتلّ من أهديت وشبهه .

٢٠ = ومن ذلك قولهم : (يدّ) بتشديد الدال في يدٍ بتخفيفها ، بحذف الياء الثانية منها نسياً منسياً ، فقد قال الشهاب أحمد المعروف بابن خطيب الدّهيشة في كتابه (١) المسمى «التقريب في علم الغريب» ما نصه : (وحكى في التكملة : من العرب من يقول يدّ بتشديد الدال ، وفي الحاشية : يدّ بالتشديد واليدَّةُ لغتان في اليد انتهى.) واليد ، وإن كانت من قبيل المؤنث المعنوي ، فالتاء إنما زيدت عليها توكيداً نحو فرَسة في فرس ، على أن فرساً مؤنث ، أو إذهابا للشك في التأنيث ، قال يونس (٢) بن حبيب : سمعت

ـ في مادة غريب القرآن : (ولابن السمين الحلبي ايضاً مفردات القرآن وهو أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن)وهو اوفى من مفردات الراغب ، منه نسخة في العثمانية وفي الاحمدية بحلب ، وفي السلطانية والتيمورية بمصر ، وفي مكتبة سرويلي في الآستانة منه نسختان .

(١) جاء في الكشف ذكره ، وانه للقاضي نور الدين ابي الثناء محمود ابن احمد الفيومي المعروف بابن خطيب الدهشة (لا الدهشية) المتوفى سنة ٨٣٤ بحماة ، وكذلك اسمه في الشذرات ، وكان محمود هذا أديباً بارعاً في اللغة والعربية والفقه والاصول ، ومن كتبه تهذيب المطالع في اللغة الواردة في الصحيحين والموطأ ، اختصره وسماه التقريب في علم الغريب ، وله في صناعة الكتابة منظومة تبلغ ٩٠ بيتاً .

(٢) البصري النحوي استاذ سيبويه والكسائي والفرّاء (ـ ٨٣) .

العرب تقول : فرسة وجوزة ، وذلك منهم إرادة توكيد التأنيث وذهاب الشك عن سامعه .

٣ . = ومن ذلك قولهم : « عطشانة » في عطشى ، مع أن وجود فعلى مستلزم لانتفاء فعلانة ، على ما تقرّر في محلة من كتب النحو ، والعذر لهم أنهم لا يقولون عطشى في موءنث عطشان ، ليمتنعوا من أن يقولوا عطشانة ، ومن الجائز أن تقع عطشى في لغة فلا يقع عطشانة ، ولا تقع في لغة أخرى فيقع عطشانة ، فيكون عطشان من باب فعلان الذي يقال في موءنثه فعلى كندمان من الندم في لغة ، ومن باب فعلان الذي يقال في موءنثه فعلانة كندمان من المنادمة في أخرى ، مع أنه قد ورد في حديث بركة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم ، وساقه القاضي عياض في الشفاء ، وذلك حيث قالت : قمت وأنا عطشانة فشربته ، وانا لا أعلم . وحكى صاحب العين: امرأة عطشانة ، ذكره صاحب التقريب ، ومثله سكرانة في لغة بني أسد وهو المستعمل الآن .

٤ . = ومن ذلك قولهم : « إفعل هذا إمالا »[1] في موضع افعل هذا

(١) انظر ص ١٢٩ من مجلة المجمع لسنة ١٩٣٦ ، او ص٢٨ من التكملة للجواليقي ، وج ٢٠ ص ٣٥٨ من لسان العرب ؛ أما العامة عندنا بدمشق فإنهم اذا نصحوا اليوم احداً ان يعمل عملا معيناً قالوا له : (هذا لما لا) بزيادة لام مكسورة ، فكأن التقدير : لئن كنت لا تفعل هذا فافعل هذا . وفي اللسان قال ابو حاتم : والعامة تقول ايضاً (أُمّا لى) فيضمون الالف فهو خطأ والصواب : (إما لا) غير ممال ، لان الادوات لا تمال ، قال الناشر : ولا يزال ضم الالف من (إما) مع إمالة الف (لا) لغة العامة في مصر إذ تقول (أُمّالي) .

إن كنت لا تفعل غيره ، حكاه صاحب مغني اللبيب مشيراً إلى أن الأمثل هذا ، وإلى أن لفظ « كنت » حذف أولا ، وجيء بما للتعويض عنه ، وادغمت الميم في النون للتقارب ، و « تفعل غيره » حذف ثانياً من غير تعويض عنه ؛ ومثله قولهم : « إمّا أنت منطلقاً انطلقتُ » إذ كان أصله : انطلقت لان كنتَ منطلقاً ، إلا أن التعويض بما في هذا عن كان وحدها .

٥ . = ومن ذلك قولهم : « هذه حَمّام طيبة »[1] بتأنيث حمّام ، مع قول بعض النحاة : إن حمامات من قبيل ما جمع مفرده وهو مذكر بالألف والتاء نحو اصطبلات ، ففي المُغْرب للمطرزي : ان الحمّ تذكره وتؤنثه قال : والجمع الحمامات .

٦ . = ومن ذلك قولهم « فلان يِشْرب ويطرب » بكسر المثناة التحتانية التي هي إحدى حروف المضارعة كما يكسرون أخواتها في نحو أنا إشرب ، ونحن نِشرب ، وأنت تِشرب ، ففي مراح الأرواح : إن حروف المضارعة تُفتح ، إلا في باب أفعلَ وفعّل وفاعل وفعللَ ، فإنها تُضم ، وإنها تكسر في بعض اللغات إذا كان الماضي مكسور العين أو المهموز نحو : يِعلم وتِعلم وإعلم ونِعلم ، ويِستنصر وتِستنصر وإِستنصر ونِستنصر ؛ وإن الياء المثناة التحتانية لا تكسر في بعض اللغات ، هكذا قيل من غير تقييد ، والحق التقييد بما إذا لم يكن بعدها واو ، نحو : هو يُوجل فان

(١) وعامة حلب يؤنثون (الحلم) اليوم ؛ وعامة دمشق يذكرونه (٣) ولغة العامة في دمشق تنطبق على جميع ما في هذه الفقرة السادسة من العامية الحلبية .

أهل هذه اللغة يكسرونها أيضاً فتنقلب الواو ياء فيقولون : هو ييجل ؛ هذا ولكن المشهور إنما هو ضم حروف المضارعة في الأبواب الاربعة السابق ذكرها باجماع ، وفتحها في غيرها في لغة الحجازيين ، وكسرها في لغة غيرهم إلا ما كان منها ياء مثناة تحتانية لا واو بعدها ؛ ولكن في ثلاثة مواضع خاصة: في المفتوح العين من مضارع فعِل بالكسر كعلِمتَ تِعلَم ، بخلاف تذهب وتشنم ، وقرئ : ولا تِركنوا ، قال ابن هشام في شرح بانت سعاد: وسمعت بدوياً يقول في المسعى : إنك تِعلم ما لا نِعلم ، بكسر التاء والنون ، وفيما كان ماضيه مبدوءاً بهمزة الوصل المكسورة ، وقُرِئ وإياك نِستعين ؛ واما من كسر في (نِعبد) فكأنه ناسب بين كسرتي النونين ، وفيما كان ماضيه مبدوءاً بتاء مطاوعة أو شبهها نحو تِتذكر و تِتكلم ؛ فإن قلت فما تقول في قراءة شعبة : أمّن لا يِهِدّي بكسر المثناة التحتانية مع كسر الهاء والدال المشدّدة ، قلتُ كسر الياء فيها لاتباع الهاء ، لا على لغة من يكسر حروف المضارعة ، وأما كسر الهاء فلالتقاء الساكنين بينها وبين الدال المدغمة المبدلة عن تاء الافتعال .

٧٠ — ومن ذلك قولهم : سلامٌ عليكِم[1] ، وبارك الله فيكِم ، ورُحنا من عندِكِم ، وما فرحنا من عهدِكِم ، بكسر كاف الضمير المجرور الموضوع لجماعة الذكور ، وهذا ما يقع في كلام المشارقة ، وله أصل في اللغة ، فقد ذكر في كتب النحو : ان من العرب من يكسرها للتثنية والجمع

(١) ولا تزال لغة العامة في حلب ، واما أهل دمشق فيضمون أمثال هذه الكافات .

بعد كسرة أو ياء ساكنة ، وعلى ذلك جاء قول الشاعر :

فإن قال مولاهم على كل حادث
من الدهر: رُدّوا بعضَ أحلامكم رُدوا

٨ · = ومن ذلك قولهم : غَلَقْتُ[1] الباب ، وهي لغة في أغلقته ، إلا أنها لغة رديئة متروكة ، نص على ذلك الجوهري ، وأنشد لأبي الاسود الدؤلي :[2]

ولا أقول لِقدر القوم : قد غَلِيَت ولا أقولُ لباب الدار : مغلوقُ

وأنشد لغيره : (وباب إذا مال للغَلْق يَصرِفُ)

وصاحب المغرب لم يجعل الغلق مصدراً ، بل اسماً للمصدر كالغسل للاغتسال ، وذلك حيث قال : الاغلاق مصدر أغلق البابَ فهو مُغْلَق ، والغلق بالسكون اسم منه ، ثم عُزي إلى الجوهري أنه أنشد :[3]

(وباب إذا ما لُزّ للغلق يَصرِفُ) أي يَصِرّ ويصوّت ·

٩ · = ومن ذلك قولهم : قَبِلنا أياديكم[4] ، مع اشتهار الايادي في النعم ، والأيدي في الجوارح المخصوصة كقوله :

(١) كذلك هي في لغة العامة في دمشق وكثير من بلاد الشام · (٢) ويتلو هذا البيت :

لكن أقول لبابي مُغلَق وغَلَت قدري وقابلها دَنّ وإبريقُ

(٣) هو من قوله :

لعِرض من الأعراض تمسي حمامُهُ وتُضحي على أفنانه الغين تَهتفُ
أحبّ الى قلبي من الديك رنةً وباب اذا ما مال للغلق يَصرِفُ

(٤) وهو قول العامة في دمشق أيضا ، وأما بيت (قال ثقلت) فيأتي بعده :ـ

قال : ثقَّلتُ ، إذ أتيتُ مراراً   قلتُ : ثقَّلتَ كاهلي بالأيادي

وقوله [١] :

فظلّت تديرُ الكأس أيدي جآذر   عِتاقٍ دنانيرِ الوجوه مِلاحِ

والحق أنه قد وردت ثانياً ايضا الايادي في الجوارح المخصوصة والايدي في النعم كقوله [٢] :

تكن لك في قومي يد فيشكرونها   وأيدي الندى في الصالحين قروض

وقوله [٣] :   (قطنٌ سُخامٌ بأيادي غُزّلِ)

وقول الجوهري وقد جمعت الايدي في الشعر على أيادٍ ، وهو جمع الجمعُ ، لاينافي أن تجمع عليه في السعة عند غيره كصاحب المغرب حيث قال : اليد من المنكب الى أطراف الأصابع والجمع أيدٍ والأيادي جمع الجمع ، إلا أنها غلبت على جمع يدِ النعمة ، هذا كلامه ، وهو يقتضي لستعمال الايادي في الجوارح المخصوصة نثراً ، ولكن على غير وجه الغلبة ، كما لستعملوا النجم في غير الثريا من الكواكب مع استعماله فيها غالباً ، وما أحسن قوله :

والنجم تستصغرُ الابصار صورتهُ   والذنبُ للطرفِ لا للنجم في الصغر

وهو مما المراد فيه مطلق النجم ، وقوله :

يواصلني وما بالنجم ميل   ويهجرني إذا ما النجم مالا

(قلت طولتُ ، قال لا بل تطولتَ وأبرمتُ ، قال حبلَ ودادي)

والبيتان منسوبان لابن حجاج ، ونسبهما سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان لمحمد بن ابرهيم الاسدي . (١) البيت لابن المعتز . (٢) البيت لبشر بن أبي خازم .

(٣) الشعر لجندل بن المثنى الطهوي يصف الثلج وقبله : (كأنه بالصحصحان الانجل) .

أي المراد فيه الثريا ، لان العرب كانت تزعم أن الثريا تطلع في أول الليل وتغرب في آخره ، والشاعر يريد أنه يواصله في أوله ويهجره في آخره فإن قلتَ : : أليسوا يقولون قبلنا أياديكم ، بإسكان ياء أيادي ، والقياس يقتضي نصبها لفظاً ، وليس ذلك واقعاً في الشعر ليجوز للضرورة كما في قوله[1] :

كأنَّ أيديهنَّ بالقاعِ القَرِقْ أيدي جوارٍ يتعاطين الورِقْ

حيث أسكن الياء الثانية من أيدي الاولى ؟ قلت نعم ، مثل ذلك إنما يكون ضرورة عند بعض النحاة ، حتى قال المبرد إنه ضرورة ؟ لكن قال بعضهم : إنه لغة لا ضرورة ، وعليه جاء قولهم في المثل « إعطِ القوس باريها » وعليه يُخرّج قول الناس الآن : قبلنا أياديكم .

١٠ = ومن ذلك قولهم : مِنْتِن[2] ، بكسر الميم تبعاً للتاء ، مع أن اسم الفاعل من غير الثلاثي المجرّد مبدوءٌ بالميم المضمومة ، ففي تسهيل ابن مالك : إنها ربما كسرت في مفعل او ضمت عينه ؟ وفي الصحاح النتن : الرائحة الكريهة ، وقد نتُن الشيءُ وأنتن بمعنى فهو مُنتِن ومِنتِن كسرت الميم اتباعاً لكسرة التاء .

(١) يصف ابلاً بالسرعة ، والبيت ينسب لرؤبة بن العجاج ؟ ومعنى القرق المكان المستوي وهو بفتح القاف وبكسر الراء ، وقال ابن جري : ويقال فيه أيضا القرق بكسر القاف وسكون الراء . (٢) كذلك تلفظ عامة دمشق منتن بكسر الميم ، ولما (سعيد) في الفقرة التالية فتفتح سينها على الفصحى ، وتسكن الباء من (بعيد) اذا اتصل بالموصوف فتقول مكان بعيد ، وتكسر كسرة خفيفة اذا لفظت بعيد وحدها .

١١٠ = ومن ذلك : سِعيد وبِعيد بكسر أولها ، ففي شرح الشافية للشيخ الرضي : إن كسر فاء فعيل جائز في كل ما كانت عينه حرف حلق .

١٢٠ = ومن ذلك قولهم : أومَيتُ اليه ، فعن الصغاني ، وهو ممن تأخّر عن الجوهري ونقدّم بحكاية كثير مما فاته ، انه قال : أوميتُ مثل أومأت ، وحيث قال ماقال فلا عبرة بقول الجوهري : أومأتُ اليه أشرت ولا تقل أوميت ؛ فإن قلتَ لعله نهى عن ذلك لكونه لم يثبت في اللغة ، قلتُ : الظاهر انه لم يثبت عنده بقرينة انه عقب ذلك بقوله : ووَمأت اليه أمأً وماءً لغة وأنشد[1] : (وما كان الاّ وَمؤُها بالحواجب)

ومثل أوميتُ عنده توضّيت ، وذلك انه قال : وتوضأت للصلاة ، ولا تقل توضيت[2] ، وبعضهم يقوله ، اللهم إلا ان يكون مراده بهذا البعض بعض العرب الخُلّص ، فيكون نهيه عن ان يقال : توضّيتُ ، لكونه مخالفاً للغة الأكثرين منهم .

١٣٠ = ومن ذلك قولهم : إسمعين في إسماعيل ، وهو لغة حكاها أبو منصور موهوب الجواليقي في كتاب المعرّب وأنشد :

---

(١) البيت للقناني ، وهو في لسان العرب (مادة ومأ) :

فقلت السلام فاتقت من اميرها * فما كان الاومؤها بالحواجب

اما عامة دمشق فلاتستعمل اليوم الفعل وتستعمل المصدر محرفا (الوَما) لسهولة النطق بفتح الميم وتسهيل الهمزة ، فتقول : (فلان يتكلم بالوما) اي بالاشارة لا بالعبارة ، كذلك تلفظ اسماعين بالنون . (٢) قال أبو عمر الهُذَلي : « قد توضيت » فلم يهمز وحولها ياء وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز (اللسان ١ / ١٤) .

قال جواري الحيّ لما جينا هذا ، ورب البيت ، اسماعينا

فان قلت هذا لا يصلح شاهداً على اسمعين وإلا لقيل : اسمعين ، مع تطبيق المصراع الاول عليه ؟

قلتُ التقدير في البيت : لما جين اسماعينا ، بنصب اسمعين بجين ، فيكون الف اسماعينا للاطلاق كألف جينا ، ويكون هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره هو والجملة مقول القول .

وجوّز ابو محمد عبد الله بن برّي بن عبد الجبار بن بَرّي المقدسي ، على ما وجدته بخطه ، ان يكون الاصل اسماعيننا بنونين وبالإضافة إلى نا ، فحذفت الاولى منهما ، وذكر ان القالي رواه هكذا :[1]

(هذا ورب البيت إسرائينا)

---

(١) الامالي ٤٤/٢ ورواية أبي علي فيها :

قد جرت الطير أيامنينا * قالت : وكنتُ رجلا فطينا

هذا ورب البيت اسرائينا

(أنظرها في القلب ٩ والعيني ٤٢٥/٢ والمعرب ٩) .

وجاء في سمط اللآلي المتمع للعلامة الميمني ٦٨١/٢ مانصه: قال الفراء صاد أعرابي ضبّاً فاتى به السوق يبيعه فقيل له: انه مسخ من بني اسرائيل فقال :

مالك يا ناقة تأتلينا علىّ والنطاف قد فنينا

يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا

وكنتُ فيهم رجلا فطينا

الأَتلان : أن يقارب خطوه في غضب ... قوله : أيامنينا ، جمع أيمن أيامن ثم جمع الجمع بالواو والنون ، وانتصاب اسرائينا من ثلاثة وجوه : احدها على أضمار فعل كانها قالت: أرى هذا اسرائينا ، كما تقول : أرى فلانا شيطانا ، والوجه الثاني : ان —

١٤ . = ومن ذلك قولهم (١) : إشنان ، بكسر الهمز في أُشنان بضمها قال الجواليقي : والأُشنان فارسيّ معرب ، وقال أبو عبيدة فيه لغتان : الأُشنان والإِشنان وهو الحُرض بالعربية .

١٥ = ومن ذلك قولهم : رُزّ ، في الأُرُزّ . ذكر الجوهري : أنه لغة فيه ، وزاد الجواليقي من لغاته الأُرُزّ بضم الهمزة والراء معاً مع تشديد الزاي وبدونه ؛ والأُرْزُ بضم الهمزة وسكون الراء معاً وتخفيف الزاي ، والرُّنْز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي ، وأنشد :

يا خليلي كلْ إوَزّه واجعل الحوذانَ رُنْزه

والحوذان بفتح الحاء المهملة وإعجام الذال نبت نَوره أصفر ، وكأنه أراد بذلك صرف الذهب بالفضة لشراء ما أمره بأكله .

١٦ . = ومن ذلك قولهم وَزّ بفتح الواو في الإِوَزّ بكسر الهمزة وفتح الواو ، ذكر الجوهري أيضا انه لغة فيه .

ـ اسرائي لغة في اسرائيل، تقول هذا اسرائيل واسرائي وهذا اسرائينا ، والوجه الثالث ان تريد هذا اسرائيننا ؛ فحذف النون الواحدة لاجتماع النونين اهـ .

أقول : والبيت من شواهد ابن عقيل ، على ان فعل قال أجري مجرى الظن في العمل لا المعنى لان هذه المرأة لما أتى لها زوجها بضب ورأته قالت هـذا اسرائين ؛ هذا مفعول أول لقالت واسرائين مفعول ثان والالف للاطلاق ، وهو على حذف مضافين أي ممسوخ بني اسرائين أو اسرائيل ، فهذا وجه رابع في الاعراب .

(انظر شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي ص ١٤٠)

(١) وعامة دمشق تلفظ إشنان بكسر الهمزة ، ورُز بضم الراء في الفقرة (٢) ، ووَز بفتح الواو في (٣) والظهر في (٤) بكسر الظاء أيضاً .

١٧ · = ومن ذلك قولهم : يا أهل الخِير ، بكسر الخاء المعجمة ، وهو مما يقع في كلام بعض أهل بدو هذا الزمان ، والخِير كما قال الجواليقي الفضل والكرم ، وذكر أبو عبيدة : انه فارسي معرب ، يقال : رجل ذو خير إذا كان ذا فضل وكرم ·

١٨ · = ومن ذلك قولهم : دِرْهِم بكسر الدال والهاء ، وهو لغة في دِرهَم بكسر الدال وفتح الهاء ، وعلى تلك اللغة الأخيرة أنشد الجواليقي بعد أن ذكر أنه معرب[1] :

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ماباع أمرؤ مكس دِرهَم

والإِتاوة بالهمزة المكسورة والمثناة الفوقية : الخراج ·

١٩ · = ومن ذلك قولهم : سِبِتّ بكسر المهملة والموحدة وتشديد التاء المثناة الفوقية في شِبِتّ بكسر المعجمة والموحدة وتشديد المثناة الفوقية ، قال الجواليقي قال الأزهري : وأما السبِتّ لهذه البقلة المعروفة فهي معربة ، قال: وسمعت أهل البحرين يقولون لها : سِبِتّ بالسين غير معجمة وبالباء ، وأصله بالفارسية شِوذ ، وفيها لغة سِبطّ بالطاء ·

٢٠ · = ومن ذلك قولهم : المارَستان بفتح الراء في البيمارِستان حكاه

(١) البيت أنشده الجوهري والزمخشري لجابر بن حني التغلبي ، وعامة دمشق تلفظ درهم بكسر الهاء أيضا ، وأما سبت المذكورة في الفقرة (١٩) فغير مسموعة في دمشق بالسين ولا الشين ، وأما المارستان (٢٠) فتلفظ في دمشق مرستان بضم الميم والراء ويطلقونه على دار المجانين ، وأما مستطب العقلاء فهو المستشفى · تلفظ بدمشق بضم اللام وتعالي بكسرها مثلما تلفظها العامة في حلب ·

الجواليقي أيضاً فقال : والمارستان بفتح الراء فارسي ولم يجئ في الكلام القديم ·

٠٢١ = ومن ذلك قولهم : تعالُوا وتعالِي [١] ، بضم اللام في الأول وكسرها في الثاني ، والمشهور فتحها فيهما ، لأن تعالَ بفتح اللام أمر من التعالي ، وهو الارتفاع ، وكان أصله على ما ذكره بعضهم لدعاء الإنسان إلى مكان مرتفع ، ثم جعل الدعاء إلى كل مكان ، والمشهور في مثله من نحو تَسامَ من التسامي أن يُعتدّ بما حذف منه ، فتبقى لام الفعل مفتوحة في جميع الأمثلة فيقال : تعالَ ، تعالَيا ، تعالَوْا ، تعالَيْ ، تعالَيا ، تعالَين ، وعليه ورد كلام رب العزة : قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة سواء ، فتعالَيْنَ أمتعكُنَّ ؛ ولكن حكي الضم في تعالوا لغة ، قال الصغاني في كتاب له جمع فيه شوارد اللغات ونوادرها ، وقرأ نبيح والجرّاح وأبو واقد : تعالوا الى كلمة سواء ، يعني بضم اللام ، على عدم الاعتداد بالحذف ؛ وصرح الشهاب ابن السمين في عمدته بأن عدم الاعتداد به قد نقل فيما نحن فيه ، فيقال تعالِي بالكسر ، وتعالُوا بالضم وأنشد :

(تعالِي أقاسمك الهموم تعالِي)

إلا أنه نبّه على ان ما أنشد غير محتج به فقال : والشعر لبعض الحمدانيين فيستأنس به ولا يستشهد به ·

٠٢٢ = ومن ذلك قولهم : عليه السِّكينة [٢] بكسر السين حكى

(١) تعالوا تلفظ بدمشق بضم اللام وتعالي بكسرها مثلما تلفظها العامة في حلب ·
(٢) السكينة تلفظ في دمشق بفتح السين ·

كسرها الصغاني ، وحكي عن زيد بن علي أنه قرأ : ثم أنزل الله سِكينته على رسوله .

٢٣ . = ومن ذلك قولهم : كَسالى[1] ، بفتح الكاف في جمع كسلان وهو مما جاء فيه التثليث ، وبالكسر قرأ يحيى والنخعي : إلا وهم كِسالى .

٢٤ . = ومن ذلك قولهم : يَسبُق ، بضم الموحدة ، وهو لغة في يَسبِق بكسرها ، قال الصغاني وقرئ : لا يسبُقونه بالقول .

٢٥ . = ومن ذلك قولهم : رَسَمتُ شِكل هذا الشيء ، بكسر شين شكل بمعنى مثل ، وهو لغة في شكل بفتحها ، وقرأ مجاهد : وآخرُ من شِكله .

٢٦ . = ومن ذلك قولهم : النقاوة بفتح النون ، وهي والنقاة بفتحها أيضاً مع المد ، والنُقاوة والنُقاية والنقاة بضم النون فيها مع المدّ في الأخير لغات حكاها الصغاني .

٢٧ . = ومن ذلك قولهم : شَكَيتُ في شكوت ، وهو لغة فيه حكاها الصغاني أيضا ، وان كان المشهور الواو كما قال تعالى : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وفي شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّ الرمضاء في أكفنا وجباهنا فلم يُشكنا ، أي فلم يزل شكوانا ، لأنه من قبيل أفعل الذي يفيد معنى الازالة ، أيْ فلم يأمرنا بأن نتقي ذلك بأطراف ثيابنا .

(١) كسالى تلفظ في دمشق بفتح الكاف . ويسبق (٢٤) بضم الباء مثلهما في حلب وتلفظ عامة دمشق ما في الفقرات (٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) لفظ عامة حلب .

٢٨٠ — ومن ذلك قولهم : كتمت سرّي من فلان ، مع مجيء فعل الكتمان متعدياً إلى مفعولين في قوله تعالى : ولا يكتمون الله حديثاً ،وقول الشاعر : (١)

كتمتُك ليلاً بالجومين ساهراً وهمّين : هماً مُستسِراً وظاهرا
أحاديثَ نفس تشتكي ما يُريبها وورد هموم لم يجدنَ مصادرا

فإن منصوب (كتمتُك) مفعول أول لكتم و (ليلا) مفعول ثان له بتقدير أمرَ ليل أو أحاديثَ ليل ، و (أحاديث) بالنصب إما بدل من هذا المفعول ، أو بتقدير أعني ، ولا يكون (ليلا) ظرفاً ، لأنه لا يراد أنه كتمه في ليل كائن بالجومين كذا .

ووجهُ قولهم ما قيل في قوله تعالى : ومن أظلمُ ممن كتم شهادة عنده من الله ، ان (من) الثانية بمعنى عن، بناءً على أنها تعلقت بكتم ، على جعل كتمانه عن الأداء الذي أوجبه الله كتمانه عن الله ، وما جزم به صاحب تلخيص

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يرثي بها النعمان ، والجومان بالجيم لا بالحاء كما في المخطوطة ، وهو اسم موضع ولعله سمي بجومين كانا فيه والجوم البئر الكثيرة الماء ، قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي شارح ديوان النابغة: واختلف في إعراب (همين) ، والاحسن عندي أن يكون معطوفا مقدما على (أحاديث) أي كتمتك أحاديث وهمين ، فأحاديث معدّى لكتمتك ، وهمين معطوف عليه لكنه قدم ، ومثل ذلك : عليك ورحمة الله السلام ، وقيل جعل الليل معدى على السعة لكتمتك وعطف عليه همين ، وأحاديث بدل من همين اه . أقول : وعلى وجه المعطوف المقدم تكون (ليلا) ظرفا على خلاف رأي المصنف ؛ ولعل جعلنا (أحاديث) بدلا من (ليلا) أقوى من جعلها بدلا من (همين) .

للفتاح في (أحوال متعلقات الفعل) في قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتمُ إيمانَه ، من أن قوله (من آل فرعون) لو أُخّر عن قوله (يكتم ايمانه) لتوهم أن [1] من صلة يكتم ، فلم يفهم أن ذلك الرجل كان من آل فرعون ؛ لكن في مغني اللبيب ردّ الأول بدعوى أن كتم لا يتعدّى بمن ، وفي كلام الشيخ بهاء الدين السبكي ردّ الثاني بأن هذا التوهم إنما يصح أن لو كان هذا الفعل يتعدّى بمن ، وليس كذلك ، فإنه يتعدّى بنفسه قال : فهذا التوهم ليس له مجال ، وما يقع في كلام الناس من تعدية كتم بمن ، فالظاهر أنه لا أصل له ، هذا كلامه ؛ وفي شرح مغني اللبيب للدماميني منع أنّ في كلام صاحب التلخيص تصريحا بأن كتم يتعدّى بمن ، وذلك حيث قال : ليس في كلام صاحب التلخيص تصريح بأن كتم يتعدى بنفسه إنما فيه : إنه على تقدير التأخير يتوهم ان من آل فرعون صلة ليكتم ، وهو صحيح على أن تكون (من) للتعليل ، وهذا لا يمكن دفعه ، وهو مخل بما قصد من كونه هو نفسه من آل فرعون . انتهى كلامه ، وأنت تعلم ان المثبتَ مقدم على النافي ، على ما تقرّر في محله ، وان انتصاب مفعولي كتم في محل أو محلين مثلا لا يقوم دليلا على منع انجرار أحدهما بمن ، ألا ترى إلى قوله تعالى : واختار موسى قومه سبعين رجلا ، حيث لم ينتصب قومه دليلا [2] على منع أن يقال : اخترتُ من كذا كذا ، مع أنه قد قيل واستعمل في كلام من يوثق بعربيته .

---

(١) كذا وصوابه : أنه . (٢) لعل الأصل : ان فيه دليلا على ...

٢٩ . — ومن ذلك قولهم[١] : نعمِه، ورحمِه، وسلامِه ، وغلامِه ونحو ذلك مما أمالوا فيه في حالة الوقف الفتحة التي قبل هاء التأنيث نحو الكسرة، فقد نقل مثل ذلك عن بعض العرب في كل فتحة تلتها هاء تأنيث موقوف عليها ، وقرأ بذلك الكسائي في مواضع معدودة من القرآن نحو: نعمِه وسفينِه وهمزِه في كلمات أخرى ، و كانت هذه اللغة طباعَ أهل الكوفة لأنهم بقية أبناء العرب .

٣٠ . — ومن ذلك قولهم : [٢] كنت َبالبيت و َبالقرية، واستعنت َبك ورضيت َبك ونحو ذلك مما فتحت فيه باء الجر مع غير ياء المتكلم ، ففي شرح الدرة الالفية لأبي جعفر الغرناطي الأندلسي : إنها إن جرّت ياء المتكلم فاتفق العرب على كسرها ، و إن جرّت غيرها فاللغة الفصيحة كسرها ليناسب لفظها عملها سواء دخلت على الظاهر او المضمر غير ياء المتكلم .

٣١ . — ومن ذلك قولهم : بزاق في بصاق ، وهو جائز فيه كبساق ، وثلاثتها جائزة بجواز سراط وصراط وزراط ، وسين سراط هي الأصل ، والصاد والزاي بدل منها ، وفي كنز المعاني[٣] في شرح حرز الاماني أن الصاد لغة قريش في كل سين بعدها عين أو خاء او قاف او طاء ومن ذلك قولهم صطل في سطل .

(١) وكذلك تقول عامة دمشق . (٢) والعامة في دمشق تكسر الباء على اللغة الفصيحة ، كذلك تقول بزاق ، وهي لغية معروفة لا تصحيف بصاق (٣) الحرز هو منظومة الشاطبية المشهورة في القراءات السبع ، والكنز شرح له .

٣٢ . — ومن ذلك قولهم [1] مَرَه في مَرأه بحذف الهمزة بعد نقل فتحتها إلى الراء .

٣٣ . — ومن ذلك قولهم : جلست عَندَك ، بفتح عين عَند وهو لغة في كسرها كضمها ، قال الجوهري : وأما عند فحضور الشيء ودنوّه وفيها ثلاث لغات : عِند وعَند وعُند ، وقال ابن هشام في مغنيه : وكسر فائها أكثر من ضمها وفتحها ، وهو يقتضي ان كلا من الضم والفتح كثير على خلاف ما ذكره صاحب التسهيل فيه حيث قال : وربما فتحت عينها أو ضمت فأشعر بقلتهما ، ويمكن التوفيق بينهما بأن الكثير في مقابلة الاكثر قليل ، ومن ذلك قول بعض الشعراء المولدين :

(ومن أنتم حتى يكون لكم عندُ ؟)

وإن قال النحاة : إن عند لا تقع إلا ظرفا او مجروراً بمن . وأما قول العامة ذهبت إلى عنده فلحن بنصٍ من ابن هشام . واما قول الحريري في قول بعض المولدين أيضًا :

كل عندٍ لك عندي لا يساوي نصفَ عندِ

(١) كذلك نقول (مرة) في دمشق ، وهي لغة صحيحة لم يشر المصنف الى صحتها أو لعل الناسخ حذف الاشارة ، فقد جاء في اللسان : قال ابن الانباري : وللعرب في المرأة ثلاث لغات : يقال هي امرأته وهي مرأته وهي مرَته وجاء فيه أيضا :وقد أنثوا فقالوا مرأة ، وخففوا التخفيف القياسي فقالوا (مرة) بترك الهمز وفتح الراء وهذا مطرد . ونلفظ أيضا في دمشق عند بفتح العين ، ونقول : (ذهبت لعنده) وهو لحن و (جاء لعنا) بدل لعندنا وهو لحن مضاعف يوم اللعنة فيستحق اللعن أي الطرد من لغتنا العامية .

إنه لحن فمدفوع بنص منه أيضاً ، ومثل ذلك قول أبي الطيب فيما أنشده عنه ابن برّي :[1]

وتمنعني ممّن سوى ابن محمد أيادٍ له عندي يضيق بها عندُ

ووجه الدفع عنده أن كل كلمة ذكرت مراداً بها لفظها فسائغ أن نتصرف تصرّف الأسماء ، وإن كان الذي أريد بها لا يتصرّف ، وإن تعرَبْ فيقال حينئذ : ضرَبَ فعل ماضٍ ، وليت حرفٌ يَنصب و يَرفع بتأويل هذا اللفظ كذا وأن يُحكى أصلها فيقال مثلا ضربَ فعل ماض بفتح الباء ، وليتَ حرف يَنصب و يَرفع بفتح الآخر من كلمة ليت ، والاكثر حكايةً بنص من الشيخ الرضي ، وعلى الأول قد ورد قول الشاعر فيما وجدتُه في كتاب اشعار الهذليين جمع السكري :

ياليتَ عمرواً وماليتٌ بنافعة لم يغز مهماً ولم يَهبطْ بواديها

حيث اعرب ليتاً الثانية مصروفة ، وإنْ أوّلها بمؤنث كالكلمة بدليل قوله بنافعة دون بنافع نظراً إلى أنها ثلاثية ساكنة الوسط فيجوز صرفها كهند وشبهها .

٣٤٠ — ومن ذلك قولهم : أخذه مِنِّ ، بحذف ياء المتكلم من مني والاجتزاء بكسرة ما قبلها كما فعل أشعر الفقهاء وأفقه الشعراء زين الدين عمر بن الوردي المعرّي حيث قال في قصيدته الموسومة بتذكرة الغريب[2]

---

(١) يمدح علي بن محمد بن سيار ، ورواية الديوان تضيق بها عند (٢) تذكرة الغريب منظومة في النحو ذكرها لابن الوردي صاحب كشف الظنون .

في المنطق وفي شاذ النحو للتقريب :

إنِ الذيْ مِنْ مُتْقْماً صبا   بالعدل في اللاء يقولوا كذبا

فاراد مني ، وفي البيت أيضاً تخفيف إنَّ الناصبة للاسم الرافعة للخبر مع اهمالها ، وتشديد ياء الذي الموصولة كما هو لغة بعضهم ، واسكان قاف (متقما) كما قالوا : أراكَ مُنتفْخاً ، باسكان الفاء واستعمال اللاء بكسر الهمزة بمعنى الذين وحذف نون الرفع دون جازم ولا ناصب كما في قوله :[1]

كل له نية في بغض صاحبه   بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وقد كثر حذف ياء المتكلم في النداء وغيره مثل : يا أبتِ ، وربِّ ارجعونِ ، وإياي فارهبون ، مما اجتزئ فيه بالكسر وقول الراجز :[2]

قالت سليمى ليت لي[3] زوجاً يَمُنْ   يغسل جلدي وينسيني الحزنْ

وحاجةً ما إنْ لها عندي ثمنْ   ميسورة قضاؤها منه ومنْ

قالت بنات العم : ياسلمى وإن   كان فقيراً معدما قالت : وإنْ

مما حذفت منه الكسرة ايضا حالة الوقف ليكون الوقف بالسكون ، وقوله يَمُن أي يَمُنني ، فهو من باب حذف غير ياء المتكلم ، بخلاف قوله : منه ومنْ .

٣٥ — ومن ذلك قولهم : يفعلوا ويقوموا ويقعدوا ، ونفعلي وتقومي وتقعدي ، ونحو ذلك مما حذفوا منه نون الرفع دون جازم ولا ناصب ، وهو

(١) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب . (٢) الراجز رؤبة ابن العجاج . (٣) ويروى بعلاً والبيت الثالث من الضرائر الشعرية .

عند ابن مالك جائز في الكلام الفصيح من غير ضرورة ، ومن ذلك في النثر قراءة ابي عمرو في رواية عنه : قالوا ساحران تّظاهرا ، والاصل تتظاهران ، فأدغمت التاء في الظاء ، وحذفت نون الرفع التي هي نون التثنية ، ورفع ساحران بتقدير : انتما ساحران ، وله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا !) بحذف نون جمع المذكر من تؤمنوا وتدخلوا المنفيين بلا ، فمن روى هذا الحديث هكذا ، وفي النظم ما انشدناه قبيل هذا [١] ، وقول الآخر :

أبيتُ أسري وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

بحذف نون الواحدة المخاطبة مرتين .

٣٦٠ = ومن ذلك قولهم : توم بالمثناة في ثوم بالمثلثة ، ومثله خبيت في خبيث ، ومبعوت في مبعوث ، قال الزين بن الوردي : وقد أبدلت خيبر والنضير من الثاء تاء في كثير من الحروف فقالوا في ثوم توم وفي مبعوث مبعوت وفي خبيث خبيت وأنشدوا فيه : [٢]

(١) اي بيت (كل له نية . . .) ، كذلك تحذف عامة دمشق نون الرفع دون جازم ولا ناصب في الافعال الخمسة كلها (٢) البيت للسموأل اليهودي ، وجاء في اللسان : وسأل الخليل الاصمعي عن الخبيث في هذا البيت فقال له : أراد الخبيث في لغة خيبر ، فقال الخليل : لو كان ذلك لنتهم لقال الكثير ، وانما كان ينبغي لك ان تقول : انهم يقلبون الثاء تاء في بعض الحروف ، وقال ابو منصور في بيت اليهودي أيضاً : أظن ان هذا تصحيف ، قال : لان الشيء الحقير الرديء انما يقال له : الخبيث بتاءين وهو معنى الخبيث فصحفه وجعله الخبيت .

اقول : والعامة عندنا في دمشق تقول خبيث بالثاء المثلثة ، وتوم وكثير بالتاء المثناة .

ينفع الطيّب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيثُ

قال وروي أن الخليل قال للاصمعي : لمَ قال الخبيث ؟ فقال : هذه لغتهم انتهى ؛

ويقال في الثوم فوم بالفاء كما قال الله تعالى : من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، خلافاً لمن قال : إنه في الآية الحنطة ، والى الاول ذهب الكسائي في جماعة وقالوا : هو أليق بالبقل والقثاء والعدس والبصل، ولما في قراءة ابن مسعود : وثومها ·

٣٧ · = ومن ذلك قولهم : مَشاء الله ، ومثل هذه تسمى اللخلخانيّة ، قال الزين بن الوردي : واللخلخانية تعرض في لغة اعراب الشحر وعُمان يقولون في ما شاء الله : مَشاء الله ، فيحذفون الالف من ما ، انتهى · قال الجوهري : واللخلخانية العجمة في المنطق، رجل لخلخاني اذا كان لا يفصح، انتهى كلامه ، واللفظان فيما ذكره بخاءين معجمتين ولامين مفتوحتين ·

٣٨ — · ومن ذلك قولهم : يجي بدون همزة ، قال صاحب التسهيل : وبعض العرب يحذف همزة يجي ويسوء واحدى ياء يستحي ، ويجريهن مجرى يفي ويسبي في الاعراب والبناء بالافراد وغيره ·

٣٩ · — ومن ذلك قولهم : افعل أما هذا وأما ذاك ، بفتح همزة أما ، فقد حكي عن بعضهم : مررت برجل أما راكع وأما ساجد ، بفتحها ، وأنشد بعضهم على هذا بيت الخنساء [1] :

(١) البيت للخنساء من مرثية لها في صخر ، ولم يشر الديوان الى هذه اللغة · انظر الديوان أنيس الجلساء بيروت ١٨٩٥ ، والأغاني ١٣/١٣٦ ·

سأحمل نفسي على آلةٍ فأمّا عليها وأمّا لهـا

والى ما قلته أشار صاحب مغني اللبيب .

٤٠ — ومن ذلك قولهم : فلان يأكلْ ويشربْ ويلعبْ ويضحكْ ، ونحو ذلك مما أسكن فيه لام المضارع المستحقة للضمة الاعرابية وصلاً ، إجراءً للوصل مجرى الوقف ، نحو قراءة أبي عمرو : وما يشعرْكم ، وينصرْكم بإسكان الراء ، ومايعدْهم الشيطانُ بإسكان الدال ، وقول الشاعر :

وناعٍ يخبّرنا بمقتل سيّدٍ تقطَّع من وجدٍ عليه الأناملُ

وقول امرئ القيس :[1]

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغلِ

بإسكان الباء من أشربْ ، وهو عند بعض النحاة من إجراء المنفصل مجرى المتصل ، إذ هم يقولون في عَضُد عَضْد بسكون الضاد فأجري مجراه رَبْغَ (أشربْ غير) ، وهكذا يقولون في كَبِد : كَبْد

(١) وفي لسان العرب (أسقى) وعلى ذلك لا شاهد فيه وقال ابن جني في خصائصه : سألت أبا علي عن قوله : (أبيت أسري وتبيتي تدلكي ... فخضنا فيه ، واستقر الامر فيه على أنه حذف النون من تبيتين كما حذف الحركة للضرورة في قوله : (فاليوم أشربْ غير مستحقب ..) كذا وجهته معه ، فقال لي : فكيف تصنع بقوله : (تدلكي) قلت : نجعله بدلاً من (تبيتي) أو حالا فتحذف النون كما حذفنا من الأول فاطلق الامر على هذا ، ويجوز ان تكون (تبيتي) في موضع النصب ، بإضمار أن في غير الجواب كما جاء في بيت الاعشى :

لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوي اليها المستجير فيعصما

بسكون الباء فأجري مجراه نَقِ وَمن (انه من يتقْ ويصبر) فيمن قرأ بسكون القاف .

٤١ . = ومن ذلك قولهم : فلان لا عزّهْ ولا حرمهْ ، بإبدال تاء التأنيث من عزّه هاءً ساكنة ، كما في الوقف إجراءً للوصل مجراه كما في قوله :[1]

لما رأى أن لا دَعَهْ ولا شِبَعْ مالَ الى أرطاة حِقفٍ فاضطجعْ

٤٢ . = ومن ذلك قولهم : عملْهم قليل وأملْهم طويل ، بإسقاط حركة الإعراب من عمل وأمل ، إجراءً للوصل أيضاً مجرى الوقف نحو قوله :[2]

قمت وفي رجليكِ ما فيهما وقد بدا هنْكِ من المئزرِ

أسكن هنُك بالنون المرفوعة ، ومثل ذلك ما يقع في كلام بعض المشارقة من نحو : أَملْك وعملْك ، بسكون لامها .

٤٣ . = ومن ذلك قولهم : هُمُ الذي قالوا وهُمُ الذي فعلوا ، حيث استعملوا الذي في موضع الذين بحذف نونه ، كقوله تعالى : وخضتم كالذي

(١) البيت لمنظور بن حبة الاسدي ، ويروى : فالطجعْ ، بإبدال اللام من الضاد ، وقبله : يا رب أبَّاز من العُفر صدعْ تقبَّضَ الذئبُ اليه واجتمعْ

الأبّاز القفاز من الظباء العفر ، والضمير في (رأى) يعود الى الذئب : اي لما رأى أن الظبي لا يشبعه وقد اتعبه ادرا كه مال الى شجرة من الارطى فاضطجع في ظلها ، والحقف المعوج من الرمل . (٢) لم نعثر على قائله ، ويروي ابن يعيش البيت في شرح المفصل (٤٨/١) والكتاب ٢٩٧/٢ رحت بدل قمت ، ثم يقول : اراد هنك بالرفع أعربه بالحركة وهي لغة ، وسكنه تشبيها بعضد ، وبعضهم يحمله من الضرائر الشعرية .

خاضوا ، في أحد تأويليه ، وقول الأشهب بن رُميلة :(١)

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هُمُ القوم كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ

٤٤ = ومن ذلك قولهم في حالة الوصل : هُوَهْ فعل ، وهِيَهْ فعلت ، بزيادة هاء السكت إجراءً له مجرى الوقف ، وإعطاء حكمه جائز نثراً ونظماً ، ومن النثر قوله تعالى : لم يتسنَّهْ ، و فبهداهُمُ اقتدِهْ ، وأما تشديدهم واو هوّ وياء هيّ باقيين على فتحتهما فلغة همدان ، وعليها جاء قوله :(٢)

وإن لساني شُهدةٌ يُشتفَى بها ... وهوَّ على مَنْ صبَّه الله عَلقمُ

وقوله :

والنفس إن دُعيت بالعنف آبيةٌ ... وهيَّ ما أُمرت باللطف تأتمرُ

٤٥ = ومن ذلك قولهم : أنا فعلت ، بإثبات ألف أنا وصلاً ، وهي لغة تميم وبعض قيس وربيعة كقول الأعشى :

فكيف أنا وانتحالي القوافيَ بعدَ المشيب كفى ذاك عارا

وكقول أبي النجم : (أنا أبو النجم وشعري شعري) ، ومن قال في

(١) ويروى زميله بالزاي وهي أمه ، والاشهب شاعر مخضرم قاله : يرثي قوماً قتلوا بفلج ، والنحاة يرون حذف النون استخفافا لطول الاسم بالصلة ، فهم يسلون كل ماخالف قانونهم النحويّ من لغات العرب ابداً . (٢) هذا البيت والذي يليه من الشواهد التي لايعرف قائلها ، وهمدان احدى قبائل اليمن ، قال الكسائي هيَ أصلها أن تكون على ثلاثة أحرف مثل أنت فيقال : هيَّ فعلت ذلك ، وقال : هيّ لغة همدان ومن في تلك الناحية (انظر اللسان ٢٠/٢٠٣) وقال ابن يعيش : والتضعيف لكراهية وقوع الواو طرفا وقبلها ضمة (شرح المفصل ٩٧/٣)

قوله تعالى : لكنا هو الله ربي ، إنه من باب إجراء الوصل مجرى الوقف ، والأصل : لكن أنا هو الله ربي ، فهو صارف للآية بهذا عن أن تدخل في سلك تلك اللغة ، أو قائل إن تلك اللغة من ذلك الباب .

ومن ذلك قولهم : فعلته أنه ، بجعل الهاء مكان الألف وقفاً ، كقول حاتم الطائي : هذا فزدي أنه [1] ، أي قصدي أنا ، وعلى عكسه قول الشاعر : [2] (وقد وسطتُ مالكاً وحنظلا)

قال الجوهري : أراد وحنظلة ، فلما وقف جعل الهاء ألفاً ، لأنه ليس بينهما إلا الهتّة . [3]

٤٦ — ومن ذلك قولهم : وَنا ، يريدون وأنا فيحذفون الهمزة تخفيفاً كما قال الشاعر :

---

(١) كذا في الاصل والصواب بالفاء ، وقد قلبت الصاد زايا لأنها ضعفت وهي ساكنة ، والزاي من مخرج الصاد ، قال ابن يعيش(٣/٩٤) وقد قالوا : أَنَهْ فوقفوا بالهاء ، حكي عن بعض العرب ، وقد عرقب ناقته لضيف فقيل له : هلا فصدتها واطعمته دمها مشوياً ، فقال : هذا فزدي أنه أي فصدي ، وقال الشاعر :

إن كنتُ أدري فعليّ بدَنَهْ من كثرة التخليط فيّ من أَنَهْ

(٢) هو غَيلان بن حُريث (اللسان٩/٣٠٨) ، وبعده (صُيّأَبها والعددَ المجلجلا) ، وذكر ابن بري أنه لحريث بن غيلان وانه اراد (وحنظل) لأنه رخمه في غير النداء ثم أطلق القافية ، قال وقول الجوهري : وجعل الهاء الفاً وهم منه ؟ أقول : وابن بري يتابع سيبويه فقد استشهد بالبيت في (باب ما رخمت الشعراء في غيرالنداء اضطراراً) ولم يذكر اسم الراجز (الكتاب ٣٤٢/١) (٣) كذا في الاصل ، والصواب (الهة) وفي القاموس المحيط هَهَّ يَهِهُ ههاً وهَهّة لثغ واحتبس لسانه .

قلت لشيطاني وشيطاناتي لا تقرباني ونا في الصلاة

٤٧ = ومن ذلك قولهم: فلان وفلان جاءوني : لأن من عادة العرب إجراء الاثنين مجرى الجمع ، وفي شرح تذكرة الغريب للمصنف حكاية نقلها عن الشعبي أنه قال في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءوني ، فقال عبد الملك : لحنت يا شعبي ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لم ألحن مع قول الله تعالى : هذان خصمان اختصموا في ربهم ، فقال عبد الملك : لله درّك يا فقيه العراقين فقد شفيتَ وكفيت !

٤٨ ·= ومن ذلك قولهم : لاَنْ أفعل كذا ، يريدون الآن ، كما قال الشاعر : [(1)]

وقد كنت تخفي حبّ سمراء خفيةً فبحْ لاَن منها بالذي أنت بائحُ

أنشده ابن الوردي ؛ فإن قلتَ : أليس هذا ضرورة فلا يجوز في السعة ، قلت : لا ، بل في ذلك نقل حركة همزة القطع الى لام التعريف ثم حذف الهمزة مع الاستغناء عن همزة لام التعريف كما في لَحمر في الأحمر ، وهذا جائز في سعة الكلام ·

٤٩ ·- ومن ذلك قولهم : ابن أبو الفضل وابن أبو الجود ، بالواو في موضع الياء ، ووجهه أنه على الحكاية ، قال ابن الوردي : ومن الحكاية

(١) أنشده الأخفش ، وصواب الرواية فيه « حقبةً » بدل خفية ، قال الجوهري : وربما فتحوا اللام وحذفوا الهمزتين وأنشد البيت - قال ابن بري : قوله حذف الهمزتين يعني الهمزة التي بعد اللام نقل حركتها على اللام وحذفها ، ولما تحركت اللام سقطت همزة الوصل الداخلة على اللام · (اللسان ١٦ / ١٨٥)

في حديث وائل بن حجر : من محمد رسول الله الى المهاجر بن أبو أمية ، ومنه ما وجد بيد اليهود من خطّ علي رضي الله عنه ما صورته : كتب علي ابن أبو طالب ، قال : وعندي أن الواو في أبو هنا ، إنما هي تنبيه على الأصل في الخط ، ولم ينطق بها في اللفظ ، كالواو في الصلاة والزكاة فاعرفه فإنه حسن ، هذا كلامه ، ونظيره في منع اعتبار الحكاية ماجزم به ابن هشام في قوله :[1] (لعل أبي المغوار منك قريبُ)

من ان الجر بلعل لغة قوم باعيانهم بنقل الأئمة ، اذ هو منع لما اعتبره بعضهم فيه من الحكاية ، إلاّ أن القول بأن واو الصلوة والزكوة انما هي للتنبيه على الاصل ، خلاف ما عليه الكشاف من أن رسمها على لغة من يميل الالف نحو الواو ، وهو الراجح عندي لاطراده في (الحيوة) اليائية .

٥٠ — ومن ذلك قولهم : زوّجْ بناتَك ، بنصب بنات بالفتحة ، ولكن على ما حكاه الكوفيون من : سمعتُ لغاتَهم ، ورأيت بناتَك ، بفتح التاء .

٥١ — ومن ذلك قولهم : هذا أبيض من ذلك ، أي أشد بياضاً منه ، وذلك أخصر من هذا ، أي أشد اختصاراً منه ، مع أن افعل التفضيل لا يبنى قياساً من لونٍ ولا مزيدٍ ولا لتفضيل المفعول ، فقد حكى النحاة : أخصر ،

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي وصدره :

(فقلتُ أدعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً)

وابو المغوار كنية أخي الشاعر مات فرثاه واسمه هرم او شبيب (أنظر لعل في مغني اللبيب)

بالمعنى المذكور، وهو من الاختصار ولتفضيل المفعول معاً، وجاء في حديث الحوض: إن ماءه أبيضُ من اللبن، وهذا من اللون، وعن ابن مالك انه خرّج هذا على وجهين: احدهما أن يكون هذا من باض الشيءَ، اذ فاقه في البياض، قال فالمعنى على هذا: أن غلبة ذلك الماء لغيره من الاشياء المبيضة اكثر من غلبة بعضها بعضا، فابيض بهذا الاعتبار ابلغ من أشد بياضا؛

الثاني: ان يكون أبيض على بابه الا ان (مِن) لا تتعلق به، وانما تتعلق بمحذوف دلّ عليه أي: ماؤه أبيضُ أخلصُ من اللبن، وعلى هذا ابيض من قبيل الوصف، ومؤنثه بيضاء، ولقد عيب على أبي الطيب قوله في صفة الشيب:

إبعَدْ بَعِدتَ بياضاً لا بياضَ له   لأنت أسودُ في عيني من الظلمِ

فتأوّل ذلك بعضهم بمثل هذا، قال الحريري في (درّة الغوّاص): ويكون على هذا التأويل قد تم الكلام وكملت الحجة في قوله: (لانت اسود في عيني...) وتكون من في قوله (من الظلم) ليبين جنس السواد، لأنها صلة أسود، قال: ومعني قوله (لا بياض له) اي ماله نورٌ ولا عليه طلاوة؛ واما (الخَصَر) بفتحتين في قوله [١]:

لو اختصرتم من الاحسان زرتكمُ   والعذبُ يُهجرُ للافراط في الخَصَرِ

فليس مجرد الاختصار ليكون منه أخصر، بل هو اسم معناه البرد.

---

(١) البيت لأبي العلاء المعري: انظر شرح التنوير على سقط الزند، بولاق ١٢٨٦ ص ٣١

٥٢ . — ومن ذلك قولهم : جا فلان[١] ، بدون همزة ، وهو وارد على لغة من يقول : شا يشا ، بألف لا همزة بعدها فيهما ، وعلى هذه اللغة خرج قوله : (لو يشا طار بها ذو صبغة[٢])

بهمزة ساكنة في (يشا) مبدلة عن الألف على حدّ العألم والخأتم ، وقراءة من قرأ : ولا الضألين بالهمزة شذوذاً ، خلافاً لمن جعل لو ههنا معطاة حكم إن في الجزم ، وجعل يشا على اللغة المشهورة .

٥٣ . — ومن ذلك قولهم قليلاً : أَسمي فلان ، بفتح همزة أسم ، فقد نقل هذه اللغة عن بعض المتأخرين الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد المعري الشافعي المعروف بابن الركن في كتابه : (ضوء الذبالة)[٣] ، وكذا نقلت في بعض شروح (المصباح) في النحو .

٥٤ . — ومن ذلك قولهم : أكلتْ كبابْ وشربتْ شرابْ بإسكان

---

(١) والعامة بدمشق ومدينة حلب بخلاف ضواحيها تقول : (إجا فلان) بزيادة همزة مكسورة ، وتقول (إسمي) بكسر الهمزة ، وكبابْ وشرابْ بسكون تقف به على جميع الاسماء ، والإعراب في بلاد العرب اليوم غير معهود في الخطاب ومعدود من التكلف والإغراب . (٢) كذا في الاصل ، والقائل كما في الحماسة امرأة من بني الحارث ، وعزاه العيني لعلقمة ، وتمام القطعة مع البيت مصححاً :

فارسٌ ما غادروه مُلحَما غيرَ زُمّيلٍ ولا نكسٍ وَكِلْ
لو يشا طار بـه ذو ميعـة لاحقُ الآطالِ نهدٌ ذو خُصَل
غير أن اليـأسَ منـه شيمة وصروف الدهر تجري بالاجل .

(انظر باب المراثي في الحماسة ، ومغني اللبيب في بحث لو ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ٢٢٨) . (٣) هو الشرح المختصر لكتابه الدرة المضية في الألغاز النحوية .

الآخر حالة الوقف في ذلك وما شاكله ، مما هو منصرف منصوب على لغة قبيلتنا ربيعة ، حيث لا يقفون عليه بالألف كما هو لغة غيرهم ، ولكن بالسكون كالمرفوع والمجرور بلا فرق ، فيقولون : قام زيدْ ورأيت زيدْ ومررت بزيدْ ، بإسكان الدال في جميع الأحوال ، وعلى هذه اللغة جاء قوله:

ألا حبَّذا غُنْمُ وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هائماً دَنِفْ

وعليها أيضاً بنيت قولي :

ولما كان لي نسب شهير إلى قوم من العرب الأصائلْ
سُئلتُ : الى ربيعة أنت تُعزى فقلتُ: اكففْ فلستُ أجيب سائلْ

أريد انني رَبعي كما قال بعضهم :

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسبْ فأجاب : ما قتلُ المحبِّ حرامُ

يريد أنه تميمي لانه أهمل (ما) العاملة عمل ليس ، كما هي لغة تميم .

٥٥ — ومن ذلك قولهم : فعلت كذا[1] ؟ بحذف همزة الاستفهام ، فيقال فعلت ؟ ومثله قولهم للزاني : وتزني ؟ وللسارق : وتسرق ؟ على ما عليه الأخفش من قياسه حذفها في الاختيار عند أمن اللبس نحو قراءة ابن مُحيصن[2] سواء عليهم أنذرتهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام بقوله : وإن زنى وإن سرق ؟ وقيل في قوله تعالى : أذّن مؤذن أيتها العيرُ إنكم

---

(١) وعامتنا بدمشق لا تنطق بالهمزة وهل الاستفهاميتين ، ولا بلم ولمّا (٥٧) الجازمتين ، أما الحمد لله ، فتلفظها بضم الدال والحمد لله . (٢) محمد بن عبد الرحمن السهمي مقرئ أهل مكة ، توفي فيها (— ١٢٣) .

لسارقون ، تقديره : أئنكم ، لأنه في الظاهر يؤدي الكذب ؛ وقيل : أراد سرقتم يوسف من أبيه ، لا انهم سرقوا الصاع ، قال الاستاذ النحوي أبو الحسن علي بن الحسين الاصفهاني الحنفي الملقب بجامع العلوم في كتابه الموسوم بـ (جواهر القرآن) ونتائج الصفة وهذا سهو لان إخوة يوسف لم يسرقوا يوسف ، وإنما خانوا أباهم فيه وظلموه ، قال : وقيل قالوه على غلبة الظن ، ولم يتعمدوا الكذب ويوسف لا علم له ، فيكون التقدير : إنكم لسارقون في غلبة ظنوننا ، قال وقال ميمون بن مهران : وربما كان الكذب أفضل من الصدق في بعض المواطن ، وهو إذا دعا إلى صلاح لا فساد وجلب منفعة انتهى .

٥٦ . = ومن ذلك قولهم : الحمدِ لله ، بكسر الدال تبعاً للام المكسورة بعدها ، وقد قرئ بذلك في الشواذ في صدر سورة الفاتحة ، كما قرئ أيضاً بضم اللام تبعاً للدال المضمومة قبلها ، الا ان هذه التبعية أقيس لتأخر التابع كما في (منحدُر) بضم الدال بخلاف (مِنتِن) بكسر الميم وقد مر ذكره .

٥٧ . = ومن ذلك قولهم : لم آ كُلُهْ ولم أشربُهْ ، بسكون هاء الضمير مع ضم ماقبلها مع اقتضاء (لم) سكونه ، يقولون ذلك وشبهه وصلاً ووقفا . أما وصلا فاجراء للوصل مجرى الوقف ، وهو وإن كان شيئا عزيزاً نادراً ، كما قطع بذلك (جامع العلوم) ، إلا أنه جائز نثراً ونظما ، كما نص على ذلك ابن الوردي على ما علمت ؛ وأما وقفا فجريا على قاعدة الفعل المذكورة

في باب الوقف ، إذ قد سُمِع منهم نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الذي قبله بشروط ذكرت ثمة نحو :

فمن كان ناسينا وطولَ بلائنا فليس بناسينا على حالة بَكُرْ

بضم كاف بكر ، ونحو [1] :

عجبتُ والدهر كثير عجبُهْ من عنزيّ سبني لم أضربُهْ

بضم الباء الموحدة من قوله : لم أضربُه ، و « عنزيّ » في هذا البيت نسبة إلى عنزة بفتح المهملة والنون بعدهما زاي ، أبي حيّ من ربيعة ، وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ وأما عِنْز بسكون النون فابن وائل ابن قاسط بن هِنب بكسر الهاء وسكون النون ، بن أقصى بالقاف ، ابن دُعمي بضم المهملة الأولى وسكون الثانية ، بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، على ما ذكرناه في كتابنا الموسوم بـ « الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة » .

٥٨ . = ومن ذلك قولهم : الحلبيْ والشاميْ والمصريْ ، ونحو ذلك مما خففت فيه ياء النسبة ففي (كنز المعاني) في شرح قول الشاطبي :

« روى أحمدُ البزيّ لهُ ومحمدٌ »

---

(١) هذا البيت لزياد الاعجم كما نسبه سيبويه في كتابه والشنتمري ٧٢/٢ ، وابن يعيش في شرح المفصل ٧٢/٩ ، وهو من عبد القيس قيل له الاعجم للكنة كانت في لسانه .

إشارة إلى أن تخفيفها لغة ؛ وأما قول امرئ القيس [1] :

فقِل في مقيلٍ نحسه متغيبي

ففي الموشح شرح الكافية : إن قوله « متغيبي » في الأصل متغيبيّ بياء المبالغة ، كقولهم في أحمر أحمريّ وفي دوّار دوّاريّ ، خفف في الوقف ، وهو أحد التأويلين المذكورين هناك لدفع توهم أن الشاعر أراد : فقِل في مقيلٍ متغيّب نحسه ، فقدّم الفاعل وهو نحسه على عامله ، واشبعت كسرة آخر متغيب ، فتولّد عنها تلك الياء ، فهي ياء خفيفة من أصلها لا تخفف .

٥٩ = ومن ذلك قولهم : خَبّطُّ ، بتشديد الطاء في خبطتُ ، وخصطُ بالطاء في خصتُ ، ففي التسهيل : وقد تبدل تاء الضمير طاء بعد الطاء والصاد .

٦٠ = ومن ذلك قولهم : أخنّ ، في أغن بابدال الغين خاء على عكس ما روي عن العرب أيضاً من قولهم : غطر في خطر ، وقد صرّح ابن مالك بوقوع التكافؤ في الإبدال بين هذين الحرفين ، ووقع التمثيل له بهذين اللفظين ، ومن كلام بعض المولدين [2] :

كم أعجميّ ألكنٍ أخنِّ حصّل بالتكرار كلَّ فنِّ

(١) البيت من قصيدته في ام جندب التي مطلعها (خليليّ مرّا بي على أم جندبَ) ، وصدر هذا البيت : (فظلّ لنا يوم لذيذ بنعمةٍ) ؛ وكذلك تخفف العامة في دمشق ياء النسبة أبدا ، وتقول : خبّط وفحصط ٥٩ كما تقول أخن بالخاء أيضا ٦٠

(٢) الأخن هو المسدود الخياشيم والانثى خنّاء والجمع خُنّ من الخُنّة ، قال المبرد : الغُنّة ان يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها ، فاللفظة على ذلك فصيحة . —

٦١ — ومن ذلك قولهم[1] مَحُّمْ ، بالميم المفتوحة والحاء المهملة المشدّدة المضمومة في (معهم) ، فقد وقع في (التصريح) بأن الحاء قد تبدل من الهاء بعد عين أو حاء أخرى إن أوثر الادغام ، ومثّل لذلك بـ (مَحُّم) بادغام العين في الحاء المنقلبة عن الهاء أولاً ، و (إمدحْ حِلالا) بادغام الحاء في الحاء المنقلبة عنها أيضاً .

٦٢ — ومن ذلك قولهم : أنطيته ، يريدون به معنى أعطيته ، قال الجوهري : والانطاء الاعطاء بلغة أهل اليمن ؛ ونقل غيره عن الزمخشري انها لغة بني سعد ، وهي الآن واقعة في كلام أهل زماننا من اهل البدو[2] .

٦٣ — ومن ذلك قولهم : أكلتيه وشربتيه بالاشباع ، وهي لغة عند بعضهم ، قال صاحب (التقريب) في قوله : والله لانعطيكهنّ ، ويروى نعطيكاهنّ بالاشباع نحو : بئس ما جزيتيها ، وإلا أخبرتيهـا وعصرتيه ، وهي لغة حكاها يونس وأنكرها الأصمعي انتهى .

قلتُ : وعلى هذه اللغة جاء قوله صلى الله عليه وسلم لبريرة رضي الله عنها : لو راجعتيه ، رواه صاحب كتاب (المصابيح) في باب المباشرة منه .

— قديمة ، وليته استشهد لها بشعر قديم لا مولّد كقول دَهلب بن قُريع :

جارية ليست من الوَخشنّ ولا من السود القصار الحُنّ

(١) وتقول عامة دمشق : راح مَحُّم ٦١ ، واكلتيه ٦٣ ، ونم نمْ في الجواب ٦٤ .

(٢) وهو كذلك الى يوم الناس هذا .

٦٤ = ومن ذلك قول الإنسان إذا طرق باب صاحبه : نعمْ نعمْ ، مريداً للاعلام بحضوره ، ولقد أخبر العلاّمة الدماميني شارح مغني اللبيب وهو بمكة في أواخر سنة ثماني عشرة وثمانماية أو أوائل سنة تسع عشرة : أن شيخه قاضي القضاة كمال الدين أبا الفضل النويري الشافعي قاضي مكة سأل الشيخ جمال الدين بن هشام مصنف مغني اللبيب عما جرى به العرف في تلك الأزمنة من أن الإنسان إذا طرق باب صاحبه يقول : نعمْ نعمْ ، مريداً للاعلام بحضوره ، وهل لهذا أصل في لسان العرب ؟

فقال : نعمْ ، وقد ذكرتُ ذلك في كتاب مغني اللبيب ، وأفادَ العلاّمة الدماميني أن ذلك في موضعين من كتابه ، أحدهما : أن نعم تقع جواباً لسؤال مقدر ، والثاني : مانقله بعد ذلك من ابن عصفور في جحدر :

أليس الليل يجمع أمَّ عمرو وإيّانا وذاك بنا تداني
نعمْ ، وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علاني

وأما (نعم) في بيت جحدر ، فجواب لغير مذكور ، هو ما قدّره في اعتقاده ، من أن الليل يجمعه وأم عمرو ، قال : وكذلك قول هذا الطارق : نعم نعم ، هو جواب لما قدّره في إعتقاده من أن صاحب المنزل لشدة احتفاله به والتفاته إليه يسأل : هل حضر فلان ؟ انتهى كلامه ؛ وقد ذكر في هذا البيت احتمالان آخران ، أحدهما : أن نعم جواب لقوله : (وأرى الهلال …) البيتَ ، وقدّمه عليه ؛ والثاني : أنه جواب لقوله : (فذاك بنا تداني) ، قال ابن هشام ، وهو أحسن انتهى ، وعلى هذين

الاحتمالين ، فنعم في البيت جواب لمذكر مؤخر على الاحتمال الأول ، ومقدّم على الثاني ، ولذا كان أحسن ٠

٦٥ ٠ – ومن ذلك قولهم : صابَه السهمُ ، ففي الصحاح إنَّ : صابَ السهمُ القرطاسَ يَصيبه صَيْباً ، لغة في أصابه ، وعلى هذه اللغة جاء قول المتنبي : (١)

ورمى وما رمتا يداه فصابني سهمٌ يعذّب والسهامُ تريحُ

قال الدماميني في شرح مغني اللبيب عند ذكر الألف التي تكون علامةً للتثنية لا ضميرها على قولٍ في نحو : قاما الزيدان ، شارحاً لهذا البيت : يعني أنه نظر إليه فرمى بطرفه سهماً أصاب فؤاده ، ولم ترمِ يداه ، على أن هذا السهم الصائب لم يجرِ على عادة السهام التي ترميها الأيدي فإنها تقتل فتريح من نصب الحياة ، وأما هذا السهم الصائب فإنه يعذب دائماً بما يهيجه من لوعة الغرام ويزيده من لاعج الشوق ، قال : وصاب السهمُ القرطاس يصيبه صيباً لغة في أصابه ، وفي المثل : مع الخواطئ سهم صائب ، يضرب للذي يكثر الخطأ ويأتي الأحيان بالصواب ٠

٦٦ ٠ = ومن ذلك قولهم : لسعتني الحية ولسعته بلساني ، مع قول بعض

(١) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومي مطلعها :

جللا كما بي فليك التبريحُ أغذاء ذا الرشأ الاغن الشيحُ

وقوله : وما رمتا يداه ، على لغة يتعاقبون ، والجملة حال ، ونقول عامتنا بدمشق : صابه السهم ، ولسعته الحية وفلان يلسع بلسانه (٦٦)

اللغويين في تأليف له : كل ضارب بمؤخره (يلسع) كالعقرب والزنبور ، وكل ضارب بفيه (يلدغ) كالحية وسام أبرص ، وكل قابض بأسنانه (ينهش) كالكلب وسائر السباع ؛ ففي الصحاح : لسعته العقرب تلسعه لسعاً ، وفي الجمهرة : واللسع لسع العقرب والزنبور ، قال ابن دريد فيها : ثم كثر ذلك حتى قالوا : فلان يلسع الناس بلسانه : إذا كان يؤذيهم ، ومنه قول بعض السلف لرجل ذكر عنده رجلاً بسوء فسجع في كلامه ، فقال : أراك سجّاعاً لساعاً ، أما علمت أن أبا بكر نضنض لسانه وقال : هذا أوردني الموارد ، انتهى .

والنضنضة بنونين ومعجمتين : تحريك الحية لسانها على ما ذكره الجوهري أيضاً .

٦٧ . = ومن ذلك قولهم : قلم[1] ، للقصب الذي يُبرى ، فيكون قلماً مع قول بعض اللغويين : إنه لا يقال قلم إلا إذا كان مبرياً ، وإلا فهو قصب ، كما لا يقال : كوز ، إلا إذا كانت له عروة ، وإلا فهو كوب ، إذ من الجائز أن يكون ذلك منهم على المجاز إطلاقاً لاسم الشيء على الشيء باعتبار ما يؤول إليه .

٦٨ . = ومن ذلك قولهم : نعش للسرير قبل أن يوضع عليه الميت ، مع أنه في كتب اللغة لا يقال له سرير إلا ما دام هو عليه ، إمّا باعتبار ما كان عليه أو باعتبار ما يؤول اليه .

(١) كذلك تلفظ عامتنا بدمشق الفاظ الفقرات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠

٦٩ ٠ــ ومن ذلك قولهم : سَلامْ عليكم بدون تنوين سلام ، فقد حكاه أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي عن أبي الحسن عن العرب ، قال في كتابه الذي ضمنه شرح أبيات العز[1] قايلها أعرابها ودفن في غامض الصنعة صوابها ، كأنهم حذفوا التنوين لكثرة هذه اللفظة في الاستعمال انتهى ؛ ومما حذف فيه التنوين في النثر ، ولكن لالتقاء الساكنين قوله تعالى : (ولا الليل سابقُ النهارَ) فيمن نصب (النهارَ) من غير تنوين (سابق) ، قال الفارقي : قال أبو علي الفارسي عن أبي بكر بن السراج عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد أنه سمع عمارة بن عقيل[2] يقرأ : (ولا الليل سابقُ النهارَ) بنصب النهار ، فقلت له : ما تريد ؟ فقال : (سابقٌ النهار) ، قلتُ : فهلاّ قلته ، قال : لو قلته لكان أوزن ٠

٧٠ ٠ـــ ومن ذلك قولهم : هذا لَأبي وذاك لَأخي ، ونحو ذلك مما فتحوا فيه لام الجر مع الاسم الظاهر في غير المستغاث به ، وفي كتاب الفارقي : إن ذلك لغة ، وقد أُنشد فيه قوله :

تواعدني ربيعةُ كلَّ يوم   لأُهلكها واقتني الدجاجا

بفتح اللام الداخلة على الاسم الظاهر ، ولكن لا حقيقة[3] بل تأويلا أي لاهلاكها ٠

(١) كذا في الأصل . وفي العبارة غموض ٠ (٢) وحكى هذا القول أيضاً ثعلب عن عمارة ، انظر نزهة الألباء ٢٩٦ (٣) يفهم من قوله (لا حقيقة) أنها لا تدخل على الظاهر الا مؤولا مع ان ابن يعيش في شرح المفصل يقول ٢٦/٨ : « وقد شبه بعضهم المظهر بالمضمر ففتح معه لام الجر فقال : المالِ لَزيد ٠ »

٧١ — ومن ذلك قولهم : يا با ، يريدون بذلك يا أَبي ، فيقلبون ياء المتكلم ألفاً كما في (يا حسرتا ويا غلاماً) ، ويحذفون همزة أبا كما في قوله صلى الله عليه وسلم : يا با بكر! لعلك أغضبتهم ، الحديث . وليس ذلك في الأَصل يا أبا مثل يا عصا على لغة من يستعمل الأَب مقصوراً كالأَخ نحو قوله : (١)

تقول ابنتي لما رأتني شاحباً   كأنك فينا يا أباةُ غريبُ

فيمن جعل تاء أباة زائدة ؛ وذهب ابن السكيت في كتاب القلب والإبدال الى أنه مقلوب من أبَتا ، قال الفارقي : وهو قول جيد ، ولا شاهد فيه ، وأنشد على لغة أخا :

قالوا : تفردتَ لا خلاً ولا سكنا   فقلتُ : من أين للحرّ الكريم أخا

قوله : لا خلاً ولا سكنا ، أي لا تصحب لا خلاً ولا سكنا .

٧٢ — ومن ذلك قولهم : شرّ ، بتخفيف الراء في نثر الكلام وتفاً ، وكذا وصلاً إن وقع إجراء للوصل مجرى الوقف عند استعمالهم ذلك وصلاً ، لأن العرب كما يشددون الحرف الأخير في الوقف فيقولون : جاءني جعفرّ بتشديد الراء ، كذلك يخففونه على سبيل المعاوضة ، فإذا وقع تخفيفه وصلاً كان من إجراء الوصل مجرى الوقف نحو : وما أدراك ماهيهْ نار حاميهْ ، مما زيدت فيه هاء السكت وصلاً لتلك العلة ، مع أنه قد

(١) أنشده أبو علي الفارسي عن أبي الحسن ، وأنشد صدره يعقوب بن السكيت : (تقول ابنتي لما رأت وشك حالتي) انظر اللسان ١٨/ ١٠ ففيه مزيد بيان .

قرأ بعضهم : وما أدراك ما هي ، بدون تلك الهاء ، كما نبه عليه الفارقي ، وأنشد على تخفيف راء شرّ وصلاً قوله :

إني اذا ما لم أجدْ غيرَ الشرّْ كنتُ أمرءَ بنَ مالكِ بنِ جعفرْ

وأنشد قوله :

وأنتمُ معشرٍ لئامٌ نلقى لديكمُ أذًى وبُوسِ

بجرّ راء معشر ، على أن الأصل (مَعَ شَرٍّ) وإنه خفف الراء للضرورة ؛ وهـذا البيت مما يلغزُ به ، وإذا كتب جعل قوله مع شر بصورة معشر للإلغاز ، وحينئذٍ فلئامٌ بالرفع خبر أنتم لا صفة معشر ليشكل رفعه ؛ وأما قوله : (وبوس) بالجر فعطف على شر لا على أذى ليشكل جرّه .

٧٣ = ومن ذلك قولهم : أنَ ، بفتحتين وصلاً ووقفاً يريدون به أنا ، قال الفارقي في كتابه : حكى أصحابنا في (أنا) خمس لغات[١] : أنَ فعلتُ ، بإسقاط الألف من اللفظ في الوصل وإثباتها في الوقف وهي أفصحها ؛ وأنا فعلتُ ، بإثباتها وصلاً ووقفاً ؛ وأنَ فعلتُ بحذفها وفتح النون وصلاً ووقفاً ، وأنْ فعلتُ بإسكان النون في الحالتين ، وآنَ فعلتُ كل ذلك جاء عنهم قال أبو النجم :

(أنا أبو النجم وشعري شعري)

فأثبت الألف وصلاً ، وقال آخر :

(وآنَ الليث محميُّ العرينِ)

وقال بعض النحويين :

(١) انظر اللسان ١٦/١٧٩ وابن يعيش على المفصل ٣/٩٣

وأنْ أوردتهم حوض المنايا وجيتُ بمن بقي زُمراً قطينا

وقرأ الفرّاء : أنا أُحيي وأُميتُ ، وأنَ أُحيي بحذف الألف وصلاً ووقفاً ، وإثباتها هذا كلامه ؛ وقد استعملت ثانية هذه اللغات في عبارات أهل زماننا على ما علمتَ آنفاً ، وعلى الأولى والثانية يتخرّج قول بعض العرب : إنّ قائم ، إذ أصله : إنْ أنا قائم أو إنْ أنَ قائم ، بكلمة إنْ المكسورة الهمزة الساكنة النون المفيدة للنفي ، ولا اختلاف بين الأصلين على هاتين اللغتين في اللفظ ولكن في الخط ، والحملُ على الأولى أولى ، وكذا قال ابن هشام : أصله إن أنا قائم حُذفت همزة أنا اعتباطاً ، وأدغمت نون (إنْ) في نونها ، وحذفت ألفها في الوصل ، قال : وسمع أن قائماً على الأعمال : أي على أعمال إن الثانية ، وهذان التركيبان مما يُلغز به ٠

٧٤ ٠ — ومن ذلك قولهم : أكلت الدجاج ، وإن كان المأكول ديوكاً لقول جرير :

لما تذكرتُ بالديرين أرّقني صوتُ الدجاج وضرب بالنواقيسِ

قال الجوهري : إنما يعني زقاء الديوك انتهى ؛ وصرّح الفارقيّ بأنه يقال للديك دجاجة ، ذكر ذلك في كلامه على قول لبيد :

باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ لأعلّ منها حين هبّ نيامها

أي باكرتُ لاحتياجي الى الخمر بكور الديوك بسحرة لأسقى منها مرةً بعد مرة حين انتبهَ من نومه نيامها ٠

٧٥ ٠ — ومن ذلك قولهم : جعلَ له كذا وجعلتَ لك كذا ، بفتح

التاء ، وجعلتُ لي كذا بضمها ، مع اشتهار أنه لا يتعدى فعل الضمير المنفصل الى ضميره المتصل إلا في باب ظن وفي فقد وعدم ، فلا يجوز مثل زيد ضربه على معنى ضرب نفسه ؛ فإن قلت : فما وجه ما نقلتَ من أقوالهم المذكورة ؟ قلتُ : الوجه فيها أن الأصل لنفسه ولنفسك ولنفسي ، وإن ذلك من باب حذف المضاف إليه نحو قوله تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) ، إذا قدّر (لهم) معطوفاً على (لله) ، و (ما) معطوفة على (البنات) ، إلا أن تقدير المضاف في هذه الآية تكلُّف ، وإن كان العطف لا يصحّ إلاّ به بتصريح من ابن هشام في مباحث جملة الاعتراض في مغني اللبيب ، وذلك لأن وجهاً في الآية يغني عن تقدير الشيء ، وذلك أن يقدّر (لهم) خبراً و (ما) مبتدأ ، والواو للاستئناف لا عاطفة جملة على جملة ، ويقدر الكلام تهديداً كقولك لعبدك : لك عندي ما تختار ، وأنت تريد بذلك إبعاده أو التهكم به .

٧٦ - ومن ذلك قولهم : قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج ، مستعملين سائراً في ذلك بمعنى الجميع ، وزعم الحريري في (درّة الغوّاص في أوهام الخواص) أن ذلك من الأوهام الفاضحة والأغلاط الواضحة ، وأن سائراً في كلام العرب بمعنى الباقي ، وتعقّبه العلاّمة أبو محمد عبد الله ابن بري بن عبد الجبار المقدسي فيما كتب بخطه على هذا الكتاب ، فأنشد شواهد كثيرة تدل على مجيء سائر بمعنى الجميع ، كما جاء بمعنى الباقي ، منها قول ابن الرّقاع :

وحجراً وزباناً وإن يكُ ملقطٌ ... تُوفيَ فليُغفر له سائر الذنبِ

وقول ابن أحمر :

فلا يأتنا منكم كتاب بروعةٍ ... فلن تعدموا من سائر الناس ناعيا

وقول ذي الرمة :

معرِّساً في بياض الصبح وقعته ... وسائر السير إلا ذاك منجذبُ

قال ابن برّي : قوله (إلا ذاك) : استثنى التعريس من السير فسائر اذاً بمعنى الجميع ، وقال ابن أحمر أيضاً :

قضباً من الريحان عكّسه النّدى ... مالت جناجنُه وسائره ندِيـ

ـيُ مالت أوساطه وصدره لِلينه ورطوبته وجميعه ندٍ ، وأنشد أيضاً للأحوص :

وإني لأستحييكمُ أن يقودني ... إلى غيركم من سائر الناس مجمعُ

وعلى هذا المعنى ورد قول أبي العلاء المعري :

أُشرب العالمون حبك طبعاً ... فهو فرضٌ في سائر الأديانِ

تأملات عامة في اللهجات العربية

إن الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي بدمشق وكاتب سره وصديقي الأمير جعفر الحسني محافظ دار الآثار بدمشق ، قد رغبا إليّ في أن أشرح في هذه المجلة القواعد العامة للأبحاث التي عُنيت بها ، فقبلتُ هذا الاقتراح بسرور عظيم ، وأنا الآن مبين بإيجاز كيفية فهمي لعلم اللهجات Dialectologie ، ولا سيما العربية منها .

ويحسن بنا أن نعرّف باديَ الرأي علم اللهجات :

إن من النادر أن نجد لغةَ تخاطب ، وهي على مساحة متسعة من الأرض ، تحافظ على شكل واحد ؛ والأشكال المختلفة التي تتخذها هذه اللغة في بقاع الأرض المختلفة التي يتكلم بها ساكنوها هي اللهجات لهذه اللغة ؛ وإن إحدى هذه اللهجات ، وإن ارتفعت الى مستوى لغة دينية أو أدبية أو سياسية ، وهو ما يحدث غالباً ، فإن سائر اللهجات الأخرى تعيش وتكون كثيرة في معظم الأحيان ، مثال ذلك لهجة باريس الفرنسية ، فقد أصبحت اللغة السياسية والأدبية لفرنسة بأجمعها ؛ بيد أن اللهجات الأخرى (التي أثرت قديماً تأثيراً أدبياً) قد ظلت حيةً الى يوم الناس هذا ، كذلك وبنسبة أكبر لبثت اللهجات الإيطالية عامة . وكما نجد لهجات ألمانيةً عديدة لا تزال حيةً في ألمانية ، نجد الى جانبها أنّ لغة علمية ، وهي لغة الديوان النمسوي السكسوني ، قد أصبحت اللغةَ الأدبية والرسمية لألمانية كلها . إن هذه الحالة شبيهة بحالة العالم العربي ، فإن اللهجات المحلية لا تزال لغة الخطاب بين معظم الشعب ، على الرغم من وجود لغة كبيرة دينية وعلمية وأدبية : إن اللغة العربية الفصحى (المدرسية) المبني جانب منها على لغة

شعرية قديمة كانت في بلاد العرب الوسطى ، والجانب الآخر منهـا مبني على لهجة قديمة هي لغة الحجاز ، هي اللغة الأدبية التي تعمل بإزاء اللهجات العربية ، ذلك العمل الذي عملته اللاتينية أزاء اللهجات الرومانية المنتشرة بأوروبة في القرون الوسطى .

ولقد نخطئ كثيراً اذا تناسينا استقلال اللهجات بالنظر الى اللغة الأدبية : إن اللهجات الفرنسية هي غير الفرنسية الأدبية وهي فرنسية باريس المتحولة المتكاملة ، وكذلك اللهجات الإيطالية ليست هي اللغة الإيطالية المدرسية التي حوّلتها الجماعات الشعبية ، واللهجات العربية ليست كذلك مما حوّله الأميون عن العربية الفصحى ، فإنهـا غير مرتبطة بها ، ولذلك ينبغي أن لا نحاول تفسير جميع تلك اللهجات المختلفة بالرجوع الى العربية الفصحى ، وهو ما يخطئ الناس في عمله كثيراً .

وإن الذي ساعد على انتشار هذا الخطإ هو اعتبار : اللهجات لغةً فصيحة شوّهها الشعب ، ولعل هذا هو شأن اللغة اللاتينية ، ولا ريب أن للغات الرومانيـة المختلفة : (البرتغالية والإسبانية والفرنسية والبروفنسالية والايطالية والرومانية) هي اللاتينيةُ المتكاملة برومة ؛ بيد أن الناس يعلمون أن جميع العالم الغربي قد فتح بلدانه سكانُ مدينة رومة وضواحيها المجاورة ، وكان هؤلاء السكان يتكلمون تقريباً لغةً واحدة ، وليس هـذا الامر شبيهاً بحالة اللغة العربية ، إذ ليس سكان مكة والمدينة ولا الحجاز هم الذين فتحوا المملكة (الامبراطورية) العربية فحسب ، لانا نعلم أن معظم قبائل جزيرة العرب قد أعانت على هذا الفتح ، ولهذا نرى نحاة العرب القدماء يذكرون اختلافات عديدة في اللهجات في جوف البلاد العربية القديمة ، فالفتح العربي قد نشر بين الناس اختلاف اللهجات التي كانت في الجزيرة إبان الهجرة .

فإذا عرفت اللهجات بهذه الصورة كان البحث عنها موضوعَ علم اللهجات ، وفي درس أية لغة من اللغات يجب أن يعنى بعلم اللهجات عنايةً خاصةً ، وعلينا أن نلاحظ أن اللغات الفصحى (المدرسية) ليست إلا جزءاً من الحقيقة اللغوية : ذلك أنه لا نستطيع أن ندرس بطريقة علمية تاريخ اللغة الفرنسية وتكاملها مع الاقتصار على الفرنسية الفصحى وحدها : إن كثيراً من المسائل الخطيرة لا تظهر معانيها إلا بواسطة اللهجات أو

بعدفهمها ؛ وإن درس اللهجات بجاراته لدرس اللغة الفصحى مما يساعد على الاطلاع على جملة اللغة اطلاعاً كاملاً ؛ بل اطلاعاً دقيقاً ، لان اللهجات هي الحقيقة الحية ، بينما نرى ان اللغة الفصحى ، وإن كان لها نصيب من التخاطب ، يرافقها شيء من التصنع والتفصح ·

إن خطأً كبيراً أن نجعل لدرس علم اللغة أو لاحد فروعها ، وهو بحث اللهجات ، غاية نفعية · ومن الناس من يظن أن هـدف علم اللغة أن يميز في اللغة صحيح القول من فاسده ، (وهو هدف النحاة الفرنسيين في القرن السابع ، والهدف الذي رمى اليه من قبلهم نحاة العرب المتقدمون) ؛ ومنهم من يرى — وهو رأي مشتق من المتقدم — أنه يجب أن نختار من بين اللهجات أقربها من الفصحى وأجدرها بالاتباع : إن هذه الآراء ضعيفة ، وتخالف رأينا كل المخالفة ·

ليس موضوع علم اللغة المفاضلة بين الأشياء ، فهو لا يعنى بفن الاستبداع والجمال Esthétique ، بل يرى أن أحط اللهجات لا يقل درسها فائدة عن اللغة الادبية المهذبة كما أن بلورة الملح لا تقل عن الماسة في نظر الكيماوي · ان علم اللغة هو علم ومثل جميع العلوم لا يتخذ له هدفاً غير معرفة موضوعه ، وبتعبير آخر غير وصف أحوال اللغة وتطوراتها (علم اللغة القراري Statique وعلم اللغة الحراكي Dynamique وعلم اللغة القراني Synchronique وعلم اللغة اللاقراني Dischronique)

هذا ما يقال عن الخطة العامة ، فلننظر ما يجب أن ينتهجه علم اللغة العربية ولهجاتها : ان من البين ان العمل الضروري الذي يجب القيام به هو وصف اللهجات وان العربية الفصحى قد درست درساً كبيراً ، ومن الممكن أن نعتبر أبحاث الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات قد نضجت نضجاً كافياً ، وبعكس ذلك لا يعلم الناس من أمر اللهجات العربية إلا قليلا : وإذا كنا نعرف بعض الشيء عن بعض لهجات المدن (كبيروت ودمشق وحلب والقدس والقاهرة) فإننا لا نزال نجهل لهجات القرويين والبدو (وهي في الأغلب أشد بالاصل ارتباطاً ، وبقاعها الجغرافية أشد من غيرها انبساطاً) ان بحث هذه اللهجات مما لا غنى عنه ، لأن تقدم التعليم وانتشار الصحافة وسهولة المواصلات مما زاد انتشار اللغة الفصحى أو لغة التخاطب القريبة منها ، ونرى أمام هذه

اللغة الجليلة أن اللهجات ولاسيا لهجات القري والبدو تتأخر ، والأمر يؤول بها إلى الاضمحلال والزوال .

لنتفاهم جيداً ، فإني لا أجد في التفاهم شراً بل خيراً : إن الاختلاف اللغوي شر ، والوحدة اللغوية خير عظيم . واني في حالة العرب خاصة لافهم كل الفهم وأرى من الحق أن يشعر العرب المتباعدة أقطارهم بحاجتهم الى لغة واحدة هي رمز وحدتهم الروحية ، وان هذه اللغة الواحدة لا يمكن أن تكون سوى الفصحى ، وأرجو أن يؤذن لي بضرب المثل الآتي : حينما يوجد أثر قديم من الأبنية ، عديم نفع وقليل جمال ، وهو على قارعة طريق ينتفع الناس بسلوكه ، ولا يستطيعون أن يستعيضوا عنه بغيره ، نجد من الحق الشرعي ان نفادي بهذا البناء وان نهدمه ونزيله عن طريق الناس ، ذلك أن حاجات حياة المدينة تتقدم على الانتفاع بعلم نظري صرف ؛ غير أن علم الآثار يتطلب بحق أن يعنى بتخطيط هذا الأثر القديم ، وان تصوّر منه المواضع الضرورية تصويراً شمسيًا قبل أن يُمحى من الوجود .

ان هذه الحالة لتنطبق على اللهجات العربية ، التي تريد أن تنقضّ وتنقرض ، ولا ريب أن من المفيد انقراضها : إذ لا يرمي علم اللهجات الى المحافظة على هذه اللهجات أصلا ولا الى تجديد حياتها ، وانما يهمه أن توصف وتعرف قبل فقدها . يجب أن نعجل بالأمر : فقد طال في اللغة الفرنسية بنا الانتظار ، وان الابحاث التي يقوم بها علماء اللهجات منذ أواخر القرن الماضي قد تأخرت عن وقتها بعد أن ضاع كثير من الدقائق اللغوية الخطيرة .

وقد عنيتُ بوصف اللهجات العربية منذ بضع سنين ، فبدأت بكتابة وصف نحويّ للهجة التدمرية سنة ١٩٣٢ ، وبعد هذا العمل الاول شرعت في درس اللهجات لجماعات كبيرة : وسأنشر في هذا الخريف بحثًا بعنوان : « تعليقات على بعض اللهجات البدوية في سورية وفلسطين » ، كما اني درست الخطوط الاصلية لمبحث الاصوات والصيغ في نحو عشر لهجات بدوية ، وأنا الآن مهتمّ بوصف لهجة كورة واسعة ، هي حوران (مع شمال مشارف الشام : شرق الاردن) ، وقد شرعت في هذا العمل منذ ١٩٣٣ ، وسينشر بحثي بلا شك في سنة ١٩٣٨ . كما شرعت في بلاد المغرب في البحث

بإيجاز عن الخطوط الكبيرة من لهجات إفريقية الشمالية كلها (طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش) ، وأرجو أن ينتهي هذا البحث سنة ١٩٤٠ . ومن المحتمل بعد ذلك أن أهتم باللهجات الشرقية ، بحيث أبدأ على الاقل بذلك التخطيط اللغوي للهجات السورية الفلسطينية العراقية ، وهو تخطيط ضروري جداً ، وقد حاولت في هذه الابحاث أن أجمع أفضل وسائل التحقيق العلمي : كالتسجيل في أقراص الحاكي [1] والمقاييس الصوتية الدقيقة .

هذه هي الخطوط الكبيرة للعمل الذي أنا قائم به ، وأرجو كل الرجاء أن يهتم بها الجمهور العربي ، لانها أبحاث تتعلق بلغته ، وأن يشارك بها ولو بعض المشاركة ، فإن كثيراً من الدقائق اللغوية تخفى على الاجنبي الذي ينقصه الاطلاع على روح اللغة أبداً ، ولهذا أتقبل بامتنان كل ما يرسل إليّ من نقد وملاحظة ، لان البحث اللغوي ما زال من بعض جوانبه : عملاً جمعياً لا فردياً .

ج . فانتينو

أستاذ علم اللغة العام والالسنة السامية

في جامعة الجزائر

تعليق

إن مؤلف هذا البحث الممتع قد عني كل العناية باللهجات الشامية ، ولا سيما لهجات بادية الشام ، وقضى ما بين ظهراني البدو زمناً طويلاً ، فكتب ما كتب عن علم وخبرة ، وبحثه هذا يشف عن روح إنصاف طيبة ، فمن الحق أن يجيبه الى طلبه علماء اللغة العربية فيساهموا في البحث عن اللهجات العربية الحية ، وقد قام من بعض الوجوه بواجبه من علمائنا الشيخ رضي الدين محمد بن ابرهيم الحنبلي مؤلف كتاب « بحر العوّام » الذي نشره المجمع العلمي في هذا الجزء من المجلة ، فإنه قد بحث منذ نحو أربعة قرون عن لهجات بلاد الشام الشمالية عامة ولا سيما لهجة حلب وكورها المحيطة بها ، ومنها بلدة « تادف » التي ينتمي المؤلف اليها ، وهنالك ، كما ذكر المستشرق دلائل جمة على أن اللهجات العامية العربية مصيرها الانقراض ، وإن « الفصحى » أبد الله دولتها ، تزداد على الايام حياةً وقوةً وانتشاراً .

(١) كونلفات الفنغراف .

المصدر اليائي أو اليائي الصيغة

أخطأ من يسميه بالمصدر الصناعي

كثيراً ما قرأتُ في كتب قواعد العربية المطبوعة في مصر ، كلاماً على « المصدر الصناعي » ، وذلك منذ نحو من خمسين سنة أو دُوَين ذلك ، وقد بحثت نعماً عن هذه التسمية ووجودها في كتب أهل الصناعة ، فلم أجد لها ذكراً ، وقد قضيتُ في هـذا البحث الايام الطوال ؛ بل الاعوام العداد ، فلم أرجع عنهُ إلا بما رجع به حنين ، فاستنتجتُ أن هـذا الوضع حديث عائد الى اصحاب « الدروس النحوية » لمنشئيها : حفني ناصف ، ومحمد دياب ، والشيخ مصطفى طموم ، ومحمد صالح . وقد ظهرت هذه الدروس مطبوعة لأول مرة في سنة ١٣٠٥ ، ولم أجد لهذه التسمية ذكراً قبل ظهور هذا التصنيف .

وإني لا أظن هذه التسمية صحيحة ، بل أعدها من الخطإ الصريح القبيح المرغوب عنه ، لان قولك : « المصدر الصناعي » كقولك : « مصدر الصناعة ، لان الاضافة تردُ بمعنى النسبة وبعكس ، حتى أن سيبويه سمى النسبة إضافة . وما ذلك إلا من باب الترادف ، فقولك مثلاً : « آلة زراعة » يكاد يكون كقولك : « آلة زراعية » وان كان بين المعنيين فرق لا يخفى على المتأمل ، فآلة الزراعة تمحض معنى الكلمة للصناعة المذكورة ، وأما الآلة الزراعية فتفيدك أن تلك الآلة تتصل بالصناعة المذكورة بمنحىً من المناحي ، بعيداً كان أو قريباً : ففي « النسبة » معنى عام ، وفي « الإضافة » معنى خاص ، فقولك : « بيت ملك » خصوص وهو ظاهر ، وقولك « بيت ملكي » عموم : أي ان البيت يتصل بالملكية بمنحى أياً كان : وكل من

النسبة والاضافة لا تأتي بمعنى المفعول ، وكذلك لا يأتي المفعول بمعنى احدى تينك التسميتين ، فإنك لا تقول مثلاً « آلة مزروعة » وتريد بها « آلة زراعة أو آلة زراعية » ويظهر فساد تسمية المصدر اليائي بالمصدر الصناعي ، من أنك تعرف أن الآلة لا تُزرع وانما يعتمل بها للزراعة .

فإذا كان الأمر كذلك اتضح لك فساد تسمية قولك : « المصدر الصناعي » ، وكان الحق أن يقال « المصدر المصنوع أو الموضوع أو المصوغ » لانه يصنع أو يوضع أو يصاغ صوغاً قياسياً بصناعة معروفة أو بعمل مقرر في تآليفهم . فكان يجب على الواضعين الاولين — ليصح كلامهم وتعبيرهم — أن يقولوا « المصدر المصنوع » الى آخر ما قلناه . ولذلك وجب أن ينبذ نبذاً وحياً — قول القائل « المصدر الصناعي » لفساده .

٢ — اتخاذ المصدر اليائي

كيفية اتخاذه أن تعمد الى الكلمة مشتقة كانت أم غير مشتقة — مصدراً كانت ام غير مصدر — وتزيد على آخرها ياء مشددة وهاء ، وتسمي تلك الياء « ياء المصدر » ولا تقل « ياء النسب » فاذا تمّ ذلك سميت الكلمة « بالمصدر اليائي » ، وسمي كذلك لاختتامه بالياء المذكورة وهي التسمية التي جرى عليها اصحاب الفن .

وقد ورد مثل هذا المصدر منذ اقدم الازمنة ، بل من عهد الجاهلية ، بل لفظة « الجاهلية » نفسها هي من هذا النوع من المصدر ، ولهذا اخطأ من انكر صحة « الجمية والعملية والتشرية » وما كان على هذا البناء .

٣ — قياسية هذا المصدر نقلاً عن رواية الأئمة

كنتُ قد قرأت منذ زمن مديد في ترجمة ابي الطيب المتنبي ما هذا معناه :

« استنشد سيف الدولة يوماً ابا الطيب المتنبي قصيدته التي اولها :

«على قدر اهل العزم تأتي العزائم» فاندفع ابو الطيب ينشدها فلما بلغ قوله فيها :

وقفتَ وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائمُ

تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسمُ

قال سيف الدولة : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرئ القيس بيتاه:

كأني لم أركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم اسبإ الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين . كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

ولم اسبإ الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسمُ

تمر بك الابطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي : أيد الله مولانا ، ان صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان اعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس ، وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لان البزاز لا يعرف[1] جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لانه هو الذي اخرجه من « الغزلية » الى « الثوبية » . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت ، أتبعته بذكر الردى وهو الموت ، ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح ، وثغرك باسم ، لاجمع بين الاضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . » اه

أوردنا هذه الحكاية على ما كنا قد وقفنا عليها منذ نحو خمسين سنة ، ولم نقيد في مدوناتنا الصفحة والجزء اللذين وردت فيها لبعد العهد وعدم وجود ديوان المتنبي لشارحه العكبري لدينا في هذا الوقت ، لاعارتنا اياه بعض الاصدقاء . وقد أوردناها على ما كنا دوناها ولعل فيها زيادة أو نقصاً ، على أن المراد من سردها هنا توجيه

---

(١) كذا في الاصل ، ولعل الصواب (لا يعرف إلا جملته) . (المجلة)

الانظار إلى وجود « النزلية » و « الثوبية » وهما من المصادر اليائية التي لم ترد في أي معجم من معاجم اللغة

فنطق المتنبي بهذين اللفظين ، وإثبات الشارحين لديوانه هذين الحرفين ، من غير أن يتعرض أحد لتغليط المتنبي ، دليل واضح على أن الناظم الفيلسوف الفذ (وهو من أبناء المائة الرابعة) ذكر ما ذكر نقلا عن شيوخه - ولم يخطئه من جاء بعده ، ولا سيما شارح ديوانه العكبري وهو من أبناء المائة السادسة . فالاخذ بالمصدر اليائي أخذ مقيس على نهج العرب الفصحاء ولا يمكن أن يتعرض لتخطئة قياسيته من يأتينا في هذه الايام وهو يحجل في كلامه حجل الغراب في مشيته .

فقد انكر بعضهم « السابقية والمحتونية والمشروطية والمخطوطية والحيوية » وما ضارعها زاعمين ان ذلك من التعبير التركي ، ويتضح لك فساد قولهم مما مر بك ومما انقله اليك الآن .

ج - قياسية المصدر اليائي نقلا عن أئمة النحاة .

ذكر الكنبوي (وهو الميرزا ابو الفتح المتوفى سنة ١٢٠٥) في كتابه « الحاشية على ميزان الادب » الذي هو لمحمد التبريزي الحنفي شارحاً آداب البحث لعضد الدين الايجي المتوفى سنة ٧٥٦ وقد ألف الكنبوي كتابه في سنة ١١٨٩هـ فذكر صيغ المصادر اليائية في كلام طويل وقع في أربع صفحات دقيقة الحرف من ص ٦ إلى ص ٩ . ونحن نورد بعض كلامه بحروفه مع حذف بعض منه حبا للاختصار ، ونشير الى الحذف بثلاث نقاط ، ومن أراد النص بكماله ، فعليه بالكتاب نفسه ، وهو مطبوع في الآستانة في أواخر شوال سنة ١٢٣٤ ودونك هذا النص :

« صيغ المصادر إما مشتركة بين المعنى المصدري ، وبين الهيئة الحاصلة للفاعل والمفعول به ، كما ذهب اليه بعضهم . وإما موضوعة للاول فقط . ولا يستعمل في الثاني إلا مجازاً ، كما ذهب اليه أكثر المحققين . . .

« والمصدر قد يضاف الى فاعله وقد يضاف إلى نائبه . فالمضاف إلى الفاعل نحو كسر زيد الزجاج ، والمضاف إلى نائبه نحو: كُسر الزجاجُ ، بمعنى وقوع الكسر عليه ، لا بمعنى قيام

«المكسورية» به كما يقتضيه تفسير الشقيد مبني للمفعول — نعم يجوز أن تكون المصادر مشتركة، لكن لا تنسب ولا تضاف إلا باعتبار استعمالها في المعنى المصدري المقتضي للنسبة إلى الفاعل والمفعول به ...

«إما المعنى الاصطلاحي، اعني الهيئتين القائمتين بالفاعل والمفعول به، وإما المعنى اللغوي الشامل لها، وللمادحية، والمعظمية والممدوحية والمعظمية اللازمتين للحامدية والمحمودية لزوم الأعم للأخص، اذ المدح والتعظيم أعم من الحمد اللغوي والعرفي: وذلك لأن الحاصل بالمصدر بحسب الاصطلاح موضوع للهيئة الحاصلة للفاعل أو المفعول به، بسبب المعنى المصدري أولا وبلا واسطة كالحامدية والمحمودية الحاصلتين بسبب الحمد، ومثل المادحية والممدوحية حاصل ثانيا وبواسطتهما. والمعنى اللغوي للحاصل بالمصدر هو الحاصل بسبب المصدر اعم من يكون حاصلا أولا وبلاواسطة، وان يكون حاصلا بواسطة كالألم بالنسبة الى الضرب. والمادحية والممدوحية والكلام الحاصل من الحمد على ما صرح بمثله بعض الافاضل، فيكون المعنى اللغوي اعم مطلقا، اذ الكلام الذي هو لفظ وصوت ليس هيئة حاصلة لشيء من الحامد والمحمود، بل هو حاصل للهواء المتكيف، لكنه حاصل بسبب التكلم الذي هو الحمد.» اه بحروفه.

وفي سر الصناعة لابن جني [1] وشرح الوضعية لعصام الدين ما يشبه هذا الكلام فاجتزأنا بما ذكرنا.

٥ شواهد اللغويين في المصدر اليائي أو ياء المصدر

قال في التاج في مادة (خ ص ص): خصه بالشيء ... خصوصية بالضم، ويفتح، والفتح أفصح، كما نقله الجوهري، وبه جزم الفناري في حاشية المطول، وهو الذي في الفصيح وشروحه. وكلام المصنف ظاهره أن الضم أفصح، والفتح لغة؛ ولذا قال بعضهم: ولو قال: ويضم، لوافق كلام الجمهور، وسلم من المؤاخذة؛ ثم قالوا: الياء فيها، اذا فتحت للنسبة، فهي ياء المصدرية، كالفاعلية والمفعولية، بناء على خصوص

(١) في الجزء الثاني من كتابه في «باب الياء»

فعول للمبالغة كألمي وأحمري — قال شيخنا : وعندي في ذلك نظر . ويقدح فيه أنهم حكموا في الياء التخفيف . بل قيل : هو الأكثر ليوافق الياءات اللاحقة بالمصادر كالكراهية اه

وقال السيد مرتضي في تاجه أيضاً في مادة (و ل د) : الوُلودية : بالضم : الصغر ، عن ابن الأعرابي ، ويفتح . قال ثعلب : الأصل الوليدية ، كأنه بناه على لفظ الوليد وهي من المصادر (اليائية) التي لا أفعال لها . وفي البصائر : يقال : وفعل ذلك في وُلوديته ووَلوديته ، أي في صغره . وفي اللسان : فعل ذلك في وَليديته أي في الحالة التي كان فيها وليداً ... اه

وذكر ابن مكرم في اللسان : « اللص والاسم اللَّصوصية (بالضم) واللَّصوصية (بالفتح) . الكسائي : هو لص بيّن اللصوصية . وفعلت ذلك به خَصوصية . وحَروري بيّن الحرورية » اه . وقال الزبيدي في (ل ص ص) : (والمصدر اللصص واللَّصاص واللَّصوصية بفتحهن واللُّصوصية بالضم . الأولان نقلها الصاغاني . والأخير عن الكسائي . والفتح في الأصوصية واضرابها أفصح وإن كان القياس الضم كما في شروح الفصيح . وفي المصباح عكسه . نقله شيخنا) اه

قلنا : أما الفتح فهو لإخلاص اللفظ للمصدرية أي للمصدرية اليائية . وأما الضم فهو لاشتقاق هذا النوع من المصدر من الجمع المكسر فاذا قلت لصوصية بضم الأول اشتققت المصدر اليائي من اللصوص الذي هو جمع لص ، ولك أن تفتحه لتمحض الكلمة لاسم المصدر الذي هو المصدر اليائي هنا . ألا تراهم قالوا أيضاً (الاعرابية) وهو من هذا القبيل ومنسوب الى الأعراب جمع عرب . وعندنا أن الأفصح في مثل اللصوصية هو الضم لا الفتح ، والدليل أن اللغويين نقلوا ألفاظاً كثيرة على هذا الوجه وذكروا فيها الضم ولم يذكروا فيها الفتح ، ولو لم يكن الضم فيها أفصح من الفتح لما ذكروه ، إذ بعض اللغويين يذكرون الأفصح ويكتفون به ولا يذكرون الفصيح لأن الأول يغني عن الثاني : فقد ذكروا مثلاً الطُّفولية بالضم ولم يذكرها أحد بالفتح . وكذلك قال جمهور ثقات اللغويين : الألوهية والربوبية بالضم ولم يصرح أحد أنهما وردتا بالفتح .

على أننا نقول بجواز الفتح لإمحاض اللفظ للمصدرية واخراجه من الحاق الجمع المكسر بياء المصدرية فاحفظه تصب ٠

٦ً شواهد قياسية المصدر اليائي من وجود كثرة الألفاظ

يجوز لك أن تضع مصادر يائية من الألفاظ المشتقة وغيرها ٠ فلقد رأيت ما فعل المتنبي من وضع الشوبية والغزلية وهما غير موجودتين في دواوين اللغة ، فلك أن تجاريه اذا ما احتجت الى وضع ألفاظ اضطرتك الحال الى الافضاء اليها ، ولا تحصر ذلك في وزن دون وزن وفي مشتق دون مشتق - وهذا المصدر سائغ في الذوق قديم الورود في هذه اللغة الكريمة ٠

ودونك بعض ما ورد في لسانهم مما هو مقيد في المعاجم أو غير مقيد ٠ فالجاهلية مثلاً من أقدم الألفاظ وضعاً ، وقالوا : الولودية بالضم والفتح ٠ والوليدية ٠ قال في اللسان « فعل ذلك في وليديته أي في الحالة التي كان فيها وليداً » ٠ اه وفي التاج : قال ثعلب (في الولودية) الأصل الوليدية ، كأنه بناه على لفظ الوليد وهي من المصادر التي لا أفعال لها ٠ وفي البصائر : يقال : وفعل ذلك في وُلوديته ووَلوديته أي في صغره) ٠

وقالوا : المهيمنية ٠ ذكرها ابن الأثير في النهاية في مادة (ه م ن)

ومما جاء على الفاعلية : الخاصيّة والشاعرية والعالمية

وورد بصيغة المفعول : المخصوصية والمرجوحية والمغلوبية والمحبوبية ٠ قال أبو البقاء في كلياته في كلامه على المصدر ص ٥٩٣ من طبعة الآستانة ما هذا قوامه : (صرح صاحب الكشاف في قوله تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ٠ فان المعنى على تشبيه (محبوبيته) الأصنام من جهتهم (بمحبوبية) الله من جهة المؤمنين اذ لا دلالة في الكلام على الفاعل أعني المؤمنين) اه ٠ فانك ترى أن الزمخشري ذكر (المحبوبية) لاحتياجه الى هذا المصدر ٠ والزمخشري هو من هو ٠ والكلمة لم ترد في أي معجم لغوي كان ، بل لم ترد في أساس اللغة نفسه ، فهل يقال إنها تركية أو إنها غير عربية ؟ — نعم يقول ذلك من يجهل أسرار اللغة وأوضاعها ويجهل أن معاجم اللغة لا تدون

المقيس المشهور من كلام العرب . أو ينكرهـا من يتوهم أن ألفاظ اللغة كلها مدونة في المعاجم وما ليس فيها لا يعد عربياً .

ومن المصادر اليائية ما صيغت من المصادر المألوفة كالخصوصية والعروبية والحرورية بالفتح وهي مصدر يائي مصوغ من الحرّورة وكلاهما بمعنى الحرية .

ومن هذا القبيل ما ورد مأخوذاً من النعت كالحرية فانها مصوغة من الحر .

ووردت مصادر يائية مأخوذة من أفعل كالأ لمعية والأ ريحية والأ رجحية والأ غلبية والأ قلية والأ كثرية والأ فضلية والأ حسنية والأ جنبية الى غيرها .

ومن هذا المعين وقد ورد مأخوذاً من الأ سماء قولهم : القومية والوطنية والعصبية والسليقية والسخرية الى نظائرها .

الخلاصة

المصدر اليائي هو المصوغ من أي كلمة كانت ، وأي وزن كان ، بالحاق (ياء المصدرية) في آخره ، وضم هاء اليها لدفع معنى النسبة عنهـا ؛ ولا يجوز لك أن تسميه (بالمصدر الصناعي) لفساد هذا التعبير وبعده عن مناحي العرب للمعنى الذي ترمي اليه ، وهو الموفق لسواء السبيل ؟

بغداد الأب أنستاس ماري الكرملي

آراء وأخبار

ديوان الوليد بن يزيد

نشر المجمع العلمي في الجزءين السابقين ١ و ٢ من المجلد الخامس عشر ديوان الوليد ابن يزيد الذي جمعه المستشرق الايطالي ف · جبريالي F. Gabrieli ونشره في « مجلة الابحاث الشرقية » الايطالية Revista Degli Studi Orientali ، فأراح بذلك الأدباء والعلماء من عناء البحث عن معظم الباقي من شعر هذا الخليفة الشاعر ، وقد نوهنا باسمه على غلاف المجلة ، وذهلنا عن إثباته في المجلة عينها لأن الغلاف عرضة للتمزق عند التجليد ، ولهذا نوهنا هنا باسمه شاكرين له عنايته بأدب العرب ·

وقد افتتحنا هذا الديوان الصغير النفيس بمقدمة نفيسة ممتعة في حياة الوليد بن يزيد وأدبه الرقيق ، للاستاذ العلامة خليل مردم بك عضو مجمعنا العلمي العربي ، ونشرنا من هذا الديوان على حدة مقداراً قليلاً ، لينتفع به غير المشتركين بالمجلة من العلماء والأدباء ·

***

قل كريات بيضاء

سبق لي أن نشرتُ مقالا في مجلة المقتطف بعنوان « أبقال كريات بيضاء » · فنشرت مجلة للمجمع العلمي العربي (هذه) في عددها الصادر في ايلول و ت ١ سنة ١٩٣٥ مقالا للاب أنستاس الكرملي بعنوان (لا تقل كريات بيضاء) خطأني به في ما ذهبت اليه والمَّ بمباحث عديدة · وقد سبق لي أن انشئ رداً وأرسله الى هذه المجلة فامسكت ادارتها عن نشره ، والآن يؤذن لي بان ادافع عن صحة مذهبي اللغوي فاقول:

صلب البحث في « هل يجوز نعت صيغة الجمع سالما كان او مكسرا (وجمع السلامة هنا جمع للمؤنث) بصيغة فعلاء » فالاب انستاس يقول لا يقال كربات بيضاء ولا أدلة غراء ولا شمائل حسناء ولا هضاب شماء بل يقال بيض وغر وحسان وشم . فهذا البحث وبحثان آخران لا تتسع لها حقول هذه المجلة والمباحث الباقية سأنشرها في كتاب على حدة لا يقل عن ١٦٠ صفحة من قطع هذه المجلة .

البحث الأول يجيء نعت الجمع بصيغة فعلاء

يمنع الاب أنستاس هذا المجيء وأجيزه أنا ومستندي ما جاء في الشعر الفصيح وما رواه العلماء في الشعر الفصيح :

١ — قال امرؤ القيس (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ٧٤) .

ديمة هطلاء فيها وطف   طبق الارض تحرى وتدر

والشاهد ديمة هطلاء فالديمة صيغة جمع لدائم كصحبة لصاحب أولديوم كعمدة لعمود وقد أنزلت منزلة المفرد وهذا الانزال لا يمنع عدها جمعاً ، فان صيغ الجمع التي نقلت فعدت في المفردات تحفظ شأنها الاول ، فالضحى أصلاً جمع ضحوة والهدى أصلاً جمع هدية وقد أنزلنا في مقام المفردات فنقول ضحي سافر وضحى سافرة وهدى صادق وهدى صادقة . وجنب جمع جنيب كرغف جمع رغيف وقد نقل الى المفرد قال الحطيئة :

والله ما معشر لاموا امرءاً جنباً   في آل لأي ابن شماس بأكياس

وصيغ الجمع التي أنزلت في مصف المفردات تزيد عن عشرين صيغة وهي من مباحث علم المباني الذي يزعم الاب أنستاس أنه اهتدى اليه فان كان مدعاه صحيحاً فليورد في مقال تلك الصيغ وعلل نقلها والا كانت دعواه غير صحيحة .

١ — قال زهير (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ٣٩)

هم ضربوا عن كبشها بكتيبة   كبيضاء حرس في طوائفها الرجلُ

وحرس جمع حارس ورجل جمع راجل على مثال سفر وسافر وصحب وصاحب . وبيضاء حرس من باب أخلاق ثياب وترهات بسابس وصافنات جياد

والاصل حرس بيضاء وثياب اخلاق وبسابس ترهات ، فقُدم النعت على المنعوت وأخر المنعوت وجعل مضافا اليه . اذن أصل القول حرس بيضاء فالمنعوت جمع والنعت جاء على صيغة فعلاء

٣ = قال طرفة « ديوانه طبع سنة ١٨٨٦ في بيروت ص ١٣ »

من الشر والتبريح ابناء معشر كثير ولا يعطون في حادث نكرا

فحركة الروي الفتحة ثم يقول

جماد بها البسباس ترهص معزَها بناتُ اللبون والسلاقمة الحمرا

والبسباس نوع من الشجر والمعز منه الصلب ، وبنات فاعل ترهص [1] ، والسلاقمة جمع سلقم وهو البعير الشديد وجمع سلقم على سلاقمة كجمع قسوَر على قساورة ، وإن كانت هذه الصيغة لم يوردها القاموس فان القياس يقبلها والفصيح جاء بها . ولنا في السلاقمة وجها اعراب: الأول عطفها على بنات والثاني عطفها على اللبون والحمرا اصلها الحمراء ولا يصح أن تكون الحمر بضم فسكون كيلا يقع إقواء ، فليس في شعر طرفة اقواء . والحمراء إما نعت بنات والسلاقمة معاً وإما نعت السلاقمة ، فالمنعوت جمع والنعت جاء على صيغة فعلاء .

٤ = قال طرفة (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ١٥)

وإنا إذا ما الغيم أمسى كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجف

والسماحيق جمع سمحاق كالسرابيل جمع سربال ، وقد قال إنها حمراء ولم يقل إنها حمر .

٥ = قال المتنبي في قصيدته « أمن ازديارك في الدجى الرقباء »

وعقاب لبنان وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء

لبس الثلوج بها عليَّ مسالكي فكأنها ببياضها سوداء

(١) جاء في لسان العرب : والرهص شدة العصر

أي فكأن الثلوج ثلوج سوداء ، أو كأن المسالك مسالك سوداء أو كأن العقاب عقاب سوداء .

فأكتفي الآن بهذه الشواهد وعندي عليها مزيد- وانتقل إلى ما روي عن أقطاب اللغة فأقول : جاء في معجم المصباح للفيومي في ذيل الجزء الثاني ما يأتي :

قال أبو اسحق الزجاج : « كل جمع لغير الناس سواء كان واحده مذكراً أو مؤنثاً كالابل والارحل والبغال فانه مؤنث ، وكل جمع للتكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيره وتانيثه مثل الرجال والملوك والقضاة والملائكة » ويتضمن هذا القول عد الإبل من الجموع على حين لا مفرد له من لفظه ، اذن تقول ملوك عزلاء كما تقول ملوك عزل ، فيقال اذن : ادلة غراء وهضاب شماء وكريات بيضاء .

البحث الثاني : الجمع بالتاء

انكر الاب انستاس الكرملي الجمع بالتاء ليمنع قولي كتيبة جمع كتيب وسمهرية جمع سمهري ، والحال أن الجمع بالتاء وارد . والآن انقل اليه ما يأتي :

١ = جاء في القاموس في مادة ملح : الملح م والرضاع والعلم ... ج مِلحة

٢ = في القاموس (مادة ع ف و) العفو ولد الحمار .. ج عَفوة

٣ = في القاموس (مادة ق ط ن) القاطن .. ج قُطان وقاطنة وقطين . فجعل قاطنة اعرق في صيغ الجمع من قطين .

فاذا جاء في جمع قاطن قاطنة صح أن يجيء في جمع سمهري سمهرية وفي هندي هندية وفي كتيب كتيبة ، إذن قول المتنبي :

وبسانيك الجياد وما تحمـــــــل من سمهرية سمراء

شاهد حق لمجيء صيغة فعلاء نعتاً لصيغة الجمع المكسر الوارد بالتاء .

البحث الثالث : تصغير عرب على عُريب

قال الاب انستاس: ومن آرائه (يريد أمين خير الله) المردودة عليه أن تصغير عرب على عريب من الشاذ، قلت جاء في ابن عقيل على ابن مالك في باب التصغير: (إذا صُغر الثلاثي

المؤنث الخالي من تاء التأنيث لحقته التاء عند أمن اللبس وشذّ حذفها) إلى أن يقول (وما شذ فيه الحذف عند أمن اللبس قولهم في ذود ذويد .... فقال الخضري (إن الصيغ المؤنثة المصغرة بلا تاء شذوذا جمعها بعضهم في قوله :

ذود وقوس وحرب درعها فرس   ناب كذا نصف عرس ضحى عرب

فعد تصغير عرب على عريب من الشاذ وكذلك تصغير حرب على حريب . وماأورده الخضري أورده الاشموني ونقل عنهماذلك اليازجي في فصل الخطاب وارجوزة الصرف والمطران فرحات في بحث المطالب والخوري يوسف داود في كتابه الصرفي . فماينسبه الكرملي الى خاصة هو قول علماء المسلمين والمسيحيين وما يذهب اليه لا يقول به عالم مسلم أو مسيحي فاجتراؤه على تخطئة رأيهم الذي رويته يشهدعليه لا له . ورحم الله من عرف حده فوقف عنده والسلام

امين ظاهر خير الله

منح رتبتين علميتين

منحت الحكومة الفرنسية رتبة (أوفيسية في الاكاديمي) كلا من الحكيمين الفاضلين مرشد خاطر عضو مجمعنا العلمي واستاذ السريريات والامراض الجراحية في المعهد الطبي العربي بدمشق ؛ ونظمي القباني استاذ الجراحة في المعهد المذكور تقديرا لفضلهما وخدمتهما الجليلة الانسانية ، فنهنئهما على هذه الثقة العلمية التي أحرزاها عن استحقاق وكفاية .

مطبوعات حديثة

كتاب أخبار النحويين البصريين

تأليف أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي

اعتنى بنشره وتهذيبه الأستاذ فريتس كرنكو عضو المجمع العلمي العربي

طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت وعدد صفحاته ١١٦ صفحة

إن هذا الكتاب النفيس هو الجزء التاسع من خزانة الكتب العربية التي يُعنى بنشرها معهد المباحث الشرقية بالجزائر ، أما مؤلفه فهو أبو سعيد السيرافي النحوي الذي يقول عنه أبو حيان التوحيدي إنه : (شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفةً بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والحديث والهندسة) ، وله من التصانيف : شرح كتاب سيبويه الذي لم يسبق الى مثله وحسده عليه معاصروه ، والمدخل الى كتاب سيبويه ، وشواهد سيبويه والإقناع في النحو ، وصنعة الشعر والبلاغة ، والوقف والابتداء ، وألفات القطع والوصل ، وشرح الدريدية ، وكتاب جزيرة العرب ، وأخبار النحاة البصريين ، وهو هذا الكتاب الذي ذكر السيوطي في بغيته أنه وقف عليه وأنه كراسة كبيرة .

ويقول الأستاذ الناشر في مقدمته : (وأما النسخة التي هي أصل هذا الكتاب فهي مكتوبة أكثرها بالخط الكوفي الجميل ... تضمن كتاباً لا وجود لنسخة ثانية منه فيما أعلم ، وهو كتاب أخبار النحويين للسيرافي الذي كان الأصل الذي نهل منه المتأخرون

وعلّوا ، ونقلوا عنه الى كتبهم في تراجم أهل النحو فلم يزيدوا على ما أخبرنا به المؤلف ، وقد أخذ منه ابن النديم صاحب الفهرست وغيره ممن جاء بعده لفظاً في كثير من المواضع مع نقصان وزيادة يسيرة من أصول أخر ، ثم تداوله ياقوت الحموي وابن خلكان ومن تبعهما في كتبهم ·

وقد نشر هذا الكتاب عن النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة جامع شهيد علي باشا بالآستانة تحت رقم ١٨٤٢ ، وأخبرني العلامة الميمني الراجكوتي أن في الآستانة من هذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ، ولدينا منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق ملزمة واحدة ذات ثماني صفحات ليس غير ·

ويظهر أن الناسخ لم يكن بارعاً في أصول النسخ ولا العربية ، فغلط غير مرة غلطاً فاحشاً ، وعني العلاّمة الكرنكوي بتصحيح هذه الأغلاط في الحواشي ، وبكتابة حواش مختصرة ذكر فيها أسماء الرجال ووفياتهم وشرح فيها بعض غريب الأشعار ، وقد قابلنا بقدر الإمكان أبيات هذا الكتاب ورواياته ببعض النصوص المقتبسة منه كنزهة الألباء وبغية الوعاة وغيرهما ، فظهر لنا شيء من الاختلاف قد يتوصل به الى التصحيح ، من ذلك بيت كعب بن مالك ص ١٤ فقد جاء في الاشتقاق لابن دريد ص ١٠٥ :

جاءوا بجيش لو قيس معظمه ما كان إلا كمفحص الدُّئلِ

وفي ص ٢١ س ١١ عبد الرحمن بن هرمز ، ويعرف أيضاً بكنيته ولقبه وهما : (أبو داود الأعرج) ·

وفي ص ٣٢ س ١١ : (ذاك الكمال وهذا جامع) وهو شطر مكسور صحيحه كما في النزهة ٢٨ والمزهر (الجزء الثاني : النوع الرابع والأربعون) : ذاك إكمال وهذا جامع ، واسم الكتاب كما في طبقات السيرافي (المكمل) وكذلك هو في المزهر ، ولعل الخليل بن أحمد ناظم البيتين قد غير الاسم لوزن الشعر ؟ وأما صاحب النزهة فقد سماه الإكمال ·

وفي الصفحة عينها والسطر ١٢ : إنها كانت أثياب ، والصواب : أثياباً بالنصب خبر كانت ، وكذا هو في النزهة ·

وفي ص ٣٩ س ١٤ : فكن مستعداً لداعي الفنى ، وفي النزهة : لداء الفناء ،

وفي ص ٤٠ س ٩ : وبينه وبين الكسائي مقارضة ، وفي نسخة دمشق : معارضة ، ولعل الصواب مقارصة وهي من عبارات السيرافي ، ففي صفحة ٦٩ من الاخبار : وكان أبو عبيدة والاصمعي يتقارصان كثيراً ، ويقع كل واحد منهما في صاحبه .

وفي ص ٤٢ والحاشية رقم (١) : كأنه جعله جمعاً للابجد ، لكن أبجد يجمع قياساً على أباجد لا على أبي جاد الذي أراد به اليزيدي (أبجد) أي الحروف الابجدية الهجائية .

وفي ص ٤٥ س ٣ :

فكلهم يعمل في نقص ما به يُصاب الحق لا يأتلِ

وصواب البيت :

وكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلي

وفي السطر ١٠ من هذه الصفحة : (تضرمت الدنيا فليس خلود) وصواب الشطر : تصرَّمت الدنيا فليس خلودُ .

وفي ص ٥٠ س ٦ وكان المازني يقول : من أراد أن يعمل كبيراً في النحو ، ونص البغية ص ٢٠٣ : كتاباً كبيراً ...

وفي ص ٥٦ س ٦ : ثلاثة أبيات من الشعر سردت سرد النثر أولها (شكوت الي مجانينكم) الخ ...

وفي ص ٦٢ والحاشية رقم (٢) البيت لساعدة بن جدبة وصوابه ابن جوْية وزن سمية انظر التاج مادة جأى

وفي ص ٦٣ س ٧ : قوله (واحدة أثقلني حملها) والصواب : أثقلني، لكيلا يختل الوزن وهو كذلك في ملزمة الظاهرية ؛ وأما (قمت) فالصواب بضم التاء لانه يتكلم عن نفسه .

وفي ص ٦٤ س ١٣ : (ولع بك الهجران ...) صوابه ولِعَ بك ...

وفي ص ٦٦ س ٨ : (عبرة لم ترد أنت ولا قبل أبْ لك) الوزن مكسور فلعل الاصل : عبرة لم ترها ...

وفي ص ٧٢ س ٦ : وكان المازني أحدّ منه ، وصوابه : أخذ منه أي من الجرمي : انظر النزهة ٢٠٧ ؛

وفي ص ٧٤ س ١١ : (أظليم أن مصابكم رجلا) الصواب : أظلوم ... كما في النزهة وغيرها من كتب النحو والادب .

وفي ص ٧٥ س ٦ : أقيمها مقام الوالد ، ولعل الأصل : الولد ، كما في النزهة ؛ وكما يقتضيه المعنى .

وفي ص ٧٦ س ٧ : بَسمك ، لعل الصواب بضم الميم .

وفي ص ٧٧ س ٧ : وكان دماذ ، بكسر السين وهو في الامالي (النوادر ١٨٦) بفتح الدال واسمه رُفيع بن سلمة بن مُصَلّم بن رفيع العبدي .

وفي ص ٧٧ س ٩ : (إن ما بعدها) والصواب ما بعدهما أي الواو والفاء ؛ وفيها أيضاً : (فتبأفهمه عنه) والصواب : فنبا

وفي ص ٧٨ قصيدة دماذ إلى المازني ، والمنشور منها ثمانية أبيات ، وهنالك في الامالي ١٨٦/٣ خمسة أبيات أخرى ، واختلاف قليل في الرواية .

وفي ص ٨٠ س ٣ : ولا تدعوها فتنزح ، الصواب : فتنزع بالعين ، وتجد وصية الحسن كاملة في الكامل للمبرد ١٢٠/١ لايبسيك ، وفي اللسان ١٠٧/١٠ .

وفي ص ٨٢ س ٥ : بعض حرمته ، ولعل الصواب حُرَمه لانها جمع حرمة . وفي الصفحة عينها والسطر ١١ ، وقد زوجنا صاحبك ، ولعل أصل العبارة كما في نزهة الالباء ٢٤٩ : زوجناك صاحبتك .

وفي ص ٨٣ س ٧ : المشَمغة ، والوزن يقتضي : المشمّغة : قال ابن بري (لسان ٣٠٥/١٠) ويجوز شمغت الثوب بالتشديد وكذلك شمغت الشعر بالحناء ، ويقال في المصمغة ومصبغة مثل ذلك .

وفي ص ٨٤ س ٨ : وحِلف منها ، والاقوى وحَليف مراعاة للوزن ، وإن كانا بمعنى واحد .

وفي ص ٨٨ س ٣ : ابراهيم بن سليمان ، وهو في النزهة ٢٦٩ ابن سفيان ، وفي الكامل لايبسيك : ١٩٤ ابراهيم بن سفيان بن سليمان .

وفي ص ٩٤ س ٢ : يبحر فيها ، وصوابه : يتّجر فيها .

وفي ص ٩٨ س ١٠ : إن لله إخاء على القوم دهشة ، وجاء في التعليق على اخاء: (في الاصل أخل) وصحيح العبارة : إن الداخل على القوم دهشة ، و كذا هي في النزهة ٢٨٣، ولا يزال أهل دمشق يقولون : لكل داخل دهشة ، ولعل هذا التصحيف قد نشأ من كتابة الناسخ (للداخل) في سطرين : (للد) في آخر سطر و (أخل) في أول السطر التالي ، والناسخ كما ذكر صديقنا الكرنكوي في المقدمة كان ضعيفاً في النحو والنقل .

وفي ص ٩٩ س ١ : استحلب مخاطبته ، ولعل الاقوى أن يقال : استجلب كما في النزهة ، ولبس الشعر في هذه الصفحة بيتا بل بيتين ، كذلك الشعر في الصفحة ١٠٠ أربعة أبيات لا بيتان .

وفي ص ١٠٢ س ٦ : ومن أبي العباس بن فرات ، أو ابن الفرات كما ذكره صاحب الفهرست ١٦٨ والاغاني ١٠٧/١٥

وفي ص ١٠٥ س ٦ : على مثل جمر الغضا الملهب ، ولعل الصواب المُلْهَب بضم الميم ، لان الملهب وزان منبر هو في اللغة عن ابن الاعرابي : الرائع الجمال ، والكثير الشعر من الرجال ، ولله وحده الكمال ؟

التنوخي

الثامن
المجلد السادس عشر — الجزء ٥ و ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار وحزيران سنة ١٩٣٧ م
صفر وربيع الاول سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ثمن كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة «	«	٢٠٠
« الاولى الى السادسة «	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة «	«	٣٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

بحر العوام

تتمة

٧٧٠ – ومن ذلك قولهم إذا أصبحوا : سهرنا البارحة [1] وسرينا البارحة ، لقول الجوهري : البارحة أقرب ليلة مضت ، تقول : لقيته البارحة ، ولقيته البارحة الأولى ؛ وذكر صاحب المغرب أن البارحة الليلة الماضية ، إلا أنه قال بعد ذلك والعرب تقول بعد الزوال : فعلنا البارحة كذا وقبل الزوال فعلنا الليلة كذا ؛ وادّعى الحريري أن الاختيار في كلام العرب على ما حكاه ثعلب أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سرينا البارحة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سرينا النهار ، قال الحريري : وقد ضرب المثل في المتشابهين فقيل : ما أشبه الليلة بالبارحة ، كما قال طرفة :

كل خليل كنت خاللته   لا ترك الله له واضحه
كلهمُ أروغ من ثعلب   ما أشبه الليلةَ بالبارحه

ومعنى قوله (لا ترك الله له واضحهْ) : لا أبقى له شيئاً ، وقيل الواضحة هي المال الظاهر ، وعن ابن برّي أنه قال : الذي قاله أبو العباس ثعلب صحيح

(١) انظر تكملة اصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي التي نشرها المجمع في مجلته مجلد ١٤ ج ٥ ص ١٧٠ ، وفي الرسالة المطبوعة من التكملة على حدة ص ٦ .

لأن البارحة في الليالي نظيره أمس في الايام ، لأن أمس لليوم الذي قبل يومك الذي أنت فيه ، والبارحة لليلة التي قبل ليلتك التي أنت فيها ، فينبغي على هذا أن لا يقال : رأيته البارحة حتى يكون في الليلة الثانية ، أو دخل في حدها، لأن ما بعد الزوال داخل في حد الليل والمساء ، وعلى ذلك قولهم : ما أشبه الليلة بالبارحة ، انتهى

٠٧٨ — ومن ذلك قولهم : لا أكلمه قطُّ ، على قول ابن برّي : إن هذا ليس من أوهام العوام فضلا عن الخواص مخالفاً في ذلك للحريري حيث جزم بانه من أفحش الخطأ لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه ، قال وذلك أن العرب تستعمل لفظة (قط) فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة (أبدا) فيما يستقبل منه ، هذا كلامه ، ويعضده قول صاحب مغني اللبيب : أنها لاستغراق ما مضى وتختص بالنفي ، وإن قول العامة : لا أفعله قط لحن ، إلا أن في قوله : باختصاصها بالنفي نظراً ، فقد جاء في الحديث : أكثر ما كنا قط ، دون نفي ، قال صاحب التقريب : قال في الشواهد وهو مما خفي على كثير من النحويين وله نظائر انتهى ، وفي الفائق في حديث جابر : فضرب عجز الجمل بسوط فانطلق أوسعَ جمل ركبته قط ، وفي القاموس : وفي مواضع من البخاري جاء بعد المثبت منها في الكسوف : أطول صلاة صليتها قط ، وأثبته ابن مالك في الشواهد لغة .

٠٧٩ — ومن ذلك قولهم : المشوَرة مباركة ، ببناء مشورة على مفعلة

بفتح العين ، وزعم الحريري أن الصواب أن يقال فيها مشورة على وزن مثوبة ومعونة ، وأنشد لبشار :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي[1] لبيب أو نصاحة حازمِ
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فان الخوافي رافدات القوادمِ .

وتعقبه ابن برى بأن مشورة ومثوبة بضم الشين والثاء فيهما هو القياس ، وأن أهل اللغة قد حكوا فيهما الاسكان ، يعني مع فتح الواو ، قال فيكونان من أشد التصحيف فيهما (من) منبهة على الأصل ، وقد قرئ : لمثُوبة من عند الله ، ولمثْوَبة بضم الثاء واسكانها ، يعني بذلك الاسكان مع فتح الواو .

٨٠ = ومن ذلك قولهم : قد اصفرّ لونه من المرض واحمرّ خدّه من الخجل ، وزعم الحريري أن عند المحققين أنه إنما يقال : أصفرّ واحمرّ ، ونظائرهما في اللون الخالص الذي قد تمكن واستقر وثبت واستمرّ ، فأما اذا كان اللون لسبب يزول ومعنى يحول ، فيقال فيه : اصفارّ واحمارّ ، ليفرق بين اللون الثابت والتلوّن العارض ، قال : وعلى هذا جاء في الحديث : فجعل يحمارّ مرة ويصفارّ أخرى ، وتعقبه أيضا ابن برّي فقال : هذا القول غير معروف عند أحد من البصريين ، ألا ترى أن الخليل وسيبويه وجميع أصحابه يرون أن احمرّ مقصور من احمارّ ، وأدهمّ مقصور من ادهامّ ، كما جعلوا مفعلا

(١) ويروى عجز البيت الاول : برأي نصيح أو نصيحة حازم ، وفي صدر الثاني : تجعل بدل تحسب وعجزه : فان الخوافي قوة للقوادم .

مقصوراً من مفعال كمقول مقصوراً من مقوال ، فمقول ومقوال بمعنى عندهم ، وكذلك احمرّ واحمارّ بمعنى لا فرق بينهما . انتهى كلامه ، ويعضده قول الجوهري وقد احمرّ الشيءُ واحمارّ بمعنى ، وقد اصفرّ الشيءُ واصفارّ وصفّره غيرُه

٨١ . = ومن ذلك قولهم : اجتمع فلان مع فلان ، وصوّب الحريريّ أن يقال : اجتمع فلان وفلان ، دون ان يقال ذلك ، قال لان لفظة اجتمع على وزن افتعل وهذا النوع من وجوه افتعل مثل اختصم واقتتل ، وما كان أيضاً على وزن تفاعل مثل تخاصم وتجادل يقتضي وقوع الفعل من اكثر من واحد ، فمتى أُسند الفعلُ منه الى احد العاملين لزم أن يُعطف عليه الآخر بالواو لا غير ، قال : ولم يجز استعمال لفظة (مع) في هذا الموضع لان معناها المصاحبة ، وخاصيّتها أن تقع في الموطن الذي يجوز ان يقع الفعل فيه من واحد ، الى آخر ما قال ، وقد تعقبه ابن برّي فقال : لا يمنع في قياس العربية ان يقال : اجتمع زيد مع عمرو ، واختصم جعفر مع بكر ، بدليل جواز اختصم زيد وعمراً ، واستوى الماء والخشبةَ ، وواو المفعول معه هي بمعنى مع ومقدّرة بها ، فكما يجوز استوى الماءُ والخشبةَ كذلك يجوز استوى الماء مع الخشبة ، هذا كلامه ، ويؤنسه ما ذكره ملاّ زاده الخُطائي تلميذ السعد التفتازاني في قوله في المطوّل : أي مع كلمة اخرى صوحبت معها من انه يقال : صاحبَ زيد مع عمرو ، قال : في هذا كما ترى استعمال مع فيما ليس من مظانها ، وان لم تكن مستعملة في موضع الواو التي تعطف على احد فاعلي فعل — وُضع للمشاركة بين اثنين فصاعداً — الفاعلَ الآخر بناءً على ان صاحبَ

من باب المفاعلة الذي وضعه للمشاركة بين أثنين لا يعطف احدهما على الآخر ولكن ينصب بعده أو بين أكثر منهما ؛ والعجب من ملاّ زاده انه بعد ما حكى ما ذكرناه أنكر أن يقال : صاحب زيد عمراً معَ بكر ، فذكر انه لم يجزه ، مع أنه اذا جاز في كلامهم ان يقال في : ضرب زيد عمراً ، ضرب زيد عمراً مع بكر ، فليجز في صاحب زيد عمراً أن يقال ذلك لانتفاء المانع الذي ذكره الحريري في كل منهما أن لو كان مانعاً يعتدّ به ·

٨٢ ·— ومن ذلك قولهم : للأمور بالبِرّ والشمّ : بِرّ والدك وُشمّ يدكَ ، بكسر باء (بِرّ) وضمّ شين (شُمّ) ، وقول الحريري : الصواب ان يفتحها ، قد ردّه ابن برّي بأن أهل اللغة قد حكوا شَمِمتُه أشَمُّه ، وشممته أشُمه ، قال : والأولى أفصح يعني شَمِمتُه أشَمه كعلمته أعلمه ، ويعضد ذلك قول صاحب المغرب شم الرائحة معروف من باب لبِسَ ، وقد جاء في باب طلب ·

٨٣ ·= ومن ذلك قولهم : فلان أشر من فلان ، إذ هو من قبيل الشاذّ ، لا من قبيل ما لحنوا فيه ، قال صاحب عمدة الحفاظ : المشهور في مادة الخير والشر إذا بُني منهما أفعل تفضيل الاّ تثبت همزتهما فيقال : زيد خير من عمرو وشرّ من بكر ، وشذّ ثبوتهما فيهما لقوله : بلال خير الناس وابن الاخير ، وقرئ شاذاً : سيعلمون غداً من الكذّاب الأشرّ ، فقد لحن فيهما ولم يطابقه أحدٌ عليهما ، وذلك بعد أن قطع بأن الصواب بان يقال : هو شرٌّ من فلان ، قال تعالى : إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم ، وأنشد :

إن بَنيَّ ليس فيهم بَرُّ   وأمهم مثلهم أو شرُّ
اذا رأوها نبحتني هرُّوا

قال : وفي البيت الاخير شاهد على أن المسموع نبحته الكلاب لا كما تقول العامة : نبحت عليه ·

٨٤٠ = ومن ذلك قولهم : أراضٍ ، في جمع ارض على خلاف القياس لقول الجوهري : وزعم ابو الخطاب انهم يقولون : أرض وأراض كما قالوا : أهل وأهالٍ ، والاراضي أيضاً على غير قياس كأنهم جمعوا آرُضا أي بمد الهمزة وضم الراء في جمع أرض ليكون الاراضي جمع الجمع ، وحكم الحريري بخطئهم في ذلك خطأً ، لا سيما مع ما ذكره ابن برّيـ حيث قال : حكى أبو سعيد السيرافي أنه يقال أرض وأراض وأهل وأهال كما قالوا : ليلة وليال كأن الواحد ليلاة وأرضاة ؛ قال ابن برّي : وزعم أنه كذا في كتاب سيبويه في أصح الروايتين ، وانما قلت في أصح الروايتين لأنه رُوي في الكتاب : أهال واراض على وزن أفعال ، هذا كلامه ، والحق ان الاراضي ليس بجمع ارضاة لعدم سماعه فيما نعلم أو جمعه ، إلا أنه ترك استعماله ، وكثيراً ما يترك استعمال الأصول في كلامهم · وأما الليالي فجمع ليلاة تحقيقاً لقول الشاعر * في كلِّ ما يوم وكل ليلاة * ذكره ابن هشام في مغني اللبيب عند تلحين المتنبي في قوله :

أحادٌ أم سداس في أحادِ   لُيَيْلَتنا المنوطة بالتنادي

بأمور منها تصغير ليلة على لُيَيلة ؛ وانما صغرتها العرب على ليلية [1]·

(١) قال الفراء : ليلة في الاصل لَيْلِيَة ولذلك صُغرت لُيَيلة ، ومثلها الكيكة البيضة كانت في الاصل كيكية وجمعها الكياكي ·

٨٥ . — ومن ذلك قولهم : حوائج في جمع حاجة على غير قياس ، قال الجوهري : كأنهم سمعوا حائجة ، قال وكان الاصمعي ينكره ويقول هو مولد ، وانما النكرة [1] مخروجة عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، هذا كلامه ، وقال ابن برّي : حاجة عند الخليل على ما وجّه في كتاب العين اصلها حائجة ، فلهذا جمعت على حوائج ، وقد حكى عن ابن دريد وأبي عمرو بن العلاء انهما قد سمع فيها حائجة ، ويدلك على صحة حوائج قول النبي صلى الله عليه وسلم ، استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان لها ، وقال أيضاً : اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه ، وحكى سيبويه [2] : تنجز فلان حوائجه واستنجزها وعلى ذلك قول الاعشى [3] :

الناس حول قبابه   أهل الحوائج والمسائلْ

إلى أن أنشد ابن بري للفرزدق ، [4]

ولي ببلاد الهند عند أميرها   حوائج جماتٌ وعندي ثوابُها

وأنشد عن الفراء :

---

(١) كذا في الاصل وصحيح كلام الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس الخ . . . (٢) انظر الكتاب ٢ـ٢٤١ ، وأدب الكاتب طبع السلفية ص ٣٥١

(٣) ميمون بن قيس والبيت هو الثالث من القصيدة التي مطلعها :

قالت سمية من مدحتَ فقلت مسروقَ ابن وائل

انظر ص ٢٢١ من كتاب الصبح المنير في شعر ابي بصير طبع يانه ١٩٢٧ ، ولسان العرب ٣ـ٦٧ . (٤) انظر شرح ديوان الفرزدق للصادي ص ٩٤ .

نهار المرء أمثلُ حين يَقضي[1] حوائجه من الليل الطويلِ

ثم نقل عن ابن جني : ان حوائج جمع حائجة وإن لم ينطق بها ، وحينئذ فقد ظهر بطلان ما زعمه الحريري[2] من وهم بعض المحدثين في قوله :

إذا مادخلتُ الدار يوماً ورُفّعت ستورُك لي فانظر بما أنا خارجُ
فسيّان بيتُ العنكبوت وجوسقٌ رفيعٌ إذ لم تقضَ فيه الحوائجُ

٨٦ — ومن ذلك قولهم : المال بين زيد وبين عمرو ، بتكرير لفظة بين خلافاً للحريري[3] إذ زعم أن الصواب فيه أن يقال : بين زيد وعمرو ، ولقد جزم ابن برّي بان إعادة بين هنا جائزة على جهة التأكيد كقوله تعالى ولا الضالين ، حيث لم يكتف تعالى بذكر غير ، وكقوله تعالى:ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، فاعاد لا الثانية توكيداً ، ثم أنشد أبياتا كثيرة تدل على صحة ذلك التركيب منها قوله[4] :

ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قيد أظفورِ

وقول ابن الزبير الأسدي :

جمع ابن مروان الاغرُّ محمدٌ بين ابن اشترهم وبين المصعبِ

وقول الفرزدق[5] :

فما بين من لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميم غيرُ حزّ الحلاقمِ

(١) ورواية اللسان ٣-٦٧ : حين تقضى حوائجه . (٢) انظر درة الغواص طبع ليبسيك ٥٤ ، وفي مادة (حوج) من اللسان شواهد جمة على صحة حوائج من الشعر القديم . (٣) درة الغواص ٦٠ (٤) ويروى : اذا ازدردت وقيس أظفور كما أورده صاحبا اللسان والقاموس (٥) انظر شرح ديوان الفرزدق للصادي ص ٨٥٥

إلى أن قال: فعلمت بهذا أن اعادة بين لا تفسد المعنى كما ذكر، يعني الحريري، ولو فسد المعنى باعادة (بين) في قولك: المال بين زيد وعمرو لفسد المعنى في قولك: المال بيني وبين عمرو، لانه لا فرق بين الاسم المضمر والمظهر في ذلك، هذا كلامه.

ونظير تكرير (بين) ولاسيما فيما ذكر لافادة التأكيد تكرير (من) في قولهم: أخزى الله الكاذب مني ومنك أي منا، فانه لافادة التأكيد على ما ذكره بعضهم في قوله تعالى: هذا فراق بيني وبينك من أنه مثله في افادته.

٨٧ — ومن ذلك قولهم: للفرصاد التوت[1]، بمثناتين من فوق، وأما بالمثناة الفوقية ثم المثلثة فتصحيف عند الحريري، وفي الصحاح التصريح بالنهي عن أن يقال: هو بهما، وفي كتاب المعرب للجواليقي: ان التوت فارسي معرب، وأن أصله التوث[2] بالمثناة الفوقية ثم المثلثة، ويقويه ماذكره ابن بري حيث قال فيما كتبه على (درة الغوّاص) حكى أبو حنيفة أنه يقال بالتاء والثاء، والثاء هي من كلام الفرس، والتاء هي لغة العرب وانشد البيتين وهما:

لروضة من رياض الحزن أو طرف ... من القرية حزن غير محروثِ
أشهى وأحلى لقلبي إن مررتُ به ... من كرخ بغداد ذي الرمان والتوثِ

(١) الدرّة ٦٦ (٢) وفي المزهر عن شرح أدب الكاتب: ان التوت أعجمي معرب واصله باللسان الاعجمي توذ وتود، فابدلت العرب من الثاء المثلثة والذال المعجمة تاء مثنوية لان المثلثة والذال مهملان في كلامهم.

ورأيت بخط ابن بري على هامش كتاب المعرب المذكور : ان أبا حنيفة قال : لم أسمع أحداً يقول بالتاء [١] ، وانما هو بالثاء ، وأنشد لمحبوب النهشلي هذين البيتين ، لكن رأيتهما بخطه وفيهما (لعيني) بدلا عن قوله (لقلبي) ، وكأنها رواية أخرى .

٨٨ ـ = ومن ذلك قولهم : جلستُ في فَيْء الشجرة ، خلافا للحريري [٢] إذ ادعى أنه يقال في ظل الشجرة ، كما جاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، إقرأوا إن شئتم : وظل ممدود ، قال : والعلة في ما ذكرناه أن الفيء يسمى بذلك لأنه فاء عند زوال الشمس من جانب إلى جانب أي رجع ، ومعنى الظل الستر ، ومنه اشتقاق المظلة لأنها تستر من الشمس ، وبه أيضا سمي سواد الليل ظلاً لأنه يستر كل شيء فكأن اسم الظل يقع على ما يستر من الشمس وعلى ما لا تطلع عليه ، وذرى الشجرة ينتظم هذين الوجهين ، قال فاما قوله عليه الصلاة والسلام : السلطان ظل الله في أرضه ، فالمراد به ستره السابغ على عباده المنسدل على بلاده ، هذا كلامه ، وقد تعقبه ابن بري فقال : إعلم أن الفيء وإن كان على ماذكره فانه لا يمنع أن يقع موقع الظل من حيث كان ظلا يستظل به فيقال قعدت في فيء الشجرة أي في ظلها ، وعليه جاء بيت الجعدي :

---

(١) وجاء في اللسان قال ابو حنيفة : ولم يسمع في الشعر الا بالثاء والبيتان من قطعة شعرية في اللسان ذات ستة أبيات لمحبوب بن الـمَشنط النهشلي . (٢) الدرة ٩٢ .

فسلام الاله يغدو عليهم وفيوء[1] الفردوس ذات الظلال

فأوقع الفيء موقع الظل ، وإن كان الفيء أخص منه ، ألا ترى أن الجنة لا شمس فيها فيكون فيها فيء انتهى كلامه ، ويؤنسه ما حكاه صاحب التقريب من قولهم : فاء الشجر أظل ، وما حكاه صاحب (تهذيب الخواص من درة الغواص) من ان في كتب اللغة : تفيأت الشجرة كثر فيئها وتفيأت أنا فيها ؛ وما في (القاموس) من حكاية قول من قال : ان الظل هو الفيء ، ومنهم من يقول : انه بالغداة والفيء بالعشي ، وإلى هذا ينظر قولنا

الفيء للظل مناف فقل ليذهب الإشكال والألبس
الفيء ما ينسخ شمس الضحى والظل ما تنسخه الشمس

هذا العرف مذكور في المغرب .

٨٩ . = ومن ذلك قولهم : سررت برؤيا فلان ، إشارة إلى مرآه ، خلافاً للحريري[2] إذ قال انهم يوهمون فيه كما وهم أبو الطيب في قوله لبدر ابن عمار وقد سامره ذات ليلة إلى قطع من الليل :

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي
ورؤياك أحلى في العيون من الغمض[3]

قال والصحيح أن يقال : سررت برؤيتك ، لان العرب تجعل الرؤية لما يرى في اليقظة ، والرؤيا لما يرى في المنام كما قال سبحانه إخباراً عن

(١) فيء يجمع على فيوء وأفياء . (٢) انظر درة الغواص ٩٨ .

(٣) ويروى : في الجفون ، ولو قال أبو الطيب : (ومرآك أحلى) لسلم من التوهيم .

يوسف عليه السلام « هذا تأويل رؤيايَ من قبل » هذا ما ذكره ، وقد ناقشه فيه ابن برّي ، فذكر أن أصل الرؤيا أن تكون في المنام ، إلا أن العرب قد استعملتها في اليقظة ، وأنشد قول الراعي يصف ضيفاً طرقه ليلاً :

رفعتُ له مشبوبةً عصفت لها صَباً تزدهيها مرّة وتُقيمها

فكبَّر للرؤيا وهشَّ فؤادُه وبشّر نفساً كان قبلُ يلومُها

قال : وعلى هذا فسر في التنزيل وعليه جلة المفسرين ، وهو قوله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، يعني ما رآه ليلة المعراج فكان نظراً في اليقظة دون المنام انتهى .

٩٠ — من ذلك قولهم : دَستور ، بفتح الدال خلافاً للحريري[1] إذ عدّه من اوهام الخواص ، وذكر ان قياس كلام العرب فيه ان يقال بضم الدال ، وظاهر كلامه كما قال ابن برّي يقضي بأن جميع ما عربته العرب من كلام العجم قد ألحقته بابنيتها ، قال ابن برّي : وهذا ليس بصحيح بدليل قولهم : صَعفوق ، ولو ألحقوه بأبنيتهم لضموا اوله ، وكذلك قولهم : بَهرام للنجم ، ولو ألحقوه بابنيتهم لكسروا أوله ، وكذلك (فِرِند) لو ألحقوه بأبنيتهم لفتحوا ثانيه حتى يكون مثل جَبجر وسبَطر ، وهذا أكثر من أن يُحصى ، فعلمت بهذا أنه إنما يرجع في هذه الأعجمية إلى السماع لا إلى القياس ، انتهى كلامه . ومقتضاه تجويز فتح دستور كصعفوق فيجوز فتحه وإن صرّح في (القاموس) بضمه .

(١) أنظر الدرة ١٠١ وصعفوق في ص ١٠٢ منها .

٩١ ٠ = ومن ذلك قولهم : للداء المعترض في البطن المَغَص بفتح الغين على ما ذكره ابن القوطية انه يقال مَغَس مغَسًا ومغص مغَصًا ومغْصًا فجعل الفتح والاسكان لغتين ، وأنكر الحريري[1] الفتح وفاقاً لابن السكيت إذ كان لا يرى فيه إلا الاسكان بنص من ابن بريّ ، وفي الصحاح عن ابن السكيت انه قال : المغص بالتسكين تقطيع في المعى ووجع ، والعامة تقول مغَص بالتحريك .

٩٢ ٠ = ومن ذلك قولهم: رَكضَ الفرسُ بفتح الراء خلافا للحريري[2] إذ ذكر ان الصواب فيه أن يُقال رُكِض بضم الراء، فقد حكى ابن القوطية في ما نقله عن ابن بريّ انه يقال : رَكَضَتْ الدابة استحثثتها ، وركض الطائر والفرس أسرعا ، قال ابن بريّ فعلى هذا يكون قولهم : ركض الفرس وركضته من باب رجع ورجعته .

٩٣ ٠ = ومن ذلك قولهم : للمريض به سِلّ ، بكسر السين ، وإن قيل إن وجه القول أنه يقال به سُلال بضم السين، فقد قال سيبويه : اذا قالوا جُنّ وسُلّ فإنما يقولون جعل فيه الجنون والسل فأثبت لفظة السلّ، وأنشد ابن بري شواهد على ذلك منها لعروة ابن حزام :[3]

بيَ السلّ أو داء الهيام أصابني فإياكَ عني لا يكنْ بك ما بيا

٩٤ ٠ = ومن ذلك قولهم: جاء القوم بأجمعهم بفتح الميم لقول الجوهري

(١) الدرّة ١٠٥ (٢) الدرة ١٢٩ (٣) انظر اللسان (سل) ويروى فيه عني بل دعني .

يقال : جاء القوم بأجمعهم وأجمُعهم أيضاً بضم الميم كما تقول : جاؤا بأكلبهم جمع كلب فلا عبرة بإنكار الحريري [1] اياه ، ودعواه أنهم توهموا أنه أجمع الذي يؤكد به ، وان الاختيار أن يقال بأجمعهم بضم الميم ، وقد وقع في كلام ابن بري ما نصه : قال ابو علي ليس أجمع ههنا هي التي يؤكد بها وإنما هي لفظة أخرى بمعنى الجماعة ، ويدلك على أن أجمعهم ليس هو أجمع الذي للتأكيد اضافته للضمير انتهى .

٩٥ - ومن ذلك قولهم : طرده السلطان ، وما قيل [2] من أن وجه الكلام أن يقال أطرده : لأن معنى طرده أبعده بيده أو بآلة في كفه فمردود ، قال ابن برّي : لا يلزم أن يكون الطرد بآلة بل قد يكون بغير آلة ، تقول طردت زيداً أي قلت له : إذهبْ عني ، فإن أمرتَ بإخراجه عنك قلت أطردته ، وقال أيضاً قال ابن السكيت : اطردته جعلته طريداً ، وطردته قلت له : إذهب عني ، هذا ما نقله عنه ، وفي المغرب : الطرد الإبعاد والتنحية يقال طرده إذا نحّاه ، واطّرده السلطان جعله طريداً لا يأمن .

٩٦ - ومن ذلك قولهم : قتله الحب ، وزعم الحريري [3] أن الصواب أن يقال اقتتله ، وغيره يقول بعموم القتل في الحب وغيره ، ويشهد له ما أنشده ابن برّي من قول امرئ القيس :

أغركِ مني أن حبكِ قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يَفعلِ

وأما قول الحسين بن مطير :

(١) الدرة ١٦٧ (٢) القائل هو الحريري في درّته ص ١٧٦ (٣) الدرّة ١٨٢

فيا عجباً من حبّ من هو قاتلي كأنيَ أجزيه المودّةَ من قتلي

فإنه لم ينسب فيه القتل إلى نفس الحب ، فقد نسبه إلى المحبوب القاتل بحبه . قال ابن برّي ، فإذا بني الفعل للمفعول قلت في قتل الحب : اقتتل ، وكذلك من الجن ، ولا تقل قتل لان اقتتل خاص بالحب ، وقتل عام في الحب وغيره ، ويعضده قول الجوهريّ : قتل الرجل ، فإن كان قتله العشق أو الجن قيل اقتتل .

٩٧ - ومن ذلك قولهم : قرضته بالمقراض وقصصته بالمقص ، وزعم الحريري[1] انه مما وهم فيه كما وهم بعض المحدثين حين قال في صفة متهم بالقيادة :

إذا حبيب صدّ عن إلفه تيهاً وأعيا كلّ روّاض
آلّف فيما بين شخصيهما كأنه مسمارُ مقراض

قال والصواب ان يقال : مِقراضان ومِقصان ، والحق ما عليه ابن برّي من مجيء مقراض ومقص بالافراد عن العرب ، ومن شواهد المقراض التي انشدها في هذا المقام قول الشاعر يخاطب الشيب :

فعليك ما اسطعت الظهورُ بلمتي وعليَّ ما القيك بالمقراض

ومن كلام ذلك المحدث ايضاً وهو ابن الروميّ قوله في إفراد[2] المقراض ايضاً :

ومـا تكلمتَ الا قلتَ فاحشةً كأن فكّيك للأعراض مقراضُ

(١) الدرّة ١٨٥ ، و (آلّف) في البيت الثاني تُروى ألّف .

(٢) والاصل : في أقراض المقراض ، ومما جاء من الشعر في الافراد قول أبي الشيص :

(وجناح مقصوص تحيّف ريشه ريب الزمان تحيّف المقراضِ)

وانشد صاحب الاقليد فيه ايضا :

ولا تقرضْ اخاكَ ولو بحبّهْ فإن القرض مقراضُ المحبهْ

وقال الجوهري : المقص والمقراض ، وهما مقصان هذا كلامه ، وقال صاحب (تهذيب الخواص من درّة الغوّاص) قال ابن سيده : وقد حكاه سيبويه مفرداً في باب ما يُعتمد .

٩٨ - ومن ذلك قولهم : حصل لي الاياس من كذا ، لما حكاه ابن القوطيّة من : ايس من الشيءْ ايْساً واياساً فهو ايس وآيس وبه ردّ بعضهم زعم من زعم انهم يقولون : اشرف فلان على الاياس من طلبه ووجه الكلام ان يقال : اشرف على اليأس .

٩٩ - ومن ذلك قولهم : نجزت القصيدة ، بفتح الجيم إشارة إلى انقضائها ، خلافاً لمن قال : إن معنى نجز بالفتح حضر ، فأما إذا كان بمعنى الفناء والانقضاء فهو بالكسر كما قال النابغة :[1]

فكان ربيعاً لليتامى وعصمةً فملكُ إبي قابوس أضحى وقد نَجزْ

قال الجوهري : أي انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت اه
وقد حكى ابن برّي : نَجِز الشيءُ بالكسر ذهب وانقضى ، ثم قال : وقد أجاز قوم من أهل اللغة نجز أيضاً بالفتح بمعنى ذهب وأنشد :

فملك أبي قابوس أضحى وقد نَجَزْ

(١) في اللسان مادة (نجز) أنه الذبياني ويروي فيه (فكنت ربيعا ..) ولم أجد البيت في ديوانه ولا في مجموع الخمسة الدواوين مع شرح البطليوسي .

بالفتح ، فيكون في هذا الشعر على هذا وعلى ما مرّ روايتان الفتح والكسر وهي رواية الجوهري ، وقد ذكر هاتين الروايتين صاحب (تهذيب الخواص من درّة الغواص) قال : والأكثر على الفتح .

١٠٠ = ومن ذلك قولهم : للاثنين زوج ، ففي تهذيب الخواص من درة الغواص نقلاً عن ابن شميل أنه قال : الزوج اثنان ، يقال اشتريتُ زوجين من خفاف أي أربعة ، قال : وأنكر النحويون ذلك انتهى كلامه ؛ وقد أنكره من الأدباء الحريري[1] فقط بأن قولهم للاثنين زوج خطأ ، لأن الزوج في كلام العرب هو الفرد المُزاوج لصاحبه ؛ فأما الاثنان المصطحبان فيقال لهما : زوجان ، كما قالوا : عندي زوجان من النعال أي نعلان ، ورُدّ عليه بما ذكرناه .

١٠١ = ومن ذلك قولهم : للناهضين في سفر أنشوءه قافلة ، وما قيل[2] من أنهم يقولون : ودَّعتُ قافلة الحاجّ ، فينطقون بما يتضاد الكلام فيه ، لأن التوديع إنما يكون لمن يخرج إلى السفر ، والقافلة اسم للرفقة الراجعة إلى الوطن ، فقد رُدّ بما قال ابو منصور : سميت القافلةُ قافلةً تفاؤلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته ، قال وظن ابن قتيبة أن عوامّ الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سفر أنشوءه قافلةً ، وانها لا تسمى قافلة إلا منصرفة إلى وطنها ، قال : وهذا غلط ما زالت العرب تسمي الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلاً بأن يُيسر الله تعالى القفول ، وهو شائع في كلام فصحائهم انتهى منقولا من تهذيب الخواص من درة الغوّاص .

(١) الدرة ١٨٠ طبع ليبسيك (٢) القائل هو الحريري درّته في ١١٩ .

١٠٢ = ومن ذلك قولهم : للاستحياء حشمة ، لانها الاستحياء والغضب أيضاً بنص من الجوهري ، وعدم استعمالها الآن في الغضب لايفسد استعمالها في الاستحياء ، نعم ذكره الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في أدب الكاتب [1] في باب ما يضعه الناس غير موضعه إن من ذلك الحشمة يضعها الناس موضع الاستحياء معتمداً في ذلك على قول الأصمعي بأنه ليس كذلك ، إنما بني بمعنى الغضب ؛ لكن الجوهري ردّ عليه ، والغرض خلافه .

١٠٣ = ومن ذلك قولهم : أنهم يقولون في الفرح الطَّرَب بفتحتين وفي الجزَع : الطَّرْبة بلفظ المرّة ، مع إطلاق الطرب في لغة العرب على خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشده الجزع على ما ذكره صاحب أدب الكاتب [2] ، وأنشد على الثاني قول الشاعر : [3]

يقلن لقد بكيتَ فقلتُ كلا ... وهل يبكي من الطرب الجليدُ

ومثل ذلك قول الجوهري : الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . هذا كلامه ، ولا يضر الناس الآن تركهم استعمال الطرب في الأمر الآخر استغناء عنه بغيره مما يراد فيه كما أماتوا ماضي (يَدَّعُ)

(١) أنظر طبع السلفية ص ٢٠ ، وفي ٢١ منه ذكر القافلة .

(٢) انظر طبع السلفية ص ١٩ .

(٣) هو أبو جنة حكيم بن عبيد خال ذي الرمة ، ونسبته لبشار غير صحيحة ، قال البطليوسي في شرحه لادب الكاتب ١٠٧ : الصواب (فقلن) بدل فقلتُ لان قبله :

كتمتُ عواذلي ما في فؤادي ... وقلتُ لهن ليتهم بعيدُ

وقد أورد الجواليقي في شرحه ١٢٣ من هذا الشعر ستة أبيات .

استغناءً عنه بـ (ترك) فيمن قال إنه قد أميت ·

١٠٤ · = ومن ذلك قولهم : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى البساتين إلا عند صاحب القاموس ، إذ جزم بأن استعمال التنزه في الخروج إلى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح ، قال صاحب أدب الكاتب فيه[1] : وكان[2] بعض أصحاب اللغة يذهب في قول الناس (خرجنا نتنزه:إذا خرجوا إلى البساتين) إلى أنه غلط ، وقال : إنما التنزه التباعد عن الماء والريف ، ومنه يقال : فلان يتنزه عن الاقذار ، وينزه نفسه عن الأقذار أي يباعد نفسه عنها ، وفلان نزيه أي كريم ، إذا كان بعيداً من اللوءم ، قال : وليس هذا عندي غلطاً ، لان البساتين في كل مصر وكل بلد إنما تكون خارج المصر ، فإذا أراد الرجل أن يأتيها ، فقد أراد أن يتنزه أي يبعد عن المنازل والبيوت ، ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخضر والجنان انتهى ·

١٠٥ ·— ومن ذلك قولهم : شاخ فلان حتى بقي قُفة ، يريدون بذلك استعارة لفظة القفة له ، ففي أدب الكاتب[3] انهم يقولون : كبر حتى صار كأنه قفة ، وهي الشجرة اليابسة البالية ·

١٠٦ ·— ومن ذلك قولهم : لمن يصنع النعلَ والسُرموزة : إسكاف دون غيره من الصناع ، مع تصريح صاحب أدب الكاتب بأن كل

(١) انظر ادب الكاتب ص ٣٥ (٢) ابن السكيت (المزهر ١ ـ ١٥٢) بولاق
(٣) « « « ص ٤٩ وشرحه للجواليقي ١٦٢ ولسان العرب ١١ـ١٩٥

صانع عند العرب إسكاف ولذا قال :(١)

وشعبتا ميس براها إسكافْ

فأطلقه على النجار ، وربما اختص بما ذكر بطريق الغلبة نحو غلبة الكتاب عند النحاة على كتاب سيبويه .

١٠٧ — ومن ذلك قولهم : للمدح تقريض بالضاد ، مع أن صاحب أدب الكاتب يقول : التقريظ (٢) مدح الرجل حياً جاعلا ذلك بالظاء ، ففي الصحاح : التقريض مثل التقريظ ، ويقال : فلان يُقرّض صاحبه ، إذا مدحه او ذمه ، وعلى ذكر ذي الظاء اقتصر صاحب الجمهرة فقال: ويقال يقرّظ فلاناً إذا مدحه، وبهذين النقلين يتضح انهم يزيدون اللام حيث يقولون قرّضتُ لفلان ، وإنما هي في عبارات المتقدمين معدومة ، ولعلهم يضمنون قرّضتُ معنى شكرت ، فيعدونه بها كما يقال : شكرتُ له ، وإن قيل أيضاً : شكرتُه .

١٠٨ — ومن ذلك قولهم : لراكب الفرس راكب ، نعم قال صاحب أدب الكاتب :(٣) لا يقال : راكب إلا لراكب البعير خاصةً ، ويقال :

---

(١) الشاعر وهو الشماخ بن ضرار في سفر يحدو به أصحابه في قصة طويلة، وقبل هذا الشطر : قالت ألا يُدعي لهذا عرّافْ لم يبق إلا منطق واطرافْ

ورَيطتان وقميص هفهاف وشعبتا مَيس براها إسكاف

انظر ادب الكاتب ١٤٦ وشرحه للجواليقي ٢٤٠

(٢) « « ١٥٧ ، والاقتضاب ١٥٨ ولسان العرب (قرظ)

(٣) « « ١٥٩

فارس وحمّار وبغّال، قال : وقد يقال لغير راكب الفرس : فارس وأنشد[1]

وعندي لأرباب العراب مزية على فارس البرذون او فارس البغل

لكن قال صاحب المغرب أيضاً : ركب الفرس ركوباً وهو راكب وهم ركوب كراكع وركوع ، ومنه : صلّوا ركوباً أي راكبين .

١٠٩ — ومن ذلك قولهم : لمن قال أين أسير ، أينما ، يريدون بذلك أينما كان ، أي أينما كان السير ، فيختزلون من الكلام ما لايتم إلا به تحقيقاً وايجازاً ، كما قال النمر بن تولب فيما أنشده صاحب أدب الكاتب :[2]

فإن المنيةَ من يخشها فسوف تصادفُه أينما

أراد أينما ذهب ، أو أينما كان فحذف ، ومثل هذا عند البديعيين من باب الاكتفاء كقول ابن مطروح :

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ما دمتُ في قيد الحياة ولا إذا

أي ولا إذا مت .

١١٠ — من ذلك قولهم : المرأة زوجة الرجل بالتاء ، وإن ذكر صاحب أدب الكاتب[3] : أن العرب لا يكادون يقولون زوجته ، ففي الصحاح : الزوج زوج المرأة بعلها ، وزوج الرجل امرأته ، ويقال أيضاً : هي زوجته ، وفي المغرب ويقال : هو زوجها وهي زوجه ، وقد يقال : هي

(١) ويروى الصدر : (واني امرؤ للخيل عندي مزية) ، والبيت من شواهد اللسان والتاج ولم يذكرا قائله .

(٢) انظر ادب الكاتب ١٦٥ وشرحه للجواليقي ٢٥٨

(٣) 〃 〃 〃 ٢٢٠

زوجته بالهاء وفي جمعها زوجات ، قال الفرزدق :[١]

وإن الذي يَسعى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وأنشد ابن السكيت :

يا صاح بَلِّغْ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عُرى الذنبِ

قال صاحب المغرب : والاول هو الاختيار بدليل ما نطق به التنزيل : «أمسكْ عليك زوجك، اسكن أنت زوجك ، وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وأزواجه أمهاتهم ، يا أيها النبي قل لأزواجك » وادعى غيره أن الزوجة لغة رديئة ؛ وقال صاحب عمدة الحفاظ : قد ورد ذلك في الحديث فإن ثبت فلا رداءة ، قال : وادعى الفرّاء ثبوتها .

١١١ — ومن ذلك قولهم : تزوجت بامرأة ، على ما نقل عن الفرّاء انه قال : تزوّجت بامرأة ، لغة في أزد شَنوءة ؛ وقال يونس : يقولون[٢] العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة ، وليس من كلام العرب تزوجت بامرأة ، قال وقول الله تعالى : « وزوجناهم بحور عين » أي قرناهم بهنّ ، من قوله : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » أي قرناءهم ، قال الهروي[٣]

(١) في شرح ديوانه للصادي ٦٠٥ يروى الصدر : وان امرءاً يسعى يخبّب زوجتي ، وفي رواية اخرى يحرش بدل يخبب ، وفي اللسان روايتان الاولى في مادة (بول) (وان الذي يسعى ليفسد زوجتي) ، والاخرى في مادة (زوج) : يحرّش بدل ليفسد ، ومعنى يستبيلها : يأخذ بولها في يده .

(٢) لعل الاصل : العرب يقولون ، او انها على لغة يتعاقبون .

(٣) هو أبو عُبيد صاحب الغريبين .

ليس في الجنة تزويج ، ولذلك أدخل الباقي في قوله (مُجور) ، ويقول الفرّاء صحّ استعمال الفقهاء كما صرّح بذلك صاحب المغرب .

١١٢ . — ومن ذلك قولهم : با ، تا ، ثا ، بالقصر ، قال صاحب أدب الكاتب [1] : وحروف المعجم يُمدَدن ويقصرن ، فإذا قُصرن كتبت كل واحدة منهن بالالف إلا الزاي فإنها تكتب بياء بعد ألف انتهى .

١١٣ . — ومن ذلك قولهم : أوقف بيته ، ولكنه لغة رديئة ، قال في المغرب : وقفه حبسه وقفاً ، ووقف بنفسه وقوفاً ، ومنه : وقف أرضه أو داره على ولده ، لانه حبس الملك عليه ، قالوا ولا يقال أوقفه إلا في لغة رديئة ، وقيل يقال وقفه فيما يحبس باليد ، وأوقفه فيما لا يُحبس بها ، ومنه أوقفته على ذنبه أي عرّفته إياه ، والمشهور وقفته ، انتهى ملخصا ؛ وفي أدب الكاتب [2] : يقال لكل ماحبسته بيدك مثل الدابة وغيره وقفتُه بغير ألف ، وماحبسته بغير يدك أوقفته ، وتقول أوقفته على الامر ، وبعضهم يقول وقفته في كل شيء وهو أجود ، وفيه أيضاً : اوقفت عن الأمر أمسكت ، وهذا الذي حكاه خلاف ما عليه العوام ، لأن من حذف الهمزة في صورة معنى أمسكت ، فلا عبرة إذاً بما هم عليه .

١١٤ . — ومن ذلك قولهم : قد أرميت العدل عن ظهر البعير ألقيته ، وتقول : إن ركبتَ الفرس أرماك ، حكاها صاحب أدب الكاتب [3] في

(١) طبع السلفية ص ٢٢٥ (٢) ص ٢٦٤ (٣) ص ٢٧١

(باب ذكر ما يهمز والعوام تسقط همزته) ، ومثل ذلك : أغلقت الباب وأقفلته ولا يقال غلقته ولا قفلته .

١١٥ . = ومن ذلك قولهم : عَتقه في موضع أعتقه ، ففي المغرب يقال : عتق العبد عتقاً وهو عتيق وأعتقه مولاه ، وقد يقام العتق مقام الاعتاق ، ومنه قوله: مع عتق مولاك إياك ؟ وحكى صاحب أدب الكاتب :(١) أعتقت العبد فعتق ثم قال : ولا يقال عتقته .

١١٦ . = ومن ذلك قولهم : رجل أعزب ، وعن أبي حاتم أنه لا يقال رجل أعزب ، قال الأزهري وأجازه غيره ومنه قوله : ما في الجنة أعزب ، قال النووي في جميع نسخ بلادنا بالألف وهي لغة ، والمشهور في اللغة عَزَب ، وقال صاحب المغرب : رجل عزب بالتحريك لازوج له ويقال أعزب ، وقد جاء في حديث النوم في المسجد عن نافع قال أخبرني عبد الله أنه كان ينام في مسجد النبيّ عليه الصلاة والسلام وهو شاب أعزب .

١١٧ . = ومن ذلك قولهم : القوصَرَة ، بتخفيف الراء ، وقد عدّها صاحب أدب الكاتب(٢) فيما يشدّد والعامة تخففه وأنشد :

أفلح من كانَ له قوصَرّهْ ... يأكل منهـا كل يوم مرّه

وروى الجوهري : تمره ، منبهاً على قلة تخفيف راء قوصرة ، وصاحب المغرب لم يفاوت بينهما قلةً وكثرةً فقال : والقوصرة بالتخفيف والتشديد

(١) طبع السلفيه صفحة ٢٧٢ (٢) صفحة ٢٧٦ ، شرح الجواليقي ٢٨٦ ويروى بيت القوصرّة لعلي بن أبي طالب ، وقد كنى بها هنا عن المرأة كما يكنى عنها بالقارورة وليست هذه اللفظة من لهجات الشام .

وعاء التمر يتخذ من قصب ، قال : وإنما تسمى بذلك ما دام فيها التمر والا فهي زنبيل انتهى · وأنشد صاحب الجمهرة البيتَ المذكور بالواو وانه الاولى بعد أن قال : وأما القوصرّة التي تسميها العامة قوصرة فأحسبها دخيلا ، ثم قال : ولا أدري ما حجة هذا البيت ·

١١٨ ·— ومن ذلك قولهم : على فلان قُبول[1] ، بضم القاف مع شهرة فتحها فقد حكى صاحب التقريب : قبلتُ الشيء رضيتُه ، قال ومنه : فتقبلها ربها بقبول حسن ، وقوله : ثم يوضع له القبول في الأرض : أي المحبة في القبول والرضى · قال وقال ابن الأعرابي قبله قُبولا بالضم لغة في القَبول بالفتح ·

١١٩ · – ومن ذلك قولهم : في ظُفر اليد ، ظِفر بكسرة بعدها سكون مع منع صاحب أدب الكاتب[2] من أن يقال ، وكذا صاحب الجمهرة حيث قال : والظفر ظفر الإنسان والجمع أظفار ولا يقال ظِفر يعني بالكسر فالسكون ، وإن كانت العامة قد أولعت به ، فقد عدّد ما فيه من اللغات صاحب التقريب في علم الغريب ، وهو متأخر عنهما ، فقال : الظُفُر للانسان مذكر بضمتين ويسكن وكحِمل وبكسرتين وأظفور وأنشد :[3]

ما بين لقمته الاولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قِيدُ أظفورِ

أي قدر أظفور ، وبمعناه القيس في رواية الجمهرة ، ومثله في كسر القاف ؛

---

(١) انظر ادب الكاتب ٢٩٠ (٢) ص ٢٩٣ (٣) ويروى : ازدردت بدل انحدرت ، وقيس بدل قيد ، وهي رواية اللسان والقاموس أيضاً ·

وبما عدّده ظهر من جملة لغاته الظِّفِر بكسرتين ، ومثله يجوز فيه الإسكان قياساً لظاهر قول صاحب الشافية ان نحو إبِد و بِلِز يجوز فيه إسكان العين قاصداً ما كان على فِعِل بكسرتين ؛ وأما قوله : ولا ثالث لهما فهو لم يرد به حصر مجيء الفعل بكسرتين فيهما ، وإلا للغا لفظ نحو بلز ، أراد حصر مجيئه فيهما لأن الإبِد بالدال والبلز صفتان إذ يقال : امرأة إبِد أي ولود ، وأتان بلز أي ضخمة [1] ، وأما ان لفظ (نحو) إنما ذكر لوجود أفراد ذهنية لفعل بكسرتين غيرهما لخلاف الظاهر ، مع أنه قد سُمع إطِل وهي الخاصرة بكسرتين ، والجوهري قد صرح فيه بحكاية الوجهين .

١٢٠ — ومن ذلك قولهم للسمك المملوح : مالح ، ولكن على لغة ، جزم صاحب المغرب بأنها لغة رديئة حيث قال : وسمك مليح ومملوح ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة وهو الذي جُعل فيه ملح ، وقال صاحب عمدة الالفاظ ولا يقولون : ماء مالح إلا في لُغية شاذة ، وصاحب أدب الكاتب [2] والجمهرة على أنه لا يقال مالح ، قال الثاني : ولا يلتفت إلى قول الراجز :

يطعمها المالح والطريّا

ذاك مولّد لا يؤخذ بلغته ، هذا كلامه . وقال أبو محمد بن برّي في فوائد نقلت عنه ، وأما ما أنكر على الشافعي رحمه الله من استعمال لفظة

(١) وفي الاصل ضخم والصواب ضخمة لان أتان مؤنثة (٢) ٢٩٩ والراجز عُذافر الفقيمي ، وقبله (بصرية تزوجت بصريًا) وابن قتيبة أخذ برأي الاصمعي في كون عذافر غير حجة لانه كان حضريا غير فصيح ، وقد جاء المالح في شعر كثير كجرير وهو حجة ، وهذا لا يمنع أنها لغة قليلة ، انظر الاقتضاب ٢١٦ وشرح الجواليقي لادب الكاتب ٢٥٩

مالح في بعض كلامه، فإنه جرى في ذلك على عادة الناس في استعمال هذه اللفظة كما استعملها غيره من العرب، وإن كان غيرها أفصح، ثم استشهد بأبيات كثيرة على قولهم: ماء مالح، منها قول عمر بن أبي ربيعة:

ولو تفلت في الماء والماء مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا

إلى أن قال: فهذه شواهد كثيرة على قولهم: ماء مالح، وإن كان الافصح ماء ملح، إلا أنه ان كان ملح أفصح، فلا يجب لذلك أن يكون ما سواه خطأ، وأجاز ابن شميل أن تقول: سمك مالح ومملوح ومليح، وقال أبو الدقيش يقال: ماء مالح وملح، وقال ابن الأعرابي ويقال: شيء مالح كما يقال شيء حامض انتهى ما نقله أبو محمد بن برّي عن هؤلاء.

١٢١ ـ ومن ذلك قولهم: أعدْ عليّ كلامك من الرأس، على أحد القولين فيه، ففي أدب الكاتب ما نصه [١]: وتقول أعدْ علي كلامك من رأس، قال ابو حاتم عن أبي زيد: من رأس ومن الرأس جميعاً.

١٢٢ ـ ومن ذلك قولهم: كفر طاب وكفر لاثا بسكون فاء كفر [٢]، وأما من يفتحها فغلط لما ذكره صاحب أدب الكاتب حيث قال: وهي كفر توثا [٣] ساكنة الفاء ولا تفتح والكفر القرية انتهى. وقال صاحب المغرب: والكفر القرية فضبطه بالسكون، قال ومنه قول معاوية

---

(١) ص ٣٠٠ ونصه المطبوع: ويقال (٢) وفي الاصل بسكون كاف كفر.
(٣) بضم التاء المثناة من فوقها وفي الاصل كفر ثوثا. انظر معجم البلدان تجد عن هذه الكفور ما توده من البيان.

أهل الكفور هم أهل القبور، والمعنى ان سكان القرى بمنى الموتى لا يشاهدون الامصار والجُمَع انتهى . وقال ابن دريد : وأهل الشام يسمون القرية الكفر فضبطه أيضا بالسكون قال وأحسبه سريانيا معرباً .

١٢٣ — ومن ذلك قولهم : محيت الكتاب ومضارعه أمحاه [1] مثل محونه أمحوه لغتان .

١٢٤ — ومن ذلك قولهم : أخطيت [2] في أخطأت ، وأطفيت النار في أطفأت في نظائر أخرى ذكرها صاحب أدب الكاتب في (باب ما همز أوسطه من الافعال) [3] ، ولأنها بمعنى واحد ، ومن جملتها ما ذكره من أوميت في أومأت ، وقد اسلفنا عن الصغاني أنه مثله .

١٢٥ — ومن ذلك قولهم : ترّب الكتاب ، وفي أدب الكاتب [4] حكاية أترب الكتاب ، والمنع أن يقال ترّب ، وهذا المنع ممنوع ففي القاموس : وأتربه وتربّه جعل عليه التراب .

١٢٦ — ومن ذلك قولهم : الزمرد ، بالدال المهملة حكاه صاحب القاموس في بابها ، فقال الزمرد الزمرذ ، ثم قال في باب الذال المعجمة الزمرذ بالضمات وتشديد الراء : الزبرجد معرب ، فيندفع بما قاله منع صاحب أدب الكاتب من الاهمال [5] .

---

(١) والعامة في دمشق وحلب تقول : محيته امحيه (٢) كذلك تقول العامة في بلاد الشام اخطيت وطفيت (٣) وفي الكتاب المطبوع (باب الافعال التي تهمز والعوام تدع همزها) ص ٢٦٧ (٤) ص ٢٨٠ (٥) ص ٢٨٣ ودرة الغواص ٣٥ وتكملة صلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي طبع المجمع ٥٩ .

١٢٧ - ومن ذلك قولهم : دابة شموص ، وما في أدب الكاتب[1] من أنه يقال دابة شموس ولا يقال شموص ، فيرد عليه قول صاحب القاموس والتشميص أن تنخس الدابة حتى تفعل فعل الشموص ، إلا أن يكون مراده[2] بالشموص المطرودة لا التي منعت ظهرها ، وهي الشموص لحكايته قبل ذلك : شمص الدواب طردها دون شمست منعت ظهرها،وحكايته شمس الفرس منع ظهره .

١٢٨ - ومن ذلك قولهم : هو مني مدّ البصر كما يقال مَدى البصر أي غايته ، وقول صاحب أدب الكاتب :[3] ولا يقال مد ،فهو عليه رد ، لقول صاحب القاموس وقدر مدّ البصر أي مداه .

١٢٩ - ومن ذلك قولهم : حَلبت الشاة عشرة أرطال، ببناء الفاعل، كما يقال حُلبت ببناء المفعول ، فالثانية على الحقيقة والأولى على المجاز كما يقال : عيشة راضية ، وإنما هي مرضية وصاحبها الرضي ، فلا عبرة بما في أدب الكاتب[4] من منعه .

١٣٠ - ومن ذلك قولهم : ما يدري ما طحاها ، وإن كان المنقول عن العرب حسب ما في كتاب الفاخر للمفضّل بن سلمة صاحب الفرّاء : مَن طحاها ، بلفظ مَن وذلك حيث قال وقولهم : ما يدري من طحاها ، قال

---

(١) ص ٢٨٤ (٢) نعم هذا مراده ، وكان الاقوى للمصنف ان يستشهد بما ذكره كراع في كتاب المنضّد ونقله ابن بري وهو : شمصت الفرس وشمست واحد ، والشماص والشماس بالسين والصاد سواء (اللسان مادة شمص) (٣) ص ٣٠٤ (٤) ص ٣٠٧ .

الاصمعي مدّها يعنون الارض ، قال الله عز وجل : وما طحاها انتهى كلامه وفي هذه الآية أدل دليل على جواز استعمال (ما) في قولهم : مايدري ماطحاها

١٣١ ٠ — ومن ذلك قولهم: هبّت الارياح ، وجعله الحريري[1] وهماً مستهجناً ، والحق خلافه ففي القاموس: ان جمع الريح أرواح وأرياح ورياح ورِيَح كعنب ، وفي كلام ابن برّي حكاية الارياح عن اللحياني ، قال ابن برّي : وقد استعمل هذه عمارة بن عقيل في شعره ٠

١٣٢ ٠ — ومن ذلك قولهم ، لاغير ، وقولهم لاغير لحن ، ذكر صاحب القاموس أنه غير جيد ، قال : لانه مسموع في قول الشاعر :

جواباً به تنجو أعتمدْ فوربّنا لعن عملٍ أسلفتَ لا غير تُسألُ

قال : وقد احتج به ابن مالك في باب القسم من شرح التسهيل ، وكأن قولهم لحن مأخوذ من قول السيرافي : الحذف انما يستعمل إذا كانت إلا وغير بعد ليس ، ولو كان مكان ليس غيرها من الفاظ الجحد لم يجز الحذف ولا يتجاوز بذلك مورد السماع انتهى كلامه وقد سُمع[2] ، انتهى ما ذكره صاحب القاموس ٠

١٣٣ ٠ — ومن ذلك قولهم : أكرة في كرة ، وما في أدب الكاتب من أن لايقال أكرة فمردود بما في القاموس في باب الراء[3] من أنها لغية في الكرة ٠

(١) درة الغواص ٤٠ ٠ (٢) أي في البيت المتقدم فلا يكون لحنا وقد عده ابن هشام ايضا في مغنيه لحنا ، ويؤيد ما ذهب ابن مالك اليه وتلميذه صاحب القاموس ما حكاه ابن الحاجب ومحققو كلامه كالرضي ٠ (٣) مادة أكر : وفسر الزبيدي لغية بلغة مسترذلة ٠

١٣٤ — ومن ذلك قولهم لمن أصابه الجُدري: تجدّر، وقول الحريري[1] بمنعه ممنوع ، ففي القاموس: وخروج الجدري بضم الجيم وفتحها لقروح في البدن تنفط وتقيح ، وقد جَدَر وجُدِّر يعني ويشدّد فهو مجدور ومجدّر، ومن ذلك الجَدري بفتح الجيم لما نقلنا .

١٣٥ — ومن ذلك قولهم: أعطاه البشارة بكسر الباء وقول الحريري[2] الصواب فيه ضم الباء لأن البشارة بكسر الباء ما بشّرت به ، وبضمها هو ما يعطى عليها مدفوع بحكاية صاحب القاموس الكسر والضم كليهما في اسم مايعطاه المبشِّر وعليه الأنصاري .

١٣٦ — ومن ذلك قولهم للقائم: إجلسْ، كما يقال أُقعدْ من غير فرق على أحد القولين ، ففي القاموس: ان القعود الجلوس أو هو من القيام ، من الضجعة ، ومن السجود ، وترديده هذا اشارة اليهما كليهما .

١٣٧ — ومن ذلك قولهم عند الحرقة والحرارة الممضّة: أخْ ، بالخاء المعجمة ، وما في درة الغواص[3] من أن العرب تنطق بهذه اللفظة بالحاء المغفلة وعليه فُسر قول عبد الشارق[4] الجهني :

فباتوا بالصعيد لهم أحاحٌ ولو خفّت لنا الكلمى سَرينا

أي بات الكلمى يقولون أحْ مما وجدوا من حرق الجراحات وحرّ الكلوم

(١) الدرة ٩٦ (٢) الدرة ١٤١ (٣) الدرة ١٥٠ وانظر التكملة للجواليقي ٥٦ طبع المجمع العلمي (٤) ابن عبد العزّى من شعراء الحماسة ، والبيت آخر قصيدة من المنصفات مطلعها: (الا حييتِ عنا يا رُدينا نحييها وان كرمت علينا)

فمدفوعٌ بقول صاحب القاموس : والأُحاح بالضم العطش والغيظ وحرارة الغمّ ، وقوله في باب الخاء المعجمة : وأخ كلمة تكرّه وتأوّه . وقال الانصاري في كتب اللغة : أخ بالخاء المعجمة كلمة توجع وتأوه من غيظ أو حزن ، قال ابن دريد : وأحسبها محدثة انتهى كلامه .

١٣٨ . — ومن ذلك قولهم : لم يكن ذلك في حسابي أي ظني على أحد القولين المذكورين في أدب الكاتب [1] قال مؤلفه : ليس للحساب هنا وجه ، إنما الكلام ما كان ذلك في حسباني أي في ظني ، قال : ومنهم من يجعل الحساب مصدراً لحسبت، وقد يجوز على هذا أن يقال : ما كان ذلك في حسباني ، هذا كلامه ، والحريري وصاحب القاموس يمنعان ذلك ؛ لكن المثبت مقدم على النافي ، على ما هو معلوم في مقرّه .

١٣٩ . — ومن ذلك قولهم : حضّه عليه وحثّه عليه ، بمعنى واحد على ما في القاموس من تفسير كل بالآخر ، وعن الخليل بن أحمد انه فرّق بين الحث والحض فقال: الحث يكون في السير والسوق وفي كل شيءٍ ، والحض يكون فيما عدا السير والسوق [2] .

١٤٠ . — ومن ذلك قولهم : قِلته البيع ، في موضع أقلته إياه ، ففي التقريب : وقلته البيع لغة قليلة .

١٤١ . — ومن ذلك قولهم : للمرأة الفاجرة قَحبة ، من قَحَب كنصر

---

(١) ص ٣٠٥ (٢) واستشهد الخليل بقوله تعالى : ولا يحض على طعام المسكين: درة الغواص ١٩٩

أخذه السعال لانها تسعل وتنحنح أي ترمز به خلافاً لمن قال إنها كلمة مولدة وهو قول نبّه عليه صاحب القاموس[1] .

١٤٢ . — ومن ذلك قولهم : للمرأة ستّي[2] على وجه ففي القاموس : وستي للمرأة أي يا ست جهاتي ، أو لحن والصواب سيدتي .

١٤٣ . — ومن ذلك قولهم : للنُّقرة في الجبل قِلْت ، بكسر القاف وسكون اللام ، وأصله ما حكاه صاحب القاموس فيه من القلب ككَتِف ، حيث قال : النقرة في الجبل والقليلُ اللحم كالقَلِت ككَتِف إذ يجوز في كل ما كان ككتف الكسر فالسكون مطلقاً .

١٤٤ . — ومن ذلك قولهم : مكت بالمكان بالمثناة الفوقية أقام ، حكاه صاحب القاموس ، ثم حكى مكث كنصر وكرُم لبث مكثاً بالتثليث ويحرك .

١٤٥ . — ومن ذلك قولهم : نصَت في موضع أنصت، حكاه صاحب القاموس كأنصت .

١٤٦ . — ومن ذلك قولهم : دِجاجة بكسر الدال ، فقد حكي فيها تثليثها .

١٤٧ . — ومن ذلك قولهم : لجيل من السودان : زِنج ، بكسر الزاي في الزنج بفتحها .

١٤٨ . — ومن ذلك قولهم : العَود أحمد، مع أنه أفعل من المبني للمفعول

(١) وجزم به الجوهري والخفاجي في شفاء الغليل (٢) انظر تكملة الجواليقي ص ٢٩

على وجه ، قال صاحب القاموس : والعود أحمد أي أكثر حمداً ، لأنك لا تعود إلى الشيء غالباً إلا بعد خبرته، أو معناه أنه إذا ابتدأ المعروف جلب الحمد لنفسه ، فإذا أعاد كان أحمد أي أكسب للحمد له ، أو هو أفعل من المفعول، أي الابتداء محمود والعود أحق بأن يحمدوه قاله خداش بن حابس[1] في الرَّباب لما خطبها فردّه أبواها فأضرب عنها زماناً ثم أقبل حتى انتهى إلى حِلتهم متغنياً بأبيات[2] منها :

أيا ليتَ شعريَ يا رَبابُ متى أرى　　لنا منكِ نجحاً أو شفاءً فأشتفي

فسمعت وحفظت وبعثت اليه أن قد عرفتُ حاجتك فاغدُ خاطباً ، ثم قالت لأمها : هل أنكح إلا من أهوى ، وألتحف إلا من أرضى ؟ قالت لا . قالت : فانكحيني خداشا ، قالت: مع قلة ماله ؟ قالت : إذا جمع المالَ السيّء الفعال فقبحاً للمال ، فأصبح خداش وسلم عليهم وقال : العود أحمد والمرأة تُرشد والوِرد يُحمد انتهى كلامه .

١٤٩ — ومن ذلك قولهم : تَتَر بالتحريك لجيل يتاخمون الترك ، وقد حكاه صاحب القاموس هكذا واقتصر عليه ، وسمعت بعض فضلاء هذا الجيل يقول التاتار ؛ وأما قول الناس التتار فما لم أجده في كتب اللغة .

---

(١) التميمي ، والرباب فتاة ذهلية هام بها زماناً (٢) وتجد قصة خداش هذه مفصلة مع بقية الابيات في مجمع الامثال للميداني والتاج (حمد) وغيره وهي :

فقد طالما غيبتني ورددتني　　وأنت حفي دون من كنت أصطفي

لحا الله من تسمو الى المال همُّه　　اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي

فينكح ذا مال دميا ملوّما　　ويترك حراً مثله ليس يصطفي

١٥٠ – ومن ذلك قولهم : الجُلّنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة لزهرة الرمان ، حكاه صاحب القاموس وأفاد انه معرب كُلنار ؛ وأما قولهم : جُنْنار بنون مشددة موضع اللام فلم يحكه أحد فيما أعلم ·

١٥١ – ومن ذلك قولهم : المحبرة بفتح الميم ، قال في القاموس : الحبر بالكسر النِّقس وموضعه المحبرة بالفتح لا بالكسر ، وغلط الجوهري وحكى محبُرة بالضم كمقبُرة وقد شدد الراء وبائعه الحبري والحبّار ·

١٥٢ – ومن ذلك قولهم في الذكر بالذال المعجمة المكسورة : الدكر ، بالمهملة المكسورة ذكر في القاموس في فصل الدال المهملة من باب الراء أن ذلك لغة لربيعة ·

١٥٣ – ومن ذلك قولهم : الكزبَرة ، بفتح الباء لبعض الابازير ، وقد حكاها في القاموس بضم الباء ثم قال : وقد تفتح الباء ·

١٥٤ – ومن ذلك قولهم لمجرى الماء : النهْر ، بسكون الهاء ويقال نَهَر بالتحريك حكاه في القاموس ·

١٥٥ – ومن ذلك قولهم للبازي الباز (١) ·

١٥٦ – ومن ذلك قولهم لما يعمّى به : اللُغز ، بضم اللام مع سكون الغين ، حكاه صاحب القاموس كما حكي أيضاً اللغز بضمتين ، وكصُرد إلى غير ذلك ·

---

(١) وفي اللسان (بوز) : الباز لغة في البازي قال الشاعر :

كأنه باز دجن فوق مرقبة جلى القطا وسط قاع سملق سلق

١٥٧ ٠ — ومن ذلك قولهم للمعز بالتحريك: المَعْز[1]، بالسكون وهو خلاف الضأن من الغنم ٠

١٥٨ ٠ — ومن ذلك قولهم في الامبر باريس: البرباريس[2]، بكسر الموحدة الأولى ٠

١٥٩ ٠ — ومن ذلك قولهم: بَسّ بفتح الموحدة وتشديد السين بمعنى حسب، حكاه صاحب القاموس، ثم قال: أو هو مسترذل[3] إشارة منه إلى ما قيل فيه، وحكاه أيضاً مراداً به الهرة الاهلية، ثم قال: والعامة تكسر الباء ٠

---

(١) قال في اللسان (معز): والجمع معز ومعَز الخ ٠

(٢) أهمله الجوهري وصاحب اللسان ونقله الصاغاني كما في التاج ويقال فيه الانبرباريس والبرباريس ؟ وفي المنهاج أيضا: وأمير باريس! وهو الزرشك وبالفارسية زرنك حب حامض منه مدور وأحمر سهل ومستطيل رملي أو جبلي، وهي كلمة رومية الا انهم تصرفوا فيها بإدخال اللام عليها مفرداً ومضافاً اليها ٠ (٣) كذا قال ابن فارس ووقع في المزهر واللسان انه ليس بعربي، وفي الكشكول للعاملي: ذكر بعض أئمة اللغة ان لفظة بس فارسية تقولها العامة وتصرفوا فيها وقالوا: بسك وبسي الخ، وليس للفرس في معناها كلمة سواها، وللعرب: حسب وبجل وقط محففة وأمسك واكفف وناهيك، ومه ومهلا واقطع واكتف، وفي الالفاظ الفارسية المعربة ص ٣٢: وأما (بسُ) بالبناء على الضم بمعنى حسبُ فمعرب عن بَسْ ومنه بس بالتركية والكردية وبالسريانية الدارجة، هذا هو الارجح وإن جاء أنها عربية ففي المزهر (١ ـ ١٤٨ بولاق) نقلا عن كتاب المشاكهة في اللغة لمحمد بن المظفر الازدي (وعن أبي مالك: البس القطع، ولو قال لمحدثه بسا، كان جيداً بالغاً بمعنى المصدر أي بس كلامك بساً أي اقطعه قطعاً وأنشد:

(يحدثنا عبيد ما لقينا فبسك يا عبيدُ من الكلام)

١٦٠ — ومن ذلك قولهم : جزيرة رودس ، بضم الراء وكسر الدال المهملة للجزيرة التي بحر الروم حيال الاسكندرية حكاها صاحب القاموس ، ثم أجاز فيها إعجام الدال ، وبعض الناس يضم دالها وهو لحن فيما أعلم .

١٦١ — ومن ذلك قولهم [1] : طرابلس ، بفتح الطاء وضم الباء واللام من غير همز للبلد الذي بالشام، كما يقال ذلك للبلد الذي بالمغرب خلافا لمن جعل الشامية أطرابلس بالهمز والمغربية بدونه .

١٦٢ — ومن ذلك قولهم للفسطاط : فسطاس بالصاد حكاه الفيروزابادي .

١٦٣ — ومن ذلك قولهم : قوسه قويّ ، بتذكير القوس إذ هي من المؤنث ، لكنها قد تذكر وتصغر على قويسة على تقدير التأنيث ، وعلى قُويس على تقدير التذكير .

١٦٤ — ومن ذلك قولهم : الطرَش ، لأهون الصم، أو للصميم على ما هو قول الانصاري ، قال صاحب القاموس : أو هو مولد ثم حكي طَرَش كفرح ، وبه طُرش بالضم ، وقوم طُرش ، والأطروش الأصم وتطارش تصامّ .

١٦٥ — ومن ذلك قولهم لكلام يكون في اختلاط : الوشوشة

(١) ومنهم المتنبي القائل : (وقد سرت كلّ مصر عن طرابلس)

بمعجمتين [١] ، وتوشوشوا تحركوا وهمس بعضهم الى بعض ، فلا يظن أن ذلك تصحيف وأن الصحيح إهمال الشين ·

١٦٦ ·— ومن ذلك قولهم في الاجاص بتشديد الجيم : إنجاص، بالنون والجيم المخففة على ما قيل من أنها لغية ، قال صاحب القاموس : الاجاص بالكسر مشددة ثمر معروف دخيل لان الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة بهاء ولا تقل إنجاص [٢] أو لغية ·

١٦٧ ·— ومن ذلك قولهم فص الخاتم ، بكسر الفاء ففي القاموس الفص للخاتم مثلثة ، والكسر غير لحن ، ووهم الجوهري ، قلت : فلا قبح في الفص حينئذ وإن كان مكسوراً ، وقد حكى ابن مالك تثليثه فيما نقله عنه صاحب التقريب بعد ذكره أن الكسر رديء

١٦٨ ·— ومن ذلك قولهم : جاء البعض ، بادخال اللام على بعض على ماجوّزه ابن درستويه ، قال صاحب القاموس : بعض كل شيء طائفة منه الجمع أبعاض ، ولا يدخله أل خلافاً لابن درستويه ·

١٦٩ ·— ومن ذلك قولهم : أبغُضه ويبغُضني بالضم [٣] إلا أنه لغة رديئة بنص صاحب القاموس على ذلك ·

(١) والسين لغة كافي التاج ، واما توشوش ففيه حديث سجود السهو : فلما انفتل توشوس القوم ورواه بعضهم بالسين ، ولا تزال العامة تستعملها بالشين المعجمة ·

(٢) نقله الجوهري ، أو لغية مثل اجار وانجار بمعنى السطح شامية عامية لان عامتنا لا تستعملها اليوم · (٣) أي ضم الغين ، أثبتها ثعلب وحده فانه قال في قوله عز وجل (اني لعملكم من القالين) أي الباغضين ولولا أن بغض عنده لغة لقال : من المبغضين وعامة الشام تستعمل بغض لا أبغض أيضا ·

١٧٠ = ومن ذلك قولهم : وهم كذا من الحساب أسقط ، على احد القولين المشار اليهما بقول صاحب القاموس ، ووهم في الحساب كوجل غلط ، وأوهم كذا من الحساب : أسقط ، أو وهم كوعد وورث وأوهم بمعنىً ، وفي أدب الكاتب [1] : المنع من أن يقال : وهم الرجل في كتابه وكلامه إذا أسقط منه شيئًا ، وتصويب أن يقال أوهم بهذا المعنى ، قال مؤلفه : ووهم يوهم وَهما محركة الهاء إذا غلط .

١٧١ = ومن ذلك قولهم : أخلف الله عليك ، بهمزة باب الأفعال ، لمن ذهب له مال أو ولد أو شيء يُستعاض منه ، وفرق صاحب أدب الكاتب [2] باستعمال خلف بدون هاء له ، وبها لمن هلك له والد أو عم : أي كان الله خليفةً من المفقود عليك ، إلا أن صاحب القاموس يقول : يقال لمن هلك له ما لا يعتاض منه كالأب والأم : خلف الله عليك ، أي كان عليك خليفةً ، وخلف عليك خيراً وبخير [3] ، وأخلف عليك ولك خيراً ، ولمن هلك له ما يعتاض منه : أخلف الله لك وعليك وخلف الله لك ، قال أو يجوز خلف الله عليك في المال ونحوه ، ويجوز في مضارعه : يَخلَف كيمنع نادراً ، انتهى .

(١) ط السلفية ص ٢٦٢ ، قال شمر : ولا أرى الصحيح إلا هذا ، وهو قول ابن الأعرابي ، وأنشد :

فإن أخطأتُ أو أوهمت شيئًا ... فقد يَهم المصافي بالحبيبِ

(٢) ص ٢٦٤ وقوله بدون هاء أي غير مهموز ، وعامتنا في الشام يقولونه مهموزاً وغير مهموز . (٣) قاله الأصمعي : إذا دخلت الباء في بخير أسقطت الألف .

١٧٢ · — ومن ذلك قولهم : كنيت الرجل في كنوته ، حكاها صاحب التقريب فقال : كنونه كنوا و كنيته كنياً و كنيته تكنية وأكنيته جعلت له كنية بضم الكاف و كسرها انتهى كلامه ، فسقط منعُ من منع كنيته في كنوته ·

١٧٣ · — ومن ذلك قولهم : رميت العِدل عن ظهر البعير بدون همز : ألقيته ، وأوجب همزه صاحب أدب الكاتب [1] ، وحكى : إنْ ركبت الفرس أرماك أي ألقاك ، وقال صاحب القاموس : رمى الشيءُ وبه ألقاه كأرمى ، قال وأرماه ألقاه من يده ·

١٧٤ · — ومن ذلك قولهم : غلق الباب ، فيمن قال إنه لغة إلاّ أنها لغة رديئة ، قال صاحب القاموس : وغلق الباب يغلقه لثغة أولغة رديئة في أغلقه هذا كلامه ، وتلاه صاحب التقريب فقال : وغلق الباب كالضرب لغة نقلها ابن القطاع وحكاها ابن دريد عن أبي زيد ، ومنه قوله : (باب غلق الابواب بالليل) ، وللاصيلي : إغلاق وهو المستعمل قال الشاعر :

ولا اقول لقدر الحيّ قد غليت ولا اقول لباب الدار مغلوقُ

قلت : وهذا البيت لابي الاسود الدؤلي كما هو منسوب اليه في صحاح الجوهري ، ومنعه من أن يقال مغلوق من غلق يحتمل أن يكون لكونه لغة رديئة لا لكونه لحناً لا يصح ارتكابه أصلاً ·

١٧٥ · — ومن ذلك قولهم : الدخاّن ، كالرمان في الدخان بتخفيف

(١) طبع السلفية ص ٢٦٥ و ٢٧١ ·

الخاء حكاه الفيروزبادي فسقط ما في أدب الكاتب [1] من منع تشديدها .

١٧٦ — ومن ذلك قولهم : على وجهه طَلاوة ، بفتح الطاء ، وقد ذكرها صاحب أدب الكاتب في (باب ماجاء مضموماً والعامة تفتحه) [2] ، إلا أن صاحب القاموس يقول : الطلاوة مثلثة الحسنُ والبهجة والقبول .

١٧٧ — ومن ذلك قولهم للمولودين في بطن : توأم ، ففي القاموس : إن التوأم من جميع الحيوان المولود مع غيره في بطن من الاثنين فصاعداً ، أو أنهما إذا جمعا فهما توأمان وتوأم ؛ وأما قولهم : توم بدون همز فغلط ، وبما ذكرناه سقط قول صاحب المغرب : وقولهم هما توأم وهما زوج خطأ ، وقول صاحب أدب الكاتب [3] : ولا يقال توأم ، إنما التوأم أحدهما .

١٧٨ — ومن ذلك قولهم : لا يَسوَى هذا الشيءُ درهماً ، وما في أدب الكاتب [4] من أنك تقول : لا يُساوي هذا الشيءُ درهماً ، ولا يقال لا يسوى ، فمدفوع بما في القاموس من أن لا يسوى كيرضى قليلة .

(١) ص ٢٧٧ (٢) ص ٢٩١ ، إلا أنه ذكر طلاوة أيضاً ص ٣١٤ في (باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس أضعفهما) ، فقال ويقولون : عليه طَلاوةٌ وطُلاوة ، وذكرها أيضاً في باب (فَعالة وفُعالة ص ٤٢٦ : وعليه طُلاوة من الحسن وطَلاوة ، فابن قتيبة يجيز الضم والكسر كابن سيده والجوهري ، ويرى كالأزهري الضم أجود ، وابن الأعرابي يرى الفتح الأجود لقوله : ماعلى كلامه طَلاوة ولا حلاوة بالفتح ولا أقول بالضم إلا الشيءُ يطلى به ، وذهب صاحب القاموس الى التثليث لأنه قول أبي عمرو بن العلاء (٣) ص ٣١١ وذكر ص ٤٢٣ جواز تُؤام في توأم . (٤) ص ٣٠٤ .

١٧٩ ٠ — ومن ذلك قولهم : حكّني رأسي ، بمعنى دعاني الى حكه ، حكاه الفيروزبادي ، ومثله حكّني موضع كذا من جسدي ، خلافاً لصاحب أدب الكاتب [1] إذ جعله خطأً ، وقال : إنما يقال : أكلني فحككته .

١٨٠ ٠ — ومن ذلك قولهم : هي رأس العين ، ففي القاموس : ورأس عين أو العين بلد بين حرّان ونصيبين ، وبه سقط المنع [2] من أن يقال : رأس العين باللام .

١٨١ ٠ — ومن ذلك قولهم : البصط بالصاد في البسط بالسين مع فتح بائهما حكاه صاحب القاموس فقال : البصط البسط في جميع معانيه .

١٨٢ ٠ — ومن ذلك قولهم : صلّطه تصليطاً لغة في سلّطه .

١٨٣ ٠ — ومن ذلك قولهم : غرناطة بفتح العين المعجمة لبلد بالاندلس خلافاً لمن قال انه لحن ، وأن الصواب أغرناطة بزيادة همزة كما في أطرابلس ومعناه بالأندلسية [3] الرمّانة .

١٨٤ ٠ — ومن ذلك قولهم لدار ملك الروم : قسطُنطينيّة بضم الطاء الاولى كالقسطنطينيّة به أيضاً من غير زيادة الياء المشدّدة ، والكثير فيها فتحها .

١٨٥ ٠ — ومن ذلك قولهم في النّفط بكسر النون : النّفط ، بفتحها خلافاً لمن جعله خطأً .

١٨٦ ٠ — ومن ذلك قولهم لأحد أيام الاسبوع : الاربعاء بفتح الباء [4]

---

(١) ص ٣٠٥ . (٢) يشير الى منع صاحب أدب الكاتب ص ٣١٩ (٣) Granada
(٤) صاحب الكاتب ص ٣١٤ لغة الكسر أجود .

إذ فيها التثليث مع الألف الممدودة .

١٨٧ . — ومن ذلك قولهم : سبَعة رجال بتحريك الباء على قول ، ففي القاموس حكايته مع ذكر أنه قلما يُستعمل ، وأن منهم من أنكره وقال : إن المحرّك جمع سابع .

١٨٨ . — ومن ذلك قولهم للاسبوع من الأيام : سُبوع ، بضم السين كما ضُمت همزة أُسبوع .

١٨٩ . — ومن ذلك قولهم : النَّطع ، بفتح النون وسكون الطاء في النِطَع كعنب للبساط الذي يكون من الأديم .

١٩٠ . — ومن ذلك قولهم : السدغ ، بالسين المضمومة في الصدغ بضم الصاد .

١٩١ . — ومن ذلك قولهم : ألف واحدة ، وقد جزم صاحب القاموس بان الالف مذكر إلا انه قال : ولو أنّث باعتبار الدراهم جاز .

١٩٢ . — ومن ذلك قولهم : الدَّف ، بفتح الدال للذي يُضرب به إلا ان الضم أعلى [١] .

١٩٣ . — ومن ذلك قولهم : رِعِف فلان ، بكسر الراء والعين أي خرج من أنفه الدم ، فقد حكى صاحب القاموس من لغاته رَعِف كسمع ، ومعلوم أنّ ما كان كسمع وعينه حلقية ففيه جواز كسر الاولين كما في نِعِم وشِهِد .

١٩٤ . — ومن ذلك قولهم : هاوَن ، بفتح الواو خلافاً للحريري [٢] ،

(١) انظر أدب الكاتب ٤٠٤ . (٢) درة الغواص ليبسيك ص ٢٧٢ .

ففي القاموس: والهاوَن بفتح الواو وبضمها ، والهاوون بواوين الذي يدق به ، وممن حكى لغة الفتح الجوهري وابن قتيبة ، ومثله من الاسماء الاعجمية لاوَذ بن نوح .

١٩٥ . — ومن ذلك قولهم : الصَّندوق بالفتح ، وان كان الكثير الضم [1] ، وكذا قولهم : السندوق بالسين ويقال بالزاي أيضاً .

١٩٦ . — ومن ذلك قولهم : أنطاكية ، بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة ، وهو ما حكاه صاحب القاموس واقتصر عليه ، وفي التقريب : إنها مشدّدة الياء عند ابن الجواليقي [2] .

١٩٧ . — ومن ذلك قولهم : الرَّطل ، بالفتح الذي يوزن به ، قال في القاموس : ويكسر .

١٩٨ . — ومن ذلك قولهم : الشروال ، بالشين المعجمة فيه بالمهملة .

١٩٩ . — ومن ذلك قولهم : أشعلت النار ، ألهبتها كشعلتها .

٢٠٠ . — ومن ذلك قولهم : أشغله كما يقال شغله ، إلا أن في القاموس أن أشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة .

٢٠١ . — ومن ذلك قولهم : أمحل البلد فهو ممحل ، والكثير ماحل ، وإن كان فعله أمحل ، ألا تراهم يقولون : أيفع الغلام فهو يافع .

٢٠٢ . — ومن ذلك قولهم : مَنديل ، بفتح الميم للذي يتمسح به في

(١) وذكره صاحب أدب الكاتب ٢٨٥ في (باب ما جاء بالصاد ، وهم يقولونه بالسين) . (٢) في كتابه (تكملة إصلاح ما تغلط به العامة) ص ٥٣ وهو الذي نشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٣٦ . ، وكذلك هي عند الخفاجي في شفائه .

المنديل بكسرها

٢٠٣ = ومن ذلك قولهم : النُقل بضم النون ، لما يُتنقَّل به على الشراب على أحد القولين ، والقول الآخر أن ضمها خطأ ، وأن الفتح هو الصواب .

٢٠٤ – ومن ذلك قولهم : بَسْطام بالفتح ، خلافاً لمن جعله لحناً فصوّب الكسر .

٢٠٥ = ومن ذلك قولهم : التُرْجمان بضم التاء والجيم ، لمن يفسر اللسان ، كما يقال بفتح التاء وضم الجيم .

٢٠٦ – ومن ذلك قولهم : خاتِم بكسر التاء ، لحلي مخصوص بالإصبع ، حكاه صاحب القاموس كالخاتم بفتحها .

٢٠٧ = ومن ذلك قولهم : رُستُم ، بضم التاء أيضاً وإن كان قليلاً ، والكثير الفتح مع ضم الراء .

٢٠٨ = ومن ذلك قولهم : سَم ، بفتح السين للقاتل المعروف ، وقد جاء فيها الكسر والضم أيضاً .

٢٠٩ = ومن ذلك قولهم للرجال والنساء معاً : قوم ، إلا عند من يخص القوم بالرجال ، ويؤنسه ما ورد في التنزيل من مقابلة القوم بالنساء كما في قوله [1] : « أقومٌ آل حصنٍ أم نساء » .

(١) أي زهير بن أبي سُلمى ، وصدر البيت : « وما أدري وسوف إخال أدري » والعبارة توهم أن شطر البيت من التنزيل ، ولعل في النسخ مسخاً وأن الأصل : كما في -

٢١٠ — ومن ذلك قولهم : يضِنّ ، بالكسر بمعنى يبخل في يضَن بالفتح ضناً بالكسر .

٢١١ — ومن ذلك قولهم : واخيته في آخيته بالمد إلا أنها لغة ضعيفة [1] .

٢١٢ — ومن ذلك قولهم : جَرو ، بالفتح لولد الكلب ، ويجوز فيه الكسر والضم أيضاً .

٢١٣ — ومن ذلك قولهم : فعل الغير ذلك ، بادخال الالف واللام على غير بدليل وقوع ذلك في عبارة الإمام الشاطبي في أول بيت ذكره في فرش حروف حرز الاماني ، وأبيات أخر بعده ، وكان متقناً لاصول العربية على ما ذكر في ترجمته فلا عبرة بزعم من زعم أن محققي النحويين يمنعون ذلك وهو الحريري [2] .

٢١٤ — ومن ذلك قولهم : مَبيوع ومَعيوب ، كما في كتب العربية من أن بني تميم لا يعلّون اسم المفعول المعتل العين اليائي من الثلاثي المجرد كما قال الشاعر [3] :

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيدٌ معيونُ

أي مصاب بالعين ، فلا عبرة بمنع الحريري من أن يقال ذلك .

— قوله تعالى : لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ، (الحجرات : ١١) ، وكما في قول زهير : « أقوم ... » .

(١) انظر أدب الكاتب ص ٢٧٠ فإن صاحبه لا يجيز غير الكسر . (٢) درة الغواص ٤٣ . (٣) عباس بن مرداس .

٢١٥ ·— ومن ذلك قولهم : الفاكهاني ، لبائع الفاكهة ، حكاه صاحب القاموس وعزاه الانصاري الى كتب اللغة ردّاً على الحريري[1] إذ جعله خطأً وادّعى أن وجه الكلام أن يقال فاكهي ، ولم يشعر أنه : ما كل صيغة منسوب خالفت القياس فهي خطأ بحسب الاستعمال، بدليل صنعاني بنون قبل ياء النسبة في النسبة الى صنعاء ، وحلواني بها في النسبة الى الحلواء ·

١٥٢ ·— ومن ذلك قولهم للشيخة : عجوزة ، بالهاء على أحد القولين ففي القاموس مانصه: والعجوز الشيخ والشيخة، ولا تقل عجوزة أو هي لغية ·

٢١٦ ·— ومن ذلك قولهم في جمع فم بتخفيف الميم : أفمام ، ففي القاموس حكايته فلا عبرة بعدّ الحريري[2] إياه من أفضح الأوهام ·

٢١٧ ·— ومن ذلك قولهم :البلّوعة[3] بفتح الموحدة وضم اللام المشدّدة للبالوعة ، وهي البئر التي تحفر ضيقة الرأس ليجري فيها ماء المطر وغيره ·

٢١٨ ·— ومن ذلك قولهم : شقائق النعمان بضم النون ، إما لأن النُعمان بالضم هو الدم ، وقد أُضيف الشقائق إليه لحمرته ، وإما لأن النعمان بن المنذر حماه ، وكان كما قال في القاموس في مادة (شق) : أول من حماه فأضيف إليه ، كما قيل في معرة النعمان لبلد اجتاز به النعمان بن بشير فدفن فيه ، ولذا أُضيف إليه ، ومن قال : شقائق النعمان بفتح النون ، فإنما أراد نَعمان الأُراك ، وهو واد بين جبلي نعيم وناعم ، وهذا

(١) درة الغواص ٨٤ (٢) درة الغوّاص ٦٨ (٣) وهي لا تزال لغة الشام ، ونقل الصاغاني أنهما يجمعان على بلاليع وبواليع ، وبلاّعة لغة مصر وبليعة كجميزة كما في التاج ·

كما قيل في تسمية كتاب ألفه الزمخشري في مناقب إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه : شقائق النعمان في دقائق النعمان ، وكما قيل في مدحه رضي الله عنه :

أيا جبلَيْ نعمان إن حصاكما لتحصى ولا تحصى مناقب نعمانِ
جلائلُ كتب الفقه طالعْ تجدْ بها دقائق نعمانٍ شقائق نعمانِ

٢١٩ — ومن ذلك قولهم : سايلته بالياء ، في موضع ساءلته ، قال صاحب القاموس : وأما قول بلال بن جرير :

إذا ضِفتهم أو سآيلتهم وجدتَ بهم علةً حاضرهْ

فجمع بين اللغتين : الهمزة في ساءلته ، والياء التي في سايلته ، ووزنه فعايلتهم ، قال : وهذا مثال لا نظير له .

٢٢٠ — ومن ذلك قولهم : الدّيوان بالفتح ، ففي القاموس : والديوان ويفتح : مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه الجيش وأهل العطية ، وأول من وضعه عمر رضي الله عنه ، الجمع دواوين ودياوين وقد دوّنها ، وهذا يسقط قول أبي عمرو فيما نقله الجواليقي عن الأصمعي عنه : وديوان بالفتح خطأ (١) .

* * *

(١) أوردها الجواليقي في المعرب ، والخفاجي في شفاء الغليل ٩٤ : (بالكسر والفتح خطأ جمعه دواوين ، قال الاصمعي فارسي معرب) وإليه ذهب أبو عبيدة ، وقال الكسائي : هو بالفتح لغة مولدة ، وممن ذهب الى عربية ديوان واشتقاقه سيبويه إذ يقول في كتابه ج ٢ ص ٣٧٣ مبينا أن واو ديوان مبدلة من الواو ما نصه : « وإنما هي —

نجز « **بحر العوام فيما أصاب فيه العوام** » تأليف الحبر المحقق والنحرير المدقق العالم العلاّمة البحر الفهامة محمد بن إبرهيم الحنبلي الحلبي القادري الحنفي ، تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه أعلى غرف الجنان ، بمحمدٍ سيد ولد عدنان ، آمين .

تمّ الكتاب تكاملت نِعمُ السرور لصاحبهْ
وعفى الإله بجوده وبفضله عن كاتبهْ

وكان الفراغ من تعليقه على يد العبد الفقير المقيد بأسباب التقصير الراجي عفو ربه القدير علم الدين ابن الشيخ محمد شمس الدين الكومي ، ختم الله تعالى له بالإسلام ، وغفر الله له ولوالديه ولمن دعى لهم بذلك ، ولجميع المسلمين ، في عشرين شهر رجب الفرد

بدل من الواو كما أبدلت ياء قيراط مكان الراء ألا تراهم يقولون : دُوَيوين في التحقير ودواوين في الجمع فتذهب الياء ... ولكنك جعلتها فِعّال ثم أبدلت كما قلت تظنّيت ، ولذلك قلت قراريط فرددت وحذفت الياء » ، وقال المرزوقي في شرح الفصيح : هو عربي من دوّنت الكلمة اذا ضبطتها وقيدتها لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدوّن ، هذا هو الصواب وليس معربا ، ويطلق على الدفتر وعلى محله وعلى الكتّاب ، ويخص في العرف بما يكتب فيه الشعر ، ويقول الجوهري قول سيبويه : أصله دِوّان فعوّض من احدى الواوين ؛ والناشر يميل الى عروبة ديوان لاشتقاقها ولاستعمالها في اللسان المبين قبل عهد التدوين ولأنه لم يجدها في المعاجم الفارسية المعتبرة كبرهان قاطع لمحمد حسين التبريزي ، ولسان العجم الملقب بفرهنك شعوري ، وكالألفاظ الفارسية المعربة وغيرها،وقد تكون من الالفاظ المتواردة في عدة لغات كما ذهب اليه أحمد عاصم العينتابي في اوقيانوسه ٣٦١/٣ والله أعلم .

من شهور أحدى عشرة بعد الالف من الهجرة النبوية
المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف
التسليم ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين
آمين
تم

يا أيها القارئ استغفر لمن كتبا فقد كفتك يداه النسخ والتعبا
بالله يا مستفيداً من فوائده لا تبخلنّ بأن تدعو لمن كتبا

خاتمة الناشر

لقد بلغت أقوال هذا الكتاب التي صوّب المصنف كثيراً منها ٢٢٠ قولاً صححنا نصوصها جهد الطاقة بمعارضتها على مآخذها كالقاموس والصحاح ودرّة الغوّاص وأدب الكاتب وشفاء الغليل وغيرها ، وبيّنا في تعليقاتنا المهم منها ، وأغفلنا ذكر بعض الأغلاط من بعد تصحيحها لشدة وضوحها ، كما حاولنا بسائر ما علقناه على هـذا الكتاب إما تفصيل إجمال ، أو حل إشكال ، أو بيان مرجع يميل الباحث إليه ، ويعوّل اللغويّ عليه .

أما مخطوطة « بحر العوّام » التي وصفناها في المقدمة ، فقد اشتراها في حلب الشيخ حمدي السفرجلاني أحد تجار الأسفار بدمشق ونقلها من الشهباء الى الفيحاء ثم ظفر المجمع بها لديه فسارع الى اشترائها منه واقتنائها لدار الكتب الظاهرية ، وقد أخبرني صديقي الأستاذ الطباخ مؤرخ الشهباء أنه لا يعلم لهذه النسخة ثانية في الخزائن الحلبية فإن كان الواقع كذلك فلا يبعد أن تكون مخطوطتنا هذه هي الوحيدة الباقية من مخطوطات النسخة الأصلية ، فنرجو ممن يعثر من العلماء في حلب أو غيرها على نسخة أخرى من بحر العوّام أن يتفضل بإنباء المجمع بذلك ؛ هذا وإنّ في نشرنا لهذه المخطوطة في مجلة المجمع العلمي ، وفي العدد القليل الذي طبعناه للعلماء على حدة ، حياةً جديدةً كتبت لهذا الكتاب اللغوي أمنّا بها عليه من الضياع ، فأبقينا به الانتفاع ، والحمد لله ربّ العالمين .

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٦

هل يجب الحاق المعرب بأوزان الكلام العربية

ذهب بعض اللغويين الى أنه يجب إلحاق المعرب بأوزان كلام العرب . قال الحريري : من مذهب العرب أنهم إذا عربوا الاسم الأعجمي يردونه الى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزنا وصيغة ، وقد كرر هذا الرأي في غير ما موضع من كتابه « درة الغوّاص في أوهام الخواص » ، منها ما جاء في الصفحة ٦١ من طبعة الجوائب في بحث دستور ، وفي الصفحة ٨٠ في بحث الشطرنج ، وقد أنكر عليه شراح كلامه هذا الرأي وعدوه من أوهامه .

والذي عليه جمهور علماء العربية أنه لا يجب في المعرب أن يردّ الى أوزان كلام العرب ، وقد حكاه في كتاب سيبويه أن الاسم المعرب من كلام العجم ربما ألحقوه بأبنية كلامهم وربما لم يلحقوه ، فما ألحقوه بأبنيتهم : درهم وبهرج ، ومما لم يلحقوه الافرند والآجر الى آخر ما فصله ، وقد أوضح هذه الناحية أبو منصور الجواليقي في كتاب المعرب ، وابن السيد البطليوسي في كتاب : (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) في باب ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حروفه في الصفحة ٢١٥ من طبعة بيروت سنة ١٩٠١ .

وبالجملة فإن الجمهور من اهل العربية لا يشترطون رد المعربات الى أبنية اللغة العربية ولكنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة لتكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة بأوزانها ، ولذلك استعملوا نيروز أكثر من نوروز ، لأن نيروز أدخل في كلامهم وأشبه به ، لأنه كقيصوم وعيشوم ، وبهذا تعلم سخف ما يذهب اليه بعض المعاصرين المتشددين من وجوب إلحاق المعربات بأوزان العرب .

تنبيه :—

أول من حاول استيعاب ابنية الأسماء والافعال في اللغة العربية سيبويه : فاحصى للاسماء ٣٠٨ من الامثلة ثم جاء ابن السراج فذكر منها ما ذكره سيبويه وزاد عليه ٢٢ مثالا وزاد أبو عمر الجرمي أمثلة يسيرة وكذلك فعل ابن خالويه . فقرى أبو القاسم علي ابن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع ابنية الاسماء العربية وبذل جهده في الاستقصاء فاستوى لديه ١٢١٠ من الامثال في هذا الباب ، فلا يجوز لاحد أن يقضي بخروج بناء ما عن أبنية اللغة العربية ما لم يستقص هذه الامثلة ويقتلها معرفة وضبطاً .

تصريف المعرب

ينقسم المعرب إلى قسمين : الأول الاعلام والثاني اسماء الاجناس .

فالأعلام الأعجمية المنقولة إلى العربية لا يبحث في العربية عن أصول اشتقاقها أو جمودها . وانما تستعمل أعلاماً في العربية كما كانت أعلاماً في العجمية ، ولا يدخلها من التصريف الا أحكام مخصوصة من جمع وتصغير ونحوهما .

فلا يجوز بعد هذا إن يقال أن ابليس — مثلا — مأخوذ من الابلاس بمعنى اليأس والانكسار ، واسحق من اسحقه الله اذا أبعده لان إبليس واسحاق علمان اعجميان ولا يعقل أن يشتق الاسم الاعجمي من لفظ عربي .

نعم يجوز أن يؤخذ من بعض الاعلام بعض التصاريف مثل اعرق اذا صار الى العراق — على القول بان العراق اعجمي — ودولب اذا قصد دولاب وهي مدينة اعجمية ، ويقولون تبغدد اذا تشبه بالبغداديين ، ومن هذا يعلم أنه يجوز اشتقاق بعض الصيغ من بعض الاعلام الاعجمية المنقولة الى العربية ولا يجوز قطعا أن يزعم زاعم اشتقاق علم اعجمي من لفظ عربي ، ولا يغرنك ما تراه مبثوثا في معاجم اللغة من هذا القبيل لانه صادر عن ذهول في الغالب .

وأما الضرب الثاني : وهو اسماء الاجناس المعربة فلا ينبغي أن يبحث في العربية عن اشتقاقه ، لان هذا الاشتقاق إما أن يكون من أصل أعجمي لا شأن للعربية فيه ، فيكون البحث عنه من قبيل الخلط السيء قد يؤدي الى التخليط ، وإما أن يكون

الاشتقاق من لفظ عربي ، وهو محال ؛ إذ لا يعقل أن يشتق الأعجمي من العربي كما لا يعقل العكس ، وإنما تشتق الألفاظ بعضها من بعض في اللغة الواحدة لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ، ولا يعقل أن يتولد الشيء من غير نوعه ، قال بعضهم في هذا الشأن : ومن المحال أن تنتج النوق إلا حوراناً ، وتلد المرأة إلا إنساناً ، ومن اشتق الأعجمي المعرب من العربي كان كمن ادعى أن الطير من الحوت ، وما ورد في كتب اللغة مما يخالف هذا الأصل ، فهو تخليط لا يعبأ به ولا يجوز أن يصار إليه .

هذا هو الرأي في اشتقاق الاسم الاعجمي المعرب من غيره ، وأما الاشتقاق من اسم الجنس الاعجمي المعرب ، فمعروف في العربية شائع فيها ، والعرب كثيراً ما تجري على هذا الضرب من المعربات الأحكام الجارية على العربي الصميم ؛ ألا تراهم تصرفوا في اللجام ، وهو معرب تصرفهم في لفظ عربي أصيل : فقالوا الجم يلجم الجاما ورجل ملجم وفرس ملجم ، وقالوا تلجم يتلجم تلجما ، كما تصرفوا في الديوان وهو دخيل فقالوا دوّن يدون تدويناً ، والرجل مدوّن والعلم مدوّن ، وقالوا بهرجه اذا أبطله واصله من قولهم درهم بهرج أي رديء ، وهو معرب نبهره ويراد به الزغل والباطل ، والخلاصة : أنه لا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون الاسم الاعجمي المعرب مشتقاً من لفظ عربي سواء كان الاسم الاعجمي علماً في اللغة الاعجمية أو نكرة ، أما الاشتقاق من الاسم الاعجمي المعرب فيكثر في النكرات ويندر في الاعلام ؛ فاذا سمى بعض العرب ابنه قابوس تعريب كاووس أو ابنته شيرن ، فلا يبحث عن كون هذين العلمين مشتقين أو أنهما أصل يشتق منهما ، وعربوا زيوه — مثلا — فقالوا زئبق ، ولم يسألوا هل هو مشتق ومن أين هو مشتق ؛ ولكنهم تصرفوا به واشتقوا منه فقالوا : زأبق الدرهم ودرهم مزأبق إذا كان مطليا بالزئبق ، وقالوا فيه الزوق والزاووق وقالوا تزوق تزويقا اذا تزين وتحسن ووجه مزوق بمعنى مزين ، وتحرفه العامة اليوم فتقول (مزروق) .

وعلى هذا الاصل مشى اسلافنا في تصريف كثير من اسماء الاجناس المعربة : فقالوا فلسفة وتفلسف ورجل متفلسف ، وقالوا قرطس من القرطاس (وهو أعجمي معرب) ومعنى قرطس أصاب القرطاس وهو الهدف ، لانه يكون من القرطاس في الغالب .

وإذا علمنا أن (الكهربا) معرب (كاه ربا) بالفارسية ، ومعناه فيها جاذب التبن يريدون به المادة التي يعمل منها هذا الخرز الاصفر المعروف اليوم باسم (الكهرب) لذا علمنا واطلقنا اليوم هذه اللفظة على القوة المخصوصة جاز أن نتصرف بها فنقول تكهرب الجسم وجسم متكهرب وقد كهربنا الصندوق وصندوق مكهرب ، وكذلك اذا قبلنا تعريب كلة التلفون مثلا كان لنا على أسلوب الاسلاف أن نقول : تلفن فلان يتلفن ... الخ .

وفي هذا ما فيه من تذليل العقاب الماثلة أمام المترجمين والمؤلفين في العلوم الكونية المختلفة التي فاض فيض المصطلحات فيها وطغى تيارها ..

كيفية التعريب

قلنا إن التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية إلى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ؛ ولكن الغالب فيه التغيير قليلا كان أو كثيرا ، وذلك أن يكون بالزيادة أو النقص أو الابدال ، وعلى كل اما يكون لازما أو غير لازم وهاك الامثلة على ذلك :

مثال التغيير اللازم بالزيادة (الدستجة) بمعنى الحزمة معرب (دسته) بدلت فيها الهاء جيما وزيدت التاء في آخرها للدلالة على الوحدة ، و (صك) معرب (چك) زادوا في آخره حرفا من جنسه وادغموه فيه لان الاصل في الاسم العربي الا يقل عن ثلاثة أحرف .

ومثال التغيير غير اللازم بالزيادة (سكر) زيدت فيه الكاف بعد السين وادغمت في الكاف بعدها ؛ ومثال التغيير اللازم بالنقص (رست) معرب (راست) بمعنى صحيح حذفت الالف دفعا لالتقاء الساكنين ، و (ايزن) مثلث الهمزة حوض يغتسل فيه ويتخذ من نحاس ليجلس فيه المرضى للتعريق ، وقد يتخذ من الخشب ، قال أبو دواد الايادي يصف فرسا منتفخ الجنبين : —

أجوف الجوف فهو منه هواء مثل ما جاف ايزنا نجار

أي مثلما وسع النجار جوف الايزن ، وهو معرب (آب زن) حذفت الفه دفعا

لالتقاء الساكنين ، ومثال النقص غير اللازم (سرداب) للبناء المعروف فانه معرب (سرد آب) بمعنى الماء البارد ، وسمي به البناء للمعروف لانه كان يعد لتبريد الماء ، وقد حذفت الفه عند التعريب من غير لزوم . والنقص قد يكون في أول الكلمة مثل (بهرج) بمعنى الباطل والزغل ، وهو معرب (نبهره) حذفت منه النون .

وقد يكون في الوسط كما تقدم في كلمة سرادب ، وقد يكون في الاخر مثل كلمة (النشا) فانها معربة من كلمة (نشاسته) .

والنقص قد يكون بحرف واحد وقد يكون باكثر كما رأيته في الامثلة الآتية

والابدال على قسمين : الاول ابدال حرف بآخر ، والثاني ابدال حركة أو سكون بغيرهما .

وابدال الحرف بغيره قد يكون لازما وقد يكون غير لازم : مثال الابدال اللازم (بد) بمعنى الصنم فانه معرب (بت) ابدلت الباء الفارسية المثلثة بالباء ابدالا لازما لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه وأبدلت التاء بالدال ابدالا غير لازم لقرب ما بين مخرجهما .

وبالجملة فانهم يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجا في الغالب ، وربما أبعدوا في الابدال لاسباب قد تكون ظاهرة وقد تكون غامضة .

ومثال الابدال غير اللازم (برنامج) فانه معرب (برنامه) ابدلت فيها الهاء جيما .

ومثال ابدال حركة بحركة اخرى (سكر) معرب (شكر) كما مر إبدلت فتحته بالضمة .

ومثال ابدال حركة باخرى وسكون بحركة ، وحركة بسكون كلمة (سيبويه) فان العجم تنطقه سيبويه فابدلت العرب ضمة الباء بفتحة وسكون الواو بحركة (هي الفتحة ايضا) وابدلوا فتحة الياء الثانية بالسكون .

وربما دخل في الكلمة الواحدة انواع شتى من التغيير مثل كلمة (ترهة) فانها معربة من كلمة (دورره) بمعنى الطريق البعيد فابدلت الدال بالتاء وحذفت الواو وجوبا

لالتقاء الساكنين، وادغمت الواو في الراء وحركت الهاء الساكنة بالفتحة وزيدت بعدها تاء للدلالة على الوحدة ، فأنت ترى أنه قد دخلها النقص والزيادة والابدال بأنواعه . ويقارب هذه كلمة (زئبق) تعريب (زيوه) فان الابدال لحق جميع حروفها والتغيير هو الغالب في التعريب . وأغلب ما يقع في الكلمات التي تبعد أوزانها عن الاوزان العربية أو تشتمل على حروف لا وجود لها بين الحروف العربية مثل (پ . چ . ژ . گ ڤ) فان الضرورة تقضي بابدال الحرف الاول بالفاء او الباء لان العجم تلفظه بين هذين الحرفين ، ولذلك قال العرب (فرند) و(برند) في تعريب كلمة (پرند) الفارسية وفرند السيف وبرنده جوهره ووشيه) .

وكذلك تقضي الضرورة بابدال الحرف (چ) بحرف يقاربه من الحروف العربية، وقد اعتادوا أن يبدلوه بالصاد ويقولون (صك) في تعريب (چك) و (صين) في تعريب (چين) و (صفانه) في تعريب (چغانه) وهي من آلات اللهو ، وربما أبدلوه بالشين فقالوا(شاكري) في تعريب (چاكر) وهو الاجير المستخدم .

وربما أبدلوه بالجيم فقالوا (جوالق) في تعريب (چواله) وهو العدل لان العجم تلفظه بين الشين والجيم ، والضرورة تقضي أيضاً بإبدال الحرف (ژ) بحرف من الحروف العربية يقاربه في المخرج . ولما كان العجم يلفظونه بين الزاي والجيم ابدلته العرب بالزاي فقالت (زئبق) في تعريب (ژيوه) و زون (في تعريب ژون) وهو الصنم .

وكذلك أبدلوا الحرف (گ) بالجيم لانه يلفظ بين الجيم والكاف فقالوا (جزاف) في (گزاف) و (جلنار) في (گلنار) وهو زهر الرمان (وجناح) في (گناه) وهو الذنب و (جوز) في (گوز) الثمر المعروف .

وأبدلوا الحرف الخامس من الحروف الخمسة المذكورة بالفاء أو الواو لانه ينطق بينهما.

فأنت ترى أن الاسلاف لم يدينوا الا للسليقة يستخفون ما تحكم بخفته ، ويستثقلون ما تحكم باستثقاله وحكم السلائق فوق تحكم القواعد الوضعية .

وصفوة القول : إن التعريب من عوامل نماء اللغة ، ووسائل غنائها وقد قدره

الاسلاف حق قدره ، واستمدوا فيضاً من سيبه ؛ ولكنهم جروا فيه على سنن الطبيعة ، وعلى سجية اللغة ، ولم يفزعوا اليه إلا عند الحاجة ؛ إلا أنهم لم يقيدوا الحاجة بالاغلال التي قيدها غلاة المحافظين من المعاصرين ، ولا تساهلوا فيها تساهل المتطرفين من المجددين ، فان الأولين لا يرون الحاجة ماسة إلا بعد أن ينفضوا المعاجم نفضاً ، ويطرقوا أبواب التصريف ، ويسبروا ألوان التعبير ، وتمييهم الحيل ، ثم لا ينزلون على حكم التعريب إلا مكرهين ، فيقولون — مثلا — الف الف ، والف الف الف ذراع فرنجية ولا يقولون (مليوناً أو مليار متر) ويقولون مصور جغرافي ، ولا يقولون (خارطة) ونسوا أن لفظة (جغرافية) معربة ، وأن أولينا عربوا (القرطاس) وهو أصل الخارطة في اللغة الاجنبية .

وأما الآخرون فانهم يميلون كل الميل في هذا الشأن ، ولا يبالون ان يصبح أمر اللغة فوضى ، ولو أنها شتى ، حتى تكون لا شرقية ولا غربية ، ولذلك تراهم يملأون أفواههم ، ويلوون ألسنتهم بكلمات أعجمية ، مع أن ما يقابلها من العربية أقرب اليهم من أنوفهم .

وهؤلاء لاشأن لنا معهم لان جمهرتهم ممن لم يضرب في آداب العرب بسهم،ولا يصد في رأيه هذا عن تحقيق خليق بالاعتبار .

أما الاولون فيرون أن جمال اللغة وكمالها موقوفان على نقائها من دخيل الكلم،وفاتهم أن رأيهم هذا يؤدي إلى التقليل من عوامل نماء اللغة ووسائل غذائها ، فهم أشبه بمن يشير على كل إنسان بتحامي أكل اللحوم رغبة في الصحة ، ولم يدر أن هذا النوع من الحمية يؤدي الى الضوى،ولاسيما إذا كان المحتمي ممن اعتاد الاغتذاء باللحوم من قبل .

ومن الظلم بمكان أن نحمي على اللغة سرانها ، ونذودها عن ينابيع ريها لئلا يمتزج بلحمها ودمها عنصر غريب ، ثم نريد منها بعد هذا الشح أن تحمل من العلوم وتعي من الفنون ما تنوء به اليوم أقوى اللغات بنية وأوسعها بسطة وأثراها مادة . لعمري حارت لغتنا بأمرها وأمرنا ، تمد يدها الى الاشتقاق ، فتدفعها عن معظم وجوهه بحجة أنها سماعية، وتلتفت إلى جهات أخرى فتصدها عنها المحجة تسها ، وتنزع إلى التعريب فتدفع في

صدرها لئلا تشقى بالدخيل ، أليس عملنا هذا يشبه عمل الفتاة الصينية التي تلبس قدميها نعلين من الحديد للاحتفاظ بجمال شكلهما ، والمحافظة على غضارتها ونضارتها ، ولكنهما بالأخير تضويان وتعجزان عن القيام بوظيفتهما .

وإذا كنا نريد من لغتنا أن تتسع لوعي ما يتطلبه العصر من علم وفن ، وتمشي مع الحضارة جنباً إلى جنب ، فعلينا أن نفتح أمامها مغاليق التقييد ، ونفك أغلال التقليد ، لكي يخصب مرتعها ويعود اليها نشاطها ومرحها .

طه الراوي

آراء وأخبار

كافور وسيف الدولة

أنكر الاستاذ سعيد الأفغاني تحت هذا العنوان في مجلة المجمع العلمي العربي ما جئت به للاستدلال على شذوذ الطموح في أبي الطيب المتنبي لما استذل لطمعه إذ قلت: إن روح أبي الطيب في الإباء قوية ، لكن طمعه في الولاية ولذة الامر والنهي وإفراطه في هذا الطمع غطى على هذا الاباء في بعض المواقف ، وإلا فما معنى قوله في كافور بعد أن ترك سيف الدولة : «قواصد كافور الخ ..» ثم قلت : « يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو (في نظر المتنبي طبعاً لان ما بعده حل انظمه) العبد الزنيم الذي أذنه في يد النخاس ،دامية وقدره وهو بالفلسين مردود (الخ) ثم قلت وهو (أي أبو الطيب) يعلم أن الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالا كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بحد ، وما كان كل ذلك إلا طمعاً في الولاية ، ولعله طمع في خداع هذا الأسود بما يحسبه من ضعف العقل في السودان فازداد في تملقه »

إن كلامي هذا ظاهر في أنني لم أكن في بحث المفاضلة بين سيف الدولة وكافور ، بل في الاستدلال على استخذاء أبي الطيب لطمعه ، فلأحته على عمله في غير ما يراه ويعتقده من صفات كافور ، ولم أتعرض للحكم عليها بنفي ولا بإثبات ، وقولي (وهو يعلم) (وبما يحسبه) يدل على ذلك ، وإذا كان المتنبي يرى كافوراً أسود مخصياً أذنه دامية في يد النخاس وقدره دون الفلسين فكيف يجعله فوق العالمين ، أفلا يكون بهذا مستخذياً

لطمعه الذي أثاره فيه حسبان كافور ضعيف العقل لانه سوداني ٠

لكن الاستاذ الافغاني حسب أنني حكمت بذلك حكماً ، فوعظني بأنه ما كان لمؤرخ أن يصدر حكماً على رجل لقول شاعر فيه (الخ) فجاءت موعظته لي في غير موردها ٠

رأيته ، ثبته الله بالقول الثابت، ينكر إنكاراً شديداً كون كافور زنيما بعد تسليم كونه عبداً أسود ويلح علي بأن أقيم البينة على ذلك من التاريخ ولا يقيلني من الجواب البتة ، فكأنه لم يبحث معنى الزنيم في لغة العرب ، فالزنيم فعيل من الزنمة ، وهي اللحمة المتدلية في الحلق ، قاله الليث وغيره وهي العلامة كما جاء في التاج ، والتزنيم من سمات الابل (أي علاماتها) كما قال الأئمة وقالوا معز زنيم كأمير له زنمتان ، وقالوا ان الزنمة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً وإنما يفعل ذلك بكرام الابل قاله الجوهري ٠ وقال الاحمر : السمات في قطع الجلد ٠ الرعلة وهي أن يشق من الاذن شيء ثم يترك معلقاً ومنها الزنمة ، وهو ان تبين تلك القطعة من الاذن ٠ وقال في التاج ومن المجاز الزنيم كأمير ، المستلحق في قوم ليس منهم ، وبه فسر الفراء قوله تعالى: عتل بعد ذلك زنيم، زاد غيره لا يحتاج اليه فكأنه فيهم زنمة ، وفي لسان العرب وقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ، قيل موسوم بالشر لان قطع الأذن وسم ، وفيه أيضاً ان الزنيم الذي يعرف بالشر واللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها ، فاستعمال الزنيم بمعنى الموسوم بسمة استعمال صحيح جاء على سنن العرب ، وكافور كان عبداً اشتراه ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد من محمود ابن وهب بثمانية عشر ديناراً كما جاء في وفيات الاعيان ، والثمن بخس كما ترى يدل على زهد بائعه فيه ، واذا كان الاخشيد رفع منزلته بين مواليه وصيره اتابك ولده أبي القاسم محمود وأبي الحسن علي ، فكافور لم يرع لسيده حق هذه النعمة لما نحى ولد ابنه أبي الحسن عن عرش مصر وجعله لنفسه وقد أشار أبو الطيب الى ذلك بقوله :

أكلما اغتال عبد السوء سيده   أو خانه فله في مصر تمهيد

وكافور كان موسوماً بسمة العبيد لانه كان مخصياً ، وهذا لا يحتاج الى دليل ؛ ثم ان في شعر أبي الطيب ما يدل على أنه كان مثقوب الشفة ، وهذه سمة أخرى من سماتهم ، فهو زنيم حقيقة من هذه الجهة ، وكافور كان لئيم الأصل ، وقد جاء في لسان

العرب في مادة ل ء م « اللؤم ضد العتق والكرم واللئيم الدنيء الاصل » وفي مادة ش ر ف « الشرف الحسب بالاباء ، والشرف والمجد لا يكونان الا بالاباء ، ويقال رجل ماجد : له آباء متقدمون في الشرف » فكافور زنيم مجازا من هذه الجهة أيضاً، ومن كلام الائمة ان الشرف والمجد لا يكونان الابالاباء تعلم ان النسب له قسط وافر في اجلال صاحبه وتكريمه وارتفاع شأنه في النفوس ؟ وإذا كان الشرع الاسلامي العادل لم يجعل تفاوتا في الناس بين شريف ومشروف في احكامه وواجباته وفرائضه فكذلك لم يجعل تفاوتاً فيها بين الصبيح والدميم مثلاً،ولكنه لم يحظر على الناس ميلهم النفسي واجلالهم واستملاحهم لشريف النسب وصبيح الوجه ونفورهم من دنيء الاصل ودميم الخلقة ، وقد اكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنة حاتم الطائي لان اباها حاتم ، وحذر من خضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء .

نعم ان الشرف ليغطي عليه العمل السيء ودناءة الاصل يسترها العمل الصالح ، وما أحسن قول القائل :

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا
اذا الحسب الرفيع تداولته بُناة السوء أوشك أن يضيعا

واني أرى الاستاذ الأفغاني لم يعمل بما وعظني به اذ طغت فيه حفيظته فلم يقف موقف التجرد والانصاف ووزن الاقوال وما لابسها من ظروف ، ولم يعمل بالتروي والاناة والاستقصاء في بحثه ، هذا اذ وقف في حديثه عن سيف الدولة وفي الحكم عليه موقف المغيظ المحنق ، ولا أريد أن أقول ان الشعوبية حملته على ذلك لانني لم أتحقق السبب الذي جعله ينكر كل حسنة لهذا الامير العربي المجاهد الذي أحيا الادب العربي بعد أن كادت تدرسه سلطة الموالي، وحفظ ثغور العرب والمسلمين بعد أن كادت تجتاحها جيوش الروم ، ولو أنه تنازل الى التسليم بما قاله الاستاذ العلامة صاحب خطط الشام من انه كان من الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ولكن حسناته أكثر ، لالتمسنا له عذراً . اما ان يجرده من كل حسنة ، بل يجرّده من صفات الانسانية والرحمة كل من يرضى ان يعد سيف الدولة في حيز الطغاة العتاة من كبار المجرمين في التاريخ ، فذلك تحامل

ظاهر لا يدل على التجرد في البحث وفي خدمة التاريخ مع أن سيف الدولة كما قال أهل التاريخ قد أفنى نصف عمره في حفظ ثغور المسلمين وحماية ديارنا السورية العربية من هجمات البيزنطيين القوية ، بل حفظ لهذه الارض كيانها العربي وهي قرة عين كل ناطق بالضاد لما أراد الروم أن يذلوها ويجوسوا خلالها ويجلوا عنها أهلها وأن يقضوا على كلمة التوحيد في منابرها ومنائرها كما فعلوا في طرسوس يوم سلمها اليهم رشيق النسيمي وأوجبوا على كل من اختار المقام فيها ان يترك دينه،ومن لم يفعل فليرحل ولايحمل غير ما استطاع حمله من متاعه ثم خربوا المساجد وأحرقوا المصاحف ٠ لمثل الدفاع عن هذا وقف سيف الدولة موقفه الشريف الذي يفتخر به كل من يجري في عرقه الدم العربي ٠ واسمع ما يقول المؤرخون من أن سيف الدولة جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئا عمله لبنة بقدر الكف وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده فانفذوا وصيته ٠

وما يقول ياقوت في معجمه عند ذكره في الثغور ثغر طرسوس « ثم لم يزل هذا الثغر وهو طرسوس واذنه والمصيصة وما ينضاف اليها بايدي المسلمين والخلفاء مهتمين باسرها لا يولونها الا شجعان القواد والراغبين منهم في الجهاد، والحروب بين أهلها والروم مستمرة والامور على هذه الحال مستقرة حتى ولي العواصم والثغور الامير سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء بن حمدان فصمد للعدو وامعن في بلادهم، واتفق أن قابله ملوك اجلاد ورجال أولو باس وجلاد وبصيرة بالحرب والدين شداد فكانت الحرب بينهم سجالا »

وأرى أن الاستاذ الافغاني لم يعمل بوزن الاقوال وما لابسها من ظروف في بحثه هذا إذ لم يقدر قوة جهاد هذا الامير العربي الصميم في حفظ كيان هذا الوطن العربي العزيز بمثل جهوده الجبارة ازاء هذه الملوك الاجلاد واولئك الرجال ذوي البأس والجلاد ٠ ازاء قوى الامبراطورية البيزنطية (وما اشبهها في بعض الوجوه بجهود فلسطين العربية الجبارة امام المطامع الصهيونية وقوى الامبراطورية الانكليزية) هاجم البيزنطيون هذه الديار بجيشهم المنظم الوفير العدة الكثير العدد يقوده قواد عظام أمثال نيسفور فوكاس وبارزاس فوكاس وكانت تجريدته في أكثر هجماته لا تقل عن مائتي الف مقاتل منظمة في خططها ومواصلاتها تحمل السلاح الفتاك وتسلط النار الاغريقية وترسل الدبابات الضخمة وإلى جانبها اسطولهم العظيم وليس للامير العربي سوى

رقعة صغيرة من هذه الديار وليس وراءه من ملوك المسلمين والعرب الا من لا يعضده في جهاده ولا يؤازره في دفاعه وليتهم اقتصروا على ذلك فان الكثير منهم كان عونا لاعداء الوطن عليه إذ كانوا يشغلونه عن جهاده بمعاواتهم فتح ما كان في يده من هـذه الرقعة فضلا عن خيانة بعض رجاله الطامعين في عرشه كابن أخيه ناصر الدولة وهبة الله صاحب حران اللذين اغتنما فرصة شغله في جهاد الروم فارهقا الرعية ظلما وجوراً ليستعينا على امتلاك عرشه وأظهرا الغدر والخيانة لاميرهما المغوار ، ومثل غلامه نجا الذي أرسله لاخماد ثورتهما فخانه هو أيضا بعد أن ارتكب من الظلم والجور في الرعية الوانا ، كافراً بنعمة سيده بينما سيده في ميا فارقين يرابط في الثغر ويكابد مضض المرض ويفادي أسرى المسلمين ، وكانوا يومئذ الفي أسير أخرج في فدائهم مائة وستين الف دينار ولما لم تقم بها خزائنه رهن درعه الجوهر المعدومة المثال ·

وكولاه رشيق النسيمي الذي سلم ثغر طرسوس للبيزنطيين بشروط ثقيلة مرهقة أجلت المسلمين عنها إذ أثار أهل أنطاكية منذ رجع اليها وسار بهم إلى حلب مع من انضم اليه من مرتزقة الديلم وغيرهم لينتزعها من قرعويه غلام سيف الدولة وسيف الدولة في الثغور يفادي الاسرى ·

ولم تكن تجريدة سيف الدولة في أعظم واقعة له مع جيش الروم اللجب تزيد على ثلاثين الف مقاتل ، وفي بعضها كانت لا تتجاوز أربعة آلاف وليس لها من السلاح سوى السيف والرمح وقلوب ملؤها الايمان وحب العروبة والاسلام ·

وإذا كان سيف الدولة وحاله هذه وأنت تعلم وأنا أعلم أن الجهاد لا يقوم بغير نفقة ومال ، فهل يكون سيف الدولة جباراً عتياً إذا فرض الضرائب للقيام بأمر هذا الجهاد ، وماذا يفعل المال مع الباخلين به إذا اجتاح عدوهم أرضهم وديارهم واستعبد كرائم أموالهم وذبح أطفالهم ونساءهم كما فعل بطرسوس · انه إذا فرض الضرائب فانما يفرضها لذلك لا لأجل أن يجيز شاعراً مدحه بقصيدة !! ولئن فعل وقوى روح الادب في الامة بشيء من هذه الاموال (وبقوة الادب تقوى الامة وتعلو ثقافتها) أو أراد بذلك تأييد الدعوة للالتفاف حوله في مثل هذا البحر الزخار بامواج الفتن التي اقبلت تترى كقطع الليل

المظلم وهدفها إفناء العرب واذلال بلادهم فهو معذور أيضا ولا يكون بذلك جباراً عتياً بل يكون ذلك من لوازم جهاده .

وأما أن الاستاذ الأفغاني لم يعمل بالتروي والاستقصاء فانه أخذ على سيف الدولة ما نقله عنه الشريف العقيقي لاهل دمشق من أن غوطة الشام لا تصلح الا لرجل واحد، وأنها لو أخذتها القوانين السلطانية لتبرأ منها أهلها . لكن هذا الكلام لم يروَ الا عن الشريف العقيقي، ولعل هذا الشريف كان له ضلع مع الاخشيدية اوهو من دعاتهم سراً فاختلق هذا الحديث أو حرفه بما يشير به الدمشقيين على سيف الدولة لينفضوا يدهم من طاعته وينحازوا الى الاخشيديين . ولو صحت الرواية و كان سيف الدولة قال هذا القول فهل خرج عن ان يكون حديثاً مما يتحدث به الناس من خطرات سانحة لا تلبث ان تضمحل ، وإلا فلمَ لم يفعل ذلك سيف الدولة ان لم يكن في غوطة دمشق ففيما يشابهها من البلدان التي كانت تحت أمره وهل يحاسب المرء على قول قاله ولم يفعله ؟

ثم انه جعل أول ميزات كافور « انه كان يتهجد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول اللهم لا تسلط عليّ مخلوقا » ونعم العمل طاعة الله والتهجد وتعفير الوجه له وارسال وقر بغل من صرر الدراهم كل ليلة عيد للعلماء والزهاد والفقراء » ولكن ألم يكن من أحسن الصدقات وأفضل القربات إلى الله يومئذ أن يجعل نصيبا من وقر هذا البغل لحماة الثغور المجاهدين في سبيل الله وهم يومئذ وفي مثل تلك الحال أحق وأولى، ولمَ لم يفعل ؟!! ثم ما هو وقر البغل من الدراهم يرسل كل عام مرتين ولا يزيد في المرة على أربعين الف درهم وإن شئت قل نحو ألفي دينار وأين هي من مائة وستين الف دينار بذلت دفعة واحدة في فداء اسرى المسلمين وفكاك مجاهديهم من ربقة الاسر؟ واين اتساع رقعة ملك كافور وهو يضم الديار المصرية كلها وقسما كبيرا من الديار الشامية من رقعة ملك سيف الدولة وهو لا يتعدى حلب والعواصم والثغور ، ثم ماذا يغني التهجد وتعفير الوجه والعدو على الباب يريد الفتك بذوي التهجد وامتهم ودينهم إذا لم تعدّ له الامة وملوكها ما استطاعوا من قوة ، وما القسي فعله

صاحبك كافور في هذا النبيل ؟ أبمثل هذا كان صاحبك سماء وصاحبنا أرضا ؟!!

ثم بماذا كان سيف الدولة جباراً عتيا سفاكا للدماء : ابتأديبه الباغين عليه ليستقيموا له فيتفرغ لمناصبة عدوهم وعدو وطنهم ؟ ام بفتكه بالبيزنطيين في دفاعه عن ارض العروبة والاسلام ؟ ام بماذا ؟

اني ايها الاستاذ ما كنت محباً لمثل هـذا الجدل ، فالحقيقة ظاهرة يعرفها كل منصف مدقق لولا انك ألحفت بطلب الجواب عن كون كافور زنجياً ولم تقاني منه، فوداعاً ايها الاستاذ .

النبطية . جبل عامل . ٢٨ المحرم سنة ١٣٥٦ و٩/٤/١٩٣٧

احمد رضا

رسالة تاريخية

من الشيخ صالح قطنا الى السيد علاء الدين عابدين

كتبت سنة ١٢٧٩ للهجرة

إن التاجر الدمشقي الوجيه السيد سعدي القرّاء سبط السيد علاء الدين ابن السيد محمد أمين عابدين عظيم الحنفية في عصره قد عثر خلال كتب جده السيد علاء الدين على رسالة تاريخية مفصلة كتبها الشيخ صالح قطنا مفتي دمشق يوم كان شاباً يطلب العلم على السيد علاء الدين أرسلها اليه وهو في الحجاز يؤدي فريضة الحج ، وعبارات الرسالة تدل على ضعف انشاء الكاتب الذي كان لا يزال يوم كتابتها فتيّ يطلب العلم ، وقد أطال فيها المقال على استاذه وفصّل له كثيراً من حوادث دمشق ، شأن رسائل ذلك العهد المحروم من الجرائد ، فكان الدماشقة ينتظرون بريد القسطنطينية ليطلعوا على أخبار جرائدها (القظيطات بلغة ذلك العهد) .

والحوادث التي اشتملت هذه الرسالة عليها منها العمرانية كدخول الكارّة (الكروزة) لدمشق ، وبيان حالة شوارعها الضيقة وحوانيتها ذوات المساطب ، وترميم الجامع الاموي ، وخبر عزم الانكليز على انشاء سكة حديد من طرابلس الى حمص فحماة فحلب فبغداد ، ومنها الاقتصادية كالضرائب المضروبة على دمشق ، ومنها السياسية كتنقلات الولاة ، وما شاع يومئذ من تعيين الامير عبد القادر الجزائري على بلاد اليونان إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية الممتعة .

إن مثل هذه الرسائل الشخصية تعتبر من الوثائق التاريخية التي يستمد منها المؤرخ

كثيراً من حقائق القرون المتأخرة الغامضة ، ولذلك يرجو المجمع من قرائه الافاضل ان يبعثوا اليه بما لديهم من أمثال هذه الرسائل التاريخية ليحفظها بين وثائق دار الكتب الظاهرية ، كما فعل التاجر الدمشقي الكريم الذي عثر على هذه الرسالة ، فقد أهداها الى مجمعنا الذي يشكره عليها كثيراً ، وهذا نص العنوان الذي نستهجنه اليوم ويعد في زمنه مستحسناً :

الى مكة المكرمة المشرفة

يحظى ويتشرف غاية التشريف بلثم أنامل جناب فخر العلماء العاملين
وعمدة الفقهاء والمدرسين ، وزبدة الاولياء المكرمين ، المقتفي
أثر سلفه الصالحين ، العالم النقيه العمدة ، والفاضل الصالح
النخبة ، سيدي واستاذي العارف المتين الشيخ السيد
محمد علاء الدين افندي عابدين ، كان الله
له ولي عوناً ومعين ، وأمين فتوى
دمشق حالا ، زاده الله
إجلالا
آمين

الله محمد رسول الله
ابو بكر عمر عثمان علي
١٢٤٣

واليك نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان أبهى ما وشحت به صدور الكتب والدفاتر ، ونطقت به السنة الاقلام عن افواه المحابر ، حمد الله الذي يستكشف الكرب ، ويضمحل بالالتجاء اليه كل الخطب ، وبالصلاة على اشرف خليقته ، وأفضل بريته تنجلي عن القلب الهموم ، وتنفرج الغموم ، فعليه صلاة الله وسلامه الدائمان ، وآله وصحبه ما توالي الملوان . أما بعد فهذا كتاب من العبد الفقير العاجز الحقير أقل الخليقة بل من لا شيء في الحقيقة ، نقير رحمة

ربه ، وأسير وصمة ذنبه ، كثير الذنوب ، وعاء العيوب ، المذنب الضعيف والخاطئ النحيف خويدم نعال الفقراء والعلماء محمد صالح قطنا أزال الله عنه كل هم وعنا ، الى جناب الحضرة العلية السنية ، والطلعة البهيجة البهية ، معدن الاسرار الربانية والمعارف الصمدانية ، الامام المبجل والهمام الذي هو بالكمال مفضل ، منبع الاسرار مطلع الانوار واسطة عقد الاخيار سراج الطائفة الخلوتية والبكرية [1] والسادة المتخلقة بالاخلاق النبوية المتحققين بالحقائق العرفانية والرقائق الرحمانية ، بحر المعارف معدن اللطائف ملجأ كل عاني منتهى الآمال والاماني، قدوة الفضلاء تاج الاذكياء والنبلاء مربي السالكين ، سراج المسترشدين قطب العارفين ، من أشرقت في سماء فؤاده شموس المعارف، وانتظمت من درر أقواله أسماط العوارف، الجامع بين علمي الباطن والظاهر ، السائر ذكره الجميل مسير المثل السائر ... من درس الرسوم سلالة المجد الذي أشرقت شموسه وابنعت ... المجد معدن ... الرسول صفوة بني الزهراء البتول الحائز لشرفي الحسب والنسب المتحلي بدقائق العلوم ورقائق الادب السيد المحب الصادق والخليل الحبيب الموافق بل الوالد المشفق الذي هو بمكارم الاخلاق متخلق وبكل وصف جميل متحقق، وليس أنا في وداده بمتملق، الفاضل الكامل حاوي رتب الفضائل العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر العلماء العاملين وعمدة الفقهاء والمدرسين وزبدة الاولياء المكرمين والمقتفي أثر سلفه الصالحين الفقيه العمدة والصالح النخبة ، من فاق أقرانه على الاطلاق وانتهت اليه الرسالة باستحقاق ، الولي الفالح والمربي الناصح العارف الصالح والاستاذ الناجح والقطب الشهير والشمس المنير والناقد البصير والبدر الخبير مفيد الطالبين ... استاذي وقدوتي ... العارف بربه المتين ... حفظه أرحم الراحمين وصان عمره آمين وكان له عونا ومعين وأمتعنا الله والمسلمين بحياته أجمعين آمين .

غب اهداء السلام الاسنى والتحيات المباركات الحسنى ، ورفع الادعية المقبولة التي هي ان شاء الله بالاجابة موصولة ، ونشر بعض ما انطوى من مكنون الاشواق وبث ما كن في الصدور لدى سطور رسائل الاشتياق، والتمثل بهاتيك البوادي وارتواه

(١) لانه أخذ الطريق عن الشيخ المهدي الذي أخذ عنه علماء دمشق الطريق ولم يتفق علماء الظاهر على أحد من أهل الباطن مثلما اتفقوا عليه .

أفئدة الصوادي ، فالسبب في تسطيرها كثرة الاشواق التي عجزت عن حصرها الاوراق فان سنح ذكر هذا الداعي في شريف الخواطر البهية فإني على العهد من الاستقامة في نيل شرف العبودية والشكر لمرسلات امواج أفضال السيادة ، من تفقدي بالسؤال عني حسب املي وزيادة ، فلا غرو ان صرفت عنان جواد الايام في الثناء على هذا السيد الاستاذ العام ، وان كنت لست من سباق هذا الميدان ، ولا ممن يصلح لهذا الشأن لما له علي من المنن في السر والعلن ، وقصارى الحال استمطار ادامة انظاره على هذا العبد في المآل ، وتفقدي دائماً ولو بالسؤال ، والذي ابديه لجناب سيادة سعادتكم اولا السؤال عن شريف الخاطر العاطر الكريم وانقياد لطيف المزاج الفاخر السليم ، وثانياً بينما أنا مترقب أخباركم اذ ورد علي عزيز كتابكم ، المنبيء عن صحة جنابكم ، وذلك قبل تاريخه بيومين فقرأته وحمدت الباري سبحانه الذي جنابكم بخير ، وجميع ما شرحتم لنا صار معلوم هذا الداعي حرفياً ، وبه عرفتونا عن وصولكم إلى محروسة مصر وان مرادكم التوجه الى أم القرى بعد ثلاثة أيام من تاريخ مكتوبكم ، نسأله سبحانه وتعالى أن يبلغكم السلامة ونؤمل الآن أن تكونوا وصلتم لها بغاية من الصحة والسلامة أنتم ومن معكم خصوصاً سيدتي الوالدة ، ووارادنا من جنابكم التعريف عن ذلك ، ثم أخبرتونا بخصوص بوليصة السيدمصطفى الرفاعي ان جنابكم قبضتم منه مبلغها بعد تأخره ، وانه قبل سفركم تأخذون نسخة التفسير وترسلونها تحت يد احد من الاخوان ، والى الان ما علمنا تحت يد من ارسلت يكون معلوم جنابكم ، ومتى علمنا بخبر جنابكم لا يكون لكم فكرة من هذه الجهة النسخة لحافظ[1] افندي الساعاتي وصلت والكتب للسيد أحمد[2] السكري أيضاً وصلوا ، وكذلك سحارة الكتب للشيخ محمود الكتبي وصلت كونوا بغاية من راحة البال . أفدتونا بخصوص الكتب التي بادئين بطبعها وان مطبعة الميري اشتغلت ، وعن أسعار الكتب المطبوعة الان كل ذلك فهمناه جزاكم الله عنا كل خير ، قوي حصل لنا سرور بذلك ، وأخبرنا سعادة

(١) ساعاتي تركي وجوهري بسوق الحميدية وابنه اليوم قيم مسجد الشهداء بدمشق .

(٢) والد الشيخ محمود السكري عم خطيب جامع الدرويشية اليوم الشيخ نسيب السكري .

مفتي افندي[1] أن نأخذ له من السيد سليم[2] العوا مصاري ونعطيه إيام ، أخبرنا الشيخ علي العطار عن ذلك حيث هو يجيء الى عنده .

الاخ أبو حسن رجل ما قال شيء ، وإنما ذلك من الشيخ علي ، حيث تحققنا المصلحة وجدناها عنه صحيحة ، بل قال إلى الآن وما دمت حياً أنا خادم الشيخ ، وليس مراده قسمة أو ترك الحصة أو قلة الزرع ، هذا كله من الشيخ علي تزاعل معه وأصلحناهم .

بخصوص مصلحة السيد أحمد السكري ، عرفتونا بأنه يلزم ان كنا نعرفه أن جنابكم أشهدتم له ، سيدي المحترم ! والله ما عندي خبر بذلك ، بل هو سأل السيد عبد الله القناطري قال له ما أرسل اشهاد[3] فبعد ذلك كتب لشريكه فجاوبتوه جنابكم ، فقوي حصل له تغيظ من قسه الذي كتب لشريكه عن ذلك خوفاً على زعل سيادتكم فهذا ذنب جرى مني كوني قصرت بذلك ، فأرجوكم العفو والعذر لديكم مقبول .

وكذلك استعذرت منه . بخصوص أهل البيت لله مزيد الحمد بغاية من الصحة ، لا يكدر عليكم سوى مفارقة ... المكاتبة نصف المشاهدة وتارة تكون المشاهدة كلها ، نرجوكم مواصلتهم بكتبكم السارة . بخصوص المدرسة[4] .. عشرين يوم أو ثلاثين قبل تاريخه لا أعلمها حيث اني ما دخلتها إلا ما قل وندر ، لاسباب : منها أنهم تباردوا عليّ الجماعة وطردوني ، ومنها تكلموا معي بكلام بذي وما تكلمتهم معهم بشيء قط ، وسمعت على لسانهم كلاماً ليس لائقاً من أحد ، ومنها بخصوص درس الملتقى بطلوا يقرؤه وذهبوا قرأوا على الغير : بعضهم قرأ على أحمد[5] أفندي الاسلامبولي الدر ، وبعضهم قرأ على الشيخ أمين

(١) كان المفتي في ذلك العهد الشيخ أمين الجندي عم جد صديقنا الاستاذ سليم الجندي ؛ وكان معاصراً لسميه الشاعر الحموي المشهور .

(٢) كان بزازاً في سوق الحميدية ، وابنه الدكتور توفيق العوا طبيب في الصحية ولعله شقيق صفوت باشا العوا ، وأما علي العطار فلم نعرفه .

(٣) إقرار كتابي من تعابير الحاكم .

(٤) هي مدرسة التعديل بجي القنوات كان المرحوم السيد علاء الدين يقرئ الطلاب فيها ، وغرفته الخاصة لا تزال فيها الى يومنا هذا ، وقد عمر منارتها ونقش اسمه عليها .

(٥) من مدرسي الاموي وفقهاء الحنفية تركي الاصل دمشقي المولد كان يسكن ـ

البيطار [١] مراقي الفلاح ، وبعضهم قعد بطالا . وعدم قراءتهم الملتقى لامور منها كوني صغير السن [٢] وجاهل جداً ، ومنها كوني قررت مسائل خطأ فعرفوها ، ومنها تكبرهم عليّ وغير ذلك من الامور ، ومن الأسباب الموجبة لانقطاعي عن المدرسة : إذا بدأت لهم ورد بعد المغرب فأياً ما أذكر لهم ربع ساعة فيقولون طولت علينا ، أبقى اذكر المغرب وذلك بشأن الدرس ، فبعضهم يقولون قصرت وبعضهم يقول غير ذلك ، وأسباب كثيرة جداً لا يمكن أن تستقصى بالكتابة الا باللسان ، لذلك عاهدت نفسي أني لا أدخلها حتى تشرفون الى هذا الطرف إلا في أوقات الضرورات ، فان من بعض منسياتكم ان الضرورات تبيح المحظورات أسأله سبحانه وتعالى أن يبلغكم السلامة ، وأن يجمعنا بكم على أحسن حال بجاه محمد والآل ، وأن يبتني بحياتكم وأن يطول عمركم بجاه كل ذي جاه لديه . فهذا عذري وهو مقبول عند جناب سيادتكم حيث جنابكم لم ترضوا لي الكلام الغير اللائق وكان لي قدرة على غير ذلك بحول الله وقدرته ، ولكن تركت أمري الى الله خصوصاً بشأن جناب سيادتكم ، فان أقدامكم على رامي، بكون معلوم سيادتكم فقط طلب مني الشيخ مصطفى سلبق [٣] كتب ورقة في الحث على تعمير المساجد والمدارس حيث مراده شراء شمع ، وتكبير شمعتي المدرسة ، فبحسب دعائكم كتبت له ما تيسر ، وجمع من أهل الخير كم قرش واشترى نحو عشرين رطل فوق مقدارهم السابق ، ومراده تزييتهم وجلبهم إلى المدرسة ، وذلك كله بحسب دعائكم وتموس (أقواس) سيادتكم ، قبل تاريخه قد توفي السيد عبد الرزاق السقطي [٤] وعبد اللطيف ابن نعمرى ابن شنيقة الشيخ صالح العش [٥] . حاب الفاضل الشيخ يوسف المغربي [٦]

ـ القيمرية ، رله مؤلفات في الحج (مناسك مطبوعة) وكان له ديوان خطب يحفظه الخطباء بدمشق . لا يزال له عقب بدمشق .

(١) كان الامام الحنفي في السنانية ولم يكن من آل البيطار القاطنين في الميدان وله اليوم أحفاد بدمشق (٢) لعله كان يومئذ يناهز العشرين من عمره .

(٣) آل سلبق أسرة معروفة في حي القنوات بدمشق .

(٤) اليوم تجار وملاحون وكانوا بيت علم معروف بدمشق . (٥) بيت مجد وعلم في الخضيرية . (٦) والد الشيخ بدر الدين حافظ الشام رحمه الله .

وعبده القناطري الذي هو مجاور بالمدرسة ، البقية إن شاء الله تعالى بعمركم وعظم أجركم وأجر المسلمين آمين بجاه سيد المرسلين وآله وصحبه والتابعين .

الحوادث - جرت على الالسن من الاولاد عجيبة وهي جداً غريبة ، ان جميع الاولاد صاروا ينطقون بفقرتين (طاطا يا طاطا صحنين سلطا ، كبه على رغيف قولوا يالطيف) أما فقرة (كبه على رغيف قولوا يا لطيف) هذه لا يغيرونها ، وأما الفقرة الاولى ينوعونها ، تارة يقولون : (ناوَى ما ناوى صحنين بقلاوي) وهلم جرا ، نسأل الله العافية والحسنى . بخصوص الكرّوزه[1] وصلت إلى بين النهرين ودخلت الى الشام الى خان الكرك حيث كانت حاملة للرزق وقوي حصل ضرر من ذلك[2] فكان مراد الباشا[3] وأولياء الامور خرب مصاطب البلد كاكين جميعها لاجلها ، فبعد ذلك لله مزيد الحمد عدلوا عن ذلك ونبهوا على المتكلمين عليها أن لا يدخلوها إلى البلد ، فعمروا محل عند الجسر الذي عمروه جديد وينفذ منه على البحصة في بين النهرين ، نسأل الله تعالى خراب ذلك كله .

ثم قبل تاريخه بنحو عشرين يوم شاع خبر بأن السيد عبد القادر المغربي مراده السفر إلى الحجاز وصحبته الشيخ عبد الغني الميداني وسليم أفندي حمزة بعد ثلاثة أيام ، فصادف آخرهن يوم الجمعة كنا في الدرس في بيت الشيخ الكزبري[4] وكان الشيخ عبد الغني أيضاً في الدرس ، فبعد خلوص الدرس سألته : بأي وقت جنابكم مسافرين قال لي بالجواب : لا أعلم هل في يوم الاحد أو الاثنين أو غيرهما ، فذهب كل واحد لمحله

---

(١) لعلها الكارة التجارية التي يجرها بضعة أحصنة أو بغال ويريد بالنهرين بردى وبانا س ، وكان مقر ادارتها محل المصرف السوري واصطبلاتها محل مقهى العباسية اليوم

(٢) لوجود المساطب في أسواق دمشق المعدة لنشر البضائع ، فكان الطريق يضيق بها ، وقد ضج السكان خوفاً على مساطبهم من مرور الكارة .

(٣) الباشا بلغة ذلك العهد الوالي وهو شرواني محمد رشدي باشا والي سنة ١٢٧٩ وكان يعرف بدمشق باسم شرواني باشا (٤) الشيخ أحمد مسلم الكزبري من المحدثين وشيوخ قبة النسر ، والشيخ عبد الغني تلميذ الشيخ عبد الرحمن الكزبري والد الشيخ مسلم .

وصليت صلاة الجمعة ، وحين طلوعنا من المسجد أخبرنا أن السيد[1] والشيخين المومى اليهم ذهبوا مشاة الى عند الشيخ الاكبر هناك ، وبعد الصلاة جاءت الدواب وركبوا وسافروا الى الحجاز فوصلوا الى بيروت وجاء وصولهم ، والى الآن من اسكندرية ماحضر وصولهم: فقبل تاريخه بيومين أخبرنا بان السيد عبد القادر المذكور انتخب بان يكون ملكا على الموري[2] حيث ملك الموري طردوه ، فبعضهم منتخب السيد مع بعض الملوك ، وبعضهم منتخب ابن ملكة الانكليز ، فلا ندري بعد ذلك كيف يبت الحال ، وبعده نعرف جناب سيادتكم على حقيقة الحال نسأل الله حسن الاحوال. ثم يوم تاريخه جاءت بوسطة اسلامبول وفيها مكاتب رسمية وقطيطات متضمنين بأن وقع عزل وتنصيب بعزل خمسة أنفار من رجال غيرهم ، ففضل فؤاد باشا وعالي باشا وغيرهما حتى قبولي أفندي.. معلومكم ذلك ، كذلك نهار تاريخه الباشا وأعضاء المجلس احضروا رؤساء الاثمان (وطلبوا منهم) بواقي الذهبية التي كانت طلبت من الناس من قديم الزمان ، فأخبرونا بأنه خص ثمن القنوات عشرون الف قرش ، وكل ثمن على حسب بواقيه كذلك ، وبتوا[3] مجلس خصوصي بشأن بواقي الطرابية من سنة ٦٨ الى سنة ٧٩ نسأل الله تعالى اللطف في المقدور ، ونخبركم بأن كيخة الباشا فصل عن منصبه ، وصار قيماً في محكمة ووضع في محله ديوان افندي الباشا . وايضاً بخصوص الحاج شريف الكلارأمبني[4] اعتمدوا (على) السابق فارس آغا كدره[5] وعلى الصاطي[6] وعلى المقومين السابقين أولاد سكر وكل شيء على حاله ، حتى أخبرنا بخصوص التنبيه على أسعار (العملة) وعلى أسعار المأكول : أما العملة فبعضها غلت كالليرة المجيدية وغيرها مثل المجيدي والليرة الفرنساوية والانكليزية وجنس الليرة ، وأما أسعار المأكول كله على حاله ، والتشديد الذي كان حينما كنتم مشرفين بطرفنا كله صار خفيفاً . ونخبركم أخبركم الله بكل خير ووقاكم من كل أمر وضير ان جامع الاموي وضعوا فاصلا بنصفه من حد المقصورة من بيت الخطابة، مرادهم العمارة به ، حيث جاء له أمر بالف وخمسمائة كيس[7]

---

(١) أي الامير عبد القادر الجزائري (٢) اسم لشبه جزيرة اليونان . (٣) بمعنى قرروا . (٤) لا تزال هذه الاسرة بدمشق . (٥) لعله جد صاحبنا فارس بن خالد بن فارس كدره . (٦) من آل الساطي المعروفين بدمشق . (٧) الكيس في ذلك العهد

ومرادهم يعمروا الثلاث معازب (١) اللاتي بجهة القوافين بكون معلومكم ذلك . بخصوص بيت أفندينا مفتي افندي فلله مزيد الحمد بغاية من العفة والصيانة والاتقان والديانة ، وذلك كله بوجود جناب الفاضل الاستاذ الشيخ محمد افندي البيطار (٢) كونه بهذا الفن إماماً ومشربه على مشرب سيادتكم وصار لي عصوبية على جنابه كعصوبيتي على جناب سيادتكم وحاصل بيني وبينه غاية التوافق حتى كاني أنا وهو عضو واحد : القول والفعل واليد واحدة نسأل الله تعالى الثبات على ذلك وأن يجمعنا بسيادتكم عن قريب بجاه الحبيب حتى نصير ثلاثة اثنا رئيسان وهذا الداعي عبد لكما فجزاكما الله كل خير ، وقرأت عليه سبط المارديني في علم الفرائض وبدأت قبل تاريخه عليه أيضا بالشنشوري ولله مزيد الحمد والمنة الان صرت أفهم بعض مسائل بذلك وأعمل مناسخات وذلك كله ببركة دعائكم وتفوس سيادتكم وتوجهاتكم الصادرة بانوار المعارف عامرة أرجو الله تعالى أن يفتح علينا فتوح العارفين وينور قلبنا بذكره آمين . وكذلك بلغنا خبر بان مراد الانكليز أن يعمروا كروزة من على طريق طرابلس إلى حمص إلى حماة إلى حلب إلى بغداد ، وتارة يقولون على طريق صيدا ، لكن طريق حديد مثل طريق اسكندرية ، هذا الذي سمعناه والله أعلم بحقيقة الحال ، والحمد لله على كل حال ، وأظن أنه بعد تاريخه لا بد أن يفصلوا أولياء أمور طرفنا عن مناصبهم ويوضعوا غيرهم من حيث صار عزل في اسلامبول . سيدي المحترم الاجل الاكرم نرجوكم عدم (نسياني) من خاطركم الشريف وتفقدي بدعائكم المنيف ومواصلتي بكتب سيادتكم السارة، وأرجوكم الدعاء في أوقات الاجابات خصوصا عقب الصلوات وبعد الذكر والعبادات وفي الخلوات والجلوات وفي مواضع مظان الاجابات وكلما خطرت بذهنكم الشريف وخصوصا تجاه الكعبة المشرفة وبالحجرة المكرمة وبكل موضع و (مزار) لا سيما أرجوكم الدعاء العام بالفرج أو الموت أسأل الله تعالى الفرج لنا ولجميع

---

(١) أي الثلاثة ~~ عبارة عن ٥٠٠ قرش فالمبلغ اذن ٧٥٠٠٠٠ ق أو ٧٥٠٠ ليرة ذهبية ~~

~~الاروقة الواقعة في الجهة الغربية من حرم الجامع الاموي . (٢) أسرة البيطار الميدانية بيت مجد وعلم قديم ومنها عضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ محمد المذكور في الرسالة كان أمين الفتوى بدمشق ومن أكبر فقهاء الحنفية فيها .

المسلمين وأيضا أرجو عدم يراح الاجازات من خاطركم اللطيف ، وهذا مالزم لنا عرفناكم وأعرضناه لدى جناب سيادة سعادتكم ، ومهما يلزم لكم من الخدم شرفونا بقضائه على الرأس والعين . وبلغوا سلامنا ومزيد اشواقنا إلى جناب سيدتي الوالدة المحترمة مع تقبيل أياديها الكرام وأقدامها العظام وسؤالها الدعاء في تلك المواضع المشرفة زادها الله تكرمة وتشريفا وتفخيما وتعظيما ، وأيضاً بلغوا سلامنا إلى جناب الحاج أبو علي سليق وولده السيد سعيد وإلى جناب السيد محمد الزعفرنجي [1] وأخيه السيد أمين وإلى جناب السيد عبد الرحمن الطويل وإلى أبو عبد الله المنجد وإلى فارس [2] وإلى جناب أحمد أفندي المدني الافخم وإلى جميع من يسأل عنا وما حوى منزلكم العامر . ومن هذا الطرف جناب جدنا المحترم وأخوالنا المكرمين وجميع اخواتنا المحترمين الجميع بخير وصحة يسلمون عليكم ويقبلون أياديكم .. وأهل البيت بخير وصحة كل واحدة بمفردها تقبل أياديكم وتسلم عليكم ودمتم والله تعالى يحفظكم ويديم نعمكم ويبقيكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ودمتم في ٢٩ ب سنة ١٢٧٩

الفقير اليه عز شأنه كاتبه :

محمد صالح

خويديكم عفي عنه

حاشية : سيدي المحترم (والدنا) وضع في محل فؤاد باشا (كامل) باشا المصرلي وسمعنا أنه عزل ثلاثة عشر واحد من رجال الدولة نسأل الله تعالى اللطف فيما جرت به المقادير و (اليوم) انتقلنا للمربع الذي تجاه أودة الفتوى في يد المفتي لأجل الافتاء ودمتم والسلام عليكم .

---

(١) تلميذ الشيخ علاء الدين وكان منقطعاً لطلب العلم في مدرسة التعديل ولاقامة الحضرة فيها وفي جامع السادات . (٢) كان خادماً للشيخ علاء الدين .

مطبوعات حديثة

معالم السنن

للإمام ابي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨

وهو شرح سنن الإمام ابي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥

طبعه وصححه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي

تقوم إلى جانب هذه النهضات المباركة في البلدان العربية ـ نهضة دينية اجتماعية ، تتفجر ينابيعها من سلسبيل الإسلام الصافي ، وتُستقى أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تخلق جدته ، وهل الإسلام إلا القرآن والحديث ؟ ولعمري إن دواوين السنة الصحيحة ليست إلا شارحة للقرآن مبينة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية مثلا كالصلاة والزكاة والحج والصيام على الوجه المطلوب من غير أن يدرس حديث الرسول (ص) وسيرته العلمية

أما كتاب السنن لأبي داود السجستاني فهو أحد دواوين الإسلام المعتبرة عند المحدثين والفقهاء ، كجامع الترمذي ومجتبى النسائي ، فان هذه الكتب تلي صحيحي البخاري ومسلم صحة وحسناً ، وتفوق المجامع والمسانيد التي جمعت بين الصحيحين والحسن والضعيف والمعروف والغريب ، والشاذ والمنكر كما هو معروف عند المحدثين ، فقد كان مصنفوها رحمهم الله معروفين بالوثوق والعدالة والتبحر في فنون الحديث ، قال أبو داود : كتبت عن رسول الله (ص) خمسمائة الف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته كتابي السنن ، جمعت فيه أربعة آلاف حديث ، وثمانمائة حديث ، من الصحيح وما يشبهه

ويقاربه ، فان كان فيه وهن شديد بينته » وحسبك علماً بقدر هذا الكتاب وتعريفاً بمزاياه ما وصفه به المحقق الشهير ابن قيم الجوزية رحمه الله من أنه شمل أحاديث الاحكام ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء .

وأما شرحه « معالم السنن » للامام الخطابي رحمه الله ، فهو قد تكفل بإيضاح ما يشكل من متون ألفاظه ، وشرح ما يستغلق من معانيه ، وبيان وجوه أحكامه والدلالة على مواضع الانتزاع والاستنباط من أحاديثه ، والكشف عن معاني الفقه المنطوية في ضمنها كما جاء في طليعته . والكتاب مع الشرح يقع في أربعة أجزاء ، وهو يبلغ نحو (١٤٣٠) صفحة .

وقد وضع له الأستاذ الطباخ مقدمة ـ كعادته في مطبوعاته ومصححاته ـ جاءت في اثنين وثلاثين صفحة ، عرف فيها بالسنن وشرحها ، وما قاله بعض الائمة الحفاظ فيهما ووصف النسخ التي عثر عليها منهما بعد البحث والتنقيب ، وأودع مقدمته شذرات من ترجمة صاحب السنن وشارحها ، وذكر سنده المتصل بسنن أبي داود وسائر مصنفاته على طريقة المحدثين . وقد ألحق الاستاذ الناشر في خاتمة الكتاب مقدمة الحافظ الكبير أبي طاهر السلفي (المتوفى سنة ٥٧٦) لكتاب السنن وشرحه التي أرسلها اليه من الحجاز صديقانا الفاضلان الشيخ سليمان الصنيع والاستاذ محمد افندي نصيف ، وهي مقدمة جليلة وفيها أن أبا داود قد تلمذ على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعنهما أخذ علم الحديث ، وعلق عنه أحمد حديثاً واحداً وأثبته بخطه في دفتره .

وأقول : إني لم أر في هذه التراجم إشارة لكتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل الذي ألفه تلميذه صاحب السنن الامام أبو داود فهو من أعظم المآثر وأجل المفاخر ، وهو أقدم كتاب في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق ، فقد كتب سنة ست وستين ومائتين أي في حياة راويه أبي داود لان هذا توفي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وقد طبع هذا الكتاب في مصر بمطبعة المنار سنة ١٣٥٣ بعد أن صححناه وعارضنا مسائله بكتابين آخرين من مسائل الامام أحمد في مكتبة دمشق أيضاً .

قال الاستاذ الطباخ : ومما يقتضي التنبه له أن الخطابي رحمه الله تعالى لم يشرح جميع

الاحاديث بل يأتي إلى الباب الذي تعددت فيه الروايات ، فاذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً وكأنه بذلك شرح جميع الباب، وإلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءى له ، والى ذلك الإشارة بقوله : ومن باب كذا .

وأقول : انه رحمه الله لم يورد أحاديث المتن كلها في كتابه بل طريقته فيه انه يورد بعض أحاديث الابواب، ويستغني بها عما يرى أنه بمناها ، ولعله يشير بقوله : ومن باب كذا الى ذلك الاختصار متناً وشرحاً ، وقد سمى كتابه (معالم السنن) وهي ما يستدل بها على سائرها . وقد رأيت اختلافاً في أسماء بعض الرواة كقوله في الحديث الثاني من كتاب الطهارة حدثنا مسدد الى قوله (عن الزبير) عن جابر بن عبد الله وفي عون المعبود (عن أبي الزبير) هو محمد بن مسلم المكي وثقه الجمهور وضعفه بعضهم لكثرة التدليس .

ومن لطائف ما تجده في السنن أنك ترى أسماء الروايات المحدثات مبثوثة في كثير من الابواب ، ومنهن من تأخذ العلم عن أمها وجدتها وعمتها (انظر ص ٥٠ ج ٣ باب الركز) وبهذه العلوم النافعة كانت تعنى النساء والفتيات في عصور الاسلام الذهبية فهل نجدد بذلك عهداً ونعيد للجنس اللطيف ما فقدنه من ذلك التراث العظيم ؟

وقد كان الشارح الخطابي شاعراً مجيداً ، كما كان محدثاً فقيهاً ، ومما اشتهر قوله رحمه الله :

وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

وبُست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة ؛ كثيرة الاشجار والانهار، وقد سئل عنها بعض الفضلاء ؟ فقال : هي كتثنيتها يعني بستان .

فجزى المولى الاستاذ الراغب ناشر هذا الكتاب النفيس أفضل ما جازى عباده الصالحين ؟

محمد بهجة البيطار

اسواق العرب في الجاهلية والاسلام

تأليف سعيد الافغاني

٤٦٥ ص متوسطة — المطبعة الهاشمية بدمشق

الاستاذ سعيد الافغاني من أفاضل المعلمين الذين لم تصرفهم صناعة التعليم عن طلب العلم ، فهو يقضي أوقات فراغه في البحث والمطالعة،ومن نتائج تتبعه المستمر هذا الكتاب الممتع ، فقد جمع فيه ما تفرّق من أخبار أسواق العرب .

وقد مهد للكلام على الاسواق بما هو وثيق العلاقة بموضوعها كبيوع الجاهلية ورباها واسهب في الكلام على قريش الفريق التاجر من العرب ؛ وقد تخلل هذه الابحاث كثير من الأدب والتاريخ والصناعة والتجارة ، وكثير من الوصف لمجالس هذه الاسواق الادبية وبلاغاتها النثرية والشعرية .وعني المؤلف بشرح مايشكل من غريب أو معنى مغلق .

والكتاب مطبوع بحرف جديد جميل على ورق صقيل ؛ وأما ما ذكره في الخاتمة مما اشتمل معرض دمشق الاخير من القمار والفجور فما لا بد لمديره فيه لما عرف به من متانة الخلق وفرط الحمية العربية .

وقد ذكر المؤلف ص ٣٢١ أن أذرعات (هي اليوم تعرف بأزرع) والاقوى أنها المعروفة بدرعا ، ولا تزال تاء التأنيث مسموعة من أفواه البدو ، وهنالك أدلة أخرى تدل على ذلك . وفي الصفحة ٢١٢ والسطر الثالث من الحاشية « وأين بُنّة الابل الصادرة » ضبطت البنة بضم الباء المعجمة ولعلها من أغلاط الطبع ، والصواب فتح الباء فيها ، وهي الرائحة الطيبة .

إن هذا الكتاب النفيس من أقل ما طبع في الشام ومصر أغلاطاً ، وأكثر مانشر فيهما من الابحاث تحقيقاً ، فجزى الله المؤلف الفاضل أفضل ما جازى به متقناً عن اتقانه أو محسناً للادب ولغة العرب عن احسانه .

التنوخي

Bibliotheca Alexandrina
0652771